العسل المصفى
من
سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم

اسم الكتاب: العسل المصفىٰ من سيرة النبي المصطفىٰ

إعداد الشيخ : فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/١٦٧٥٠ .

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٤٧٢.

القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠٢٢

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

تأليف أبي عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه

قَالُوا فِي الْكِتَابِ

إِنْ شِئْتَ تَعْرِفْ سيرةَ المختارِ فاشربْ مِنَ العَسَلِ المُصفَّى الجاري
عَسَلٌ ويَحْوِي الدُّر في طَيَّاتِهِ وَمِنَ الحَلاوَةِ أَصْدَقَ الأَخْبَارِ
قَدْ دبَّجَتْهُ يراعةٌ (١) مَسْلُولةٌ للحاشديِّ الْفَيْصَلِ الْمِغْوارِ
ذُقْهُ تَجِدْ شَهْدًا عَلَى أَكْنَافِهِ وَسَتَلْقَ فِيهِ جُونَةَ (٢) العَطَّارِ

مَازِنٌ الْعَرْدِيُّ

وإِذَا أَرَدْتَ لذائِذَ الأَخْبَارِ فِي وَصْفِ أَحْمَدَ سَيِّد الأبرارِ
فَعَلَيْكَ بِالعَسَلِ المُصَفَّى إِنَّه ذوقًا يَفُوقُ سُلَافَةَ(٣) الْعَصَّارِ

طَاهِرٌ الْحَسَنِيُّ

يا من يروم خلاصة الأخبار ليفيد منها سيرة المختار
هذا هو العسل المصفى كاسمه فيه الشفاء وبهجة النظار

سُلَيْمَانُ الْعِمَادُ

وَضَعْتَ عَلَى النِّقَاطِ الْغُرِّ(٤) حَرْفًا فَزَانَ بِسيرةِ الْمُخْتَارِ وَصْفَا
إِذَا طَالَعْتَ فِيهِ ذُقْتَ مِنْهُ حلاوة وَاضِعِ الْعَسَلِ الْمُصَفَّى

حَمُودٌ الْبَعَادَنِيُّ

كتابٌ قَدْ حَوى الأَخْبَارَ طُرًّا كَمَا قَدْ صَحَّ مِنْ سَنَدِ الرُّوَاةِ
هُوَ الْعَسلُ المُصَفَّى طَابَ وَصْفًا بِهِ كُلُّ الْخِصَالِ السَّاطِعَاتِ

---

(١) اليُراعة- بالفتح-: القَلَمُ يُتَّخذُ مِنَ القَصَبِ، والجمعُ يَرَاعٌ.
(٢) الجُونة - بالضَّمِّ-: وِعاءُ الطِّيبِ الَّذي يُحْرَزُ فيه، والجمعُ جُونٌ.
(٣) السُّلافة - بالضَّمِّ-: الخَمْرُ.
(٤) الغُرُّ: البيضُ، واحدتُها غَرَّاءُ.

أَفَـيْـصَلُ - يَا رَعَـاكَ اللـهُ - هـذا ... لَعَـمْرُكَ خَـيْـرُ إرثٍ فـي الحياةِ
وَيَـبْقَى بَـعْـدَ مَوْتِـكَ دُونَ شَـكٍّ ... تِجَـارَتَـكَ الَّـتِي بَـعْدَ الْـمَمَاتِ

فَيْصَلُ الْجَعْمِيُّ

يَـا مَـنْ يُرِيـدُ بَدِيـعَ الْكُتـبِ قَاطِبَـةً ... فِي وَصْفِ أَحْمَدَ خَيْرِ العُجْمِ وَالْعَرَبِ
فَلْيَقْـرَأَنَّ كِـتَابًا قَـدْ حَـوى دُرَرًا ... لِلَّـهِ كَـاتِـبُهُ قَـدْ جَاءَ بِالْعَجَـبِ!
لَا يَنْقُلَـنْ سِـوَى مَـا صَـحَّ مِـنْ خَبَـرٍ ... مُـحَـلِّيًا قَـوْلَـهُ بِالشِّـعْرِ وَالأَدَبِ
سَـمَّاهُ بِالْـعَـسلِ الصَّافِـي لِقَارِئِـهِ ... وَهُـوَ السَّـبِيلُ لِمَـنْ يَرنُـو إلـى الرُّتَـبِ

بِلَالُ الْحُطْبَانِيُّ

هـذا الكتـابُ عَرُوسُ الصُّحفِ والكُتُبِ ... جـلاهُ كاتِـبُهُ فِـي بُرْجُدٍ[1] قَشَبِ[2]
قَـدْ زَانَـهُ ذِكْـرُ خَيْـرِ الْخَلْـقِ قَاطِبَـةً ... مُحَمَّـدٍ مَـنْ رَمَـى الإِشْـراكَ بالشُّـهُبِ
صلَّـى عَلَيْـهِ إلـهُ الْخَلْـقِ مـا بَزَغَـتْ ... شَـمْسٌ علَـى ظُلَـمِ الأحيـاءِ والشُّـعَبِ
فَسَـمِّ ربَّـكَ وانْـهَل مِـنْ صَحَائِفِـهِ ... شَـهْدًا مُصَفَّـى عَلـى تـورٍ[3] مِنَ الذَّهَبِ

عِمَادُ بْنُ عَلِيٍّ

عسلٌ مصفـىً قـد سـقيت صِحابـا ... أنعـم بـه للظامئيـن شـرابا
وبسيرة المختـار فـاح عبيـرهُ ... مسـكًا فعـم الأهـلَ والأحبابـا
فرحـت بـه الأجيـالُ لمَّـا أن رأت ... فيـه الفصـولَ صحيحـةً وعِذابـا
فجـزى الإلـه الشـيخ فيصـلَ إذْ حـوى ... فـي سِـفْرِهِ مـا لـذَّ فيـه وطابـا

جميل المليكي

---

(١) البُرْجُدُ - بضمِّ الباءِ والجيمِ -: كِساءٌ غليظٌ.
(٢) القشب: الجديد.
(٣) التَّوْرُ - بالفتح -: إناءٌ يُشَربُ فيه.

كـتـابٌ بِـهِ يُـحـتَفَى يُـحتفى ... أَبَـانَ لَـنَا سِيـرَةً الْمُصْطَـفَى
بِـلَفْظٍ وَجِيزٍ ومَعْنىً جَـلِيٍّ ... أضـاء لنـا سِيـرةً تُصْطَفَى
جَمِيلُ الْحَواشي كَطَلٍّ بَـدَا ... يَـرُوقُ بِأَنْظَارِ قَـلْبٍ هَفَا
فَكَـمْ فيـه مِنْ عِبْرَةٍ أَصْبَحَتْ ... تَـفُوحُ كَعَنْبَرِ بَحْرٍ طَفَا
كـتابٌ مَضَى سَائِرًا في الْوَرَى ... يَـتِمُّ بأَخْلَاقِ ذَاكَ الصَّفا
فَلِـلَّـهِ دَرُّكَ مِـنْ لَوْذَعِـي ... فَقَـدْ قُـلْتَ مِـنْ طِـيبَةٍ مَا كَفَى
تَرَنَّـمَتْ دَهْـرًا عَـلى أيكةٍ ... فَـأَتْحَفْـتَ مَـنْ بالرَّسولِ اقْتَفَى
بِسِفْرٍ[1] فَرِيدٍ لَـهُ وَزْنُـهُ ... يُـضِيءُ الطَـريقَ لـجِيلٍ غَـفَا
فَـيَـا رَبِّ صَـلِّ وَسَلِّمْ عَـلَى ... نَـبِيٍّ بِـهِ يَحْتَـفِي مَـنْ قَـفَا
وَبَـارِكْ عَـلَـيْـهِ وَأَزْوَاجِـهِ ... مَـعَ الآلِ والصَّحْبِ أَهْلِ الْوَفَا

عُمَرُ بْنُ صَبِيحٍ

مَا سِيرَةُ الْمُصْطَفَى مِنْ خيرةِ الرُّسُلِ ... بِـهَا يُشَبَّهُ رِيقُ النَّحْلِ في الْمَثَلِ
لَـكِنْ أَصَبْتَ فإنَّا لَمْ نَجِدْ مَثَلًا ... بَـهَا يُشَبَّهُ أحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
ومـا رَضِيْتَ بِأَنَّ سَمَّيْتَهُ عَسَلًا ... حتَّى أَضَفْتَ لَـهُ الصَّافِي مِنَ الدَّخَلِ
سَمَّـيْتَهُ عَسَلًا حَتَّى يَكُونَ لَنَا ... بِـهِ الشِّفَاءُ مِنَ الأَسْقَامِ وَالْعِلَلِ
مِنْ سِيرةِ الْمُصْطَفَى أَخْرَجْتَ نافجةً[2] ... مِنْ مُهْجَةِ الْقَلْبِ لا مِنْ مُهْجَةِ الْوَعَلِ[3]
لِلَّـهِ دَرُّكَ مِـنْ بَحَّاثَةٍ نَسَجَتْ ... يَدَاكَ ما يَخْلِبُ الأَلْبَابَ مِنْ حُلَلِ!
حُـلَّـةٌ نَسَجَتْهَا كَفُّ صَاحِبِهَا ... بِمَغْزَلٍ كَنَسِيجِ الْفِكْرِ فِي الشَّكْلِ

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجَعْمِيُّ

---

(١) السِّفْر – بالكسر–: الكتاب الكبير.
(٢) النافجة: وِعَاءُ المِسْكِ.
(٣) الوَعَل – بفتحتين–: تَيْسُ الجَبَلِ.

إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وتُرِيدُ فِي دُنْيَاكَ أن تَلْقَاهُ
ويَهُزُّكَ الشَّوقُ العَظِيمُ لِأَنْ تَرَى ... أَخْبَارَهُ وَحَدِيثَهُ وخُطَاهُ
فَعَلَيْكَ بِالعَسَلِ الْمُصَفَّى؛ إِنَّهُ ... سِفْرٌ كَأَنَّكَ فِي السُّطُورِ تَرَاهُ
سَار المُؤَلِّفُ فِيهِ مُنْتَقِيًا لِمَا ... قَدْ صَحَّ عِنْدَ العارِفِينَ شَذَاهُ
وَتَجَنَّبَ الْخَبَرَ الضَّعِيفَ مُنَزِّهًا ... وبأَجْمَلِ الأَشْعَارِ قَدْ حَلَّاهُ
فَأَقْرَأْهُ تَلْقَ النُّورَ بَيْنَ سُطُورِهِ ... كالشَّمْسِ تَنْشُرُ للأَنَامِ سَنَاهُ
يَكْفِيكَ أَنَّ الحاشِديَّ أَعَدَّهُ ... وحَبَاهُ مِنْ جُهْدِ السِّنينَ مَدَاهُ
فَجَزَاهُ ربِّي خَيْرَ ما يَرْجُو بِمَا ... أَبْدَاهُ فِيهِ وما سَطَّرَتْهُ يَدَاهُ

أستاذنا عَبْدُ الكريمِ العِمَادُ [1]

---

(١) هو أستاذُنا عبدُ الكريم بْنُ محمَّدٍ العمادُ – حفظه الله–، أخذتُ عنه اللُّغَةَ والأدبَ قَبْلَ عشرين حجَّةً، وما زال يتعاهدُ الأرضَ بالريِّ بما لا يتعاهدُهُ غَيْرُهُ، فمرآتُهُ أبدًا مجلَّوةٌ نقيَّةٌ.

وقد وجدتُهُ رقيق القلبِ، سريعَ الدَّمعةِ، مُتديِّنًا حَسَنَ الأخلاق، متواضعًا محبًّا للسُّنَّةِ، مُبغضًا للبِدْعَةِ، غزيرَ الفَضْلِ، كثيرَ المحفوظِ، مُعظِّمًا للعلمِ والعلماءِ.

ومن شِعْرِهِ يَمْدَحُ شيخَنَا الوادعيَّ – رحمه اللهُ–:

فلا تَسْأَلُوني عَنْهُ، لله دَرُّهُ! ... عن النَّاسِ نَسْتَفْتِيهِ، لا عَنْهُ نَسْأَلُ
لَهُ هِمَّةٌ لم يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَهَا ... وَمَنْ رام مَجْدًا هان ما كان يَبْذُلُ
شُجَاعٌ، صَرِيحٌ، حَازِمٌ، مُتَوَدِّدٌ ... رءُوفٌ، رحيمٌ، في البَرَايا مُبَجَّلُ
لَهُ نظراتٌ ثاقباتٌ مُنيرةٌ ... يُلَاذُ بها إنْ حَلَّ بالناسِ مُشْكِلُ
على الجوِّ فَوقَ البَحْرِ بَرًّا سوامقًا ... ومِنْ كُلِّ فَجٍّ حَوْلَهُ النَّاسُ تَرْحَلُ
وما ردَّهُ في اللهِ لومةَ لائمٍ ... يُجَرِّحُ في هذا وهذا يُعَدِّلُ
وإن لَمْ يَقُلْهَا الشَّيخُ ظلَّتْ حَبيسةً ... وعَنْ كَتْمِهَا يَوْمَ القيامةِ يُعْذَلُ

* وهنا تنبيه وهو ما ذكرته في كتابي هذا بقولي: قال أستاذُنَا فالمقصود عبد الكريم بن محمد العماد – حَفِظَهُ اللهُ–.

مُقَدِّمَة

مَا أَعْـذَبَ الشِّـعْرَ فِـي أَجْوَاءِ سِـيْرَتِهِ! أَكْـرِمْ بِمُـبْتَدَإٍ مِـنْهُ وَمُخْـتَتَمِ![١]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّـلَامُ عَلَى أَشْـرَفِ الْمُرْسَـلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن.

تِلْـكَ الثَّنِيَّـاتُ، فَاذْكُـرْ مَطْلَـعَ القَمَـرِ وَاخْشَـعْ مَـعَ الأَلْـق الطَّافِـي عَلَى الذِّكْرِ
لَـوِ اسْـتَطَعْتُ كَتَبْـتُ (النَّثْـرَ) مُتَّشِـحًا ضَوْءً ا مِنَ الشَّمْسِ يُحَيِّي أَعْظَمَ البَشَرِ[٢]

دُونَكَ هَدِيَّتِي حَافِلَةً بِالمَوَاقِفِ والعِبَرِ، وَلاَ هَدِيَّةَ أَجْمَلُ مِنْ سِـيْرَةِ مَنْ لَمْ تَرَ الدُّنْيَا مِثْلَه، أَوْ مَنْ يُضَارِعُهُ!.

فِـي سِـيْرَةٍ لَـمْ يَـرَ التَّارِيْـخُ تَوْءَمَهَـا بِرَغْـمِ مَـا أَبْصَـرَتْ عَيْنَـاهُ مِـنْ سِـيَرِ
فِــي يَــوْمِ مَــوْلِدِهِ، أَوْ يَــوْم بِعْثَتِـهِ أَوْ يَـوْمِ هِجْرَتِـهِ مَـا شِـئْتَ مِـنْ عِبَرِ![٣]

حَلَّيْتُهَا بِحُلَلٍ وَشِيَّةٍ،وَعَطَّرْتُهَابِعُطُورٍ نَفِيسَةٍ، فَهِيَ تَتَجَلَّى فِي حَلْيٍ إِبْدَاعُهُ عَلَى الطروس، وَحَالُهَا: «لَاَعِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ»[٤].

يَنُـمُّ عَلَيْنَـا الحَلْـيُ، حَتَّـى إِذَا رَمَـى بِـهِ، بَـاتَ وَاشِـي العِطْـرِ عَنَّـا يُحَدِّثُ[٥]

وَاقْتَصَرْتُ فِيْهَا عَلَى الصَّحِيْحِ المُصَفَّى، وَسَمَّيْتُهَا: «العَسَلُ المُصَفَّى مِنْ سِيْرَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى ﷺ».

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(٧٦/ ٥٦٠).

(٢) «الاسْتِهْلالُ»لِلذِيَّابِيِّ(١٢٦)، وَفِيْهِ مَكَان(النَّثْرُ): (الشِّعْرُ).

(٣) المَرْجِعُ السَّابِق (١٢٦).

(٤) «الفَاخِرُ»(٢١١)،و«الوَسِيْطُ»(١٩٥)،و«فَصْلُ المَقَال»(٤٢٧)،وَ«مَجْمَعُ الأَمْثَال»(٢/ ٢٦٣).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ١٧٣).

إذا ما ذُقْتَهُ عَسَلٌ مُصَفَّى جَنَتْهُ النَّحْلُ فِي عَلَمٍ[١] شَنَاحِ[٢][٣]

وَمَا مِنْ شك أَنَّ الرسائلَ في السيرةِ جَمَّة غَزِيرة، لكن هذه الرسالة تَمَيزَتْ بِأَمْرِيْنِ:

الأَوَّل: التزام الصحة.

الثَّاني: الصياغة الأدبية.

قَدْ (اخْتَرْتُهُ) لَوْنًا مِنَ النَّحْلِ نَاصِعًا لِيُعْلَمَ مَاتَحْوِيْهِ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ[٤]

وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهَا، فَهِيَ أَوْلَى بِالحَدِيْثِ عَنْ نَفْسِهَا.

والمِسْكُ مَاقَدْ شَفَّ عَنْهُ ذَاتُهُ لاَ مَا غَدَا يَنْعَتُهُ بَائِعُهُ[٥]

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

وَكَتَبَهُ

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

---

(١) العلَم - بفتحتين-: الجبل، والجمعُ أعلامٌ، وعِلاَمٌ.

(٢) الشَّنَاحِ - بالفتح-: الطَّويل، والجمعُ شُنُحٌ.

(٣) «منتهى الطَّلَب فِي أشعارِ العربِ» (٣٤٧).

(٤) «مُحَاضَرَةُ الأُدَبَاءِ» (١/ ٧١٩)، وَفِيْهِ مَكَانَ (اخْتَرْتهُ): (انْتَحلتَهُ).

(٥) «إِعْرَابُ القُرْآنِ» لِمُحْيي الدِّيْنِ دَرْوِيْش- رَحِمَهُ اللهُ وَغَفَرَلَهُ- (١/ ٢١).

اسْمُهُ وَكُنْيَتُهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اسْمُهُ ﷺ:

لعَمْـرِكَ مَـا الأَسْـمَاءُ إِلَّا عَـلَامَـةٌ مَنَارٌ وَمِنْ خَيْـرِ المَنَـارِ ارْتِفَاعُهَا[١]

أَسْـمَاؤُهُ ﷺ كَثِيْرَةٌ، وَكَثْرَةُ الأَسْـمَاءِ فِي مَعْهُودِ العَرَبِ تَدُلُّ عَلَى شَـرَفِ المُسَمَّى، وَالْعَرَبُ مِنْ عَادَاتِهَا إِطْلَاقُ الأَسْمَاءِ الكَثِيْرَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا شَأْنٍ عَظِيْمٍ، وَمَنْزِلَةٍ رَفِيْعَةٍ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تِلْكَ الأَسْمَاءُ العَدِيْدَة، وَالصِّفَاتُ الحَمِيْدَةُ، ذَاتُ المَعَانِي الفَرِيْـدَةِ، فَكَانَـتْ أَسْـمَاؤُهُ ﷺ دَالَّـةً كُلَّ الدَّلَالَـةِ عَلَـى مَعَانِيْهَـا، وَمُتَجَسِّـدَةً حَقِيْقَـةً فِي سُلُوكِهِ وَشُئُونِهِ؛ أَلَيْسَ مِنَ أَمْثَالِ العَرَبِ: «الاسْمُ دَالٌّ عَلَى المُسَمَّى»، و«لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ اسْمِهِ نَصِيْبٌ»؟!

وَضَـمَّ الإِلَـهُ اسْـمَ النَّبِـيِّ مَـعَ اسْـمِهِ إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: أَشْـهَدُ[٢]

فَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ:

١- مُحَمَّدٌ:

لَـوْ قِـيْلَ هَـبْ لِلْبَـدْرِ اسْـمًا آخَـرَ! مَـا اخْتَـرْتُ إِلَّا أَنْ يَكُـونَ مُحَمَّـدا![٣]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣/ ٥٥٤).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٧/ ٢٠).

(٣) قَالَهُ مَازِنُ الْعَرْدِيُّ -حَفظَهُ اللهُ-.

وَهُوَ أَشْهَرُهَا، قَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، مِنْهَا قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْحُ: ٢٩].

وَبِهِ سُمِّي فِي التَّوْرَاةِ صَرِيْحًا، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَلاءُ الأَفْهَامِ فِي فَضْلِ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَلْهَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ سَمَّوْهُ مُحَمَّدًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، لِيَلْتَقِيَ الاِسْمُ وَالْفِعْلُ، وَيَتَطَابَقَ الاِسْمُ وَالْمُسَمَّى فِي الصُّورَةِ وَالْمَعْنَى كَمَا قَالَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ - وَيُرْوَى لِحَسَّانَ -:

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[1]

٢- أَحْمَدُ:

يَا أَحْمَدَ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَغْنَى بِهَا ... عَنْ كُنْيَةٍ، وَاسْمُ العَظِيْمِ عَظِيْمُ[2]

وَهُوَ الاسْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ المَسِيْحُ، وَجَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصَّفُّ: ٦].

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ... فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ فِي النَّاسِ أَحْمَدُ[3]

وَقال آخرُ:

هُو اللَّهُ كملَ أَوْصَافَهُ ... وسمَّاهُ بَيْنَ الْوَرَى أحْمَدَا

(١) «البِدَايَةُ والنِّهَايَة» لابْن كَثِيْرٍ (٢/ ٢٦٦).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٤٦٩).

(٣) المَرْجِعُ السَّابِق (١٥/ ٣٩).

والفَرْقُ بَيْنَ مُحمَّدٍ وَأَحْمَدَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمَحْمُودُ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ، فَهُوَ دَالٌّ عَلَى كَثْرَةِ حَمْدِ الْحَامِدِينَ لَهُ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ مُوجِبَاتِ الْحَمْدِ فِيهِ، وَ(أَحْمَدُ) أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الْحَمْدِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَمْدَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ أَفْضَلُ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ. فَمُحَمَّدٌ زِيَادَةُ حَمْدٍ فِي الْكَمِّيَّةِ، وَأَحْمَدُ زِيَادَةٌ فِي الْكَيْفِيَّةِ، فَيُحْمَدُ أَكْثَرَ حَمْدٍ، وَأَفْضَلَ حَمْدٍ حَمِدَهُ الْبَشَرُ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمَحْمُودُ حَمْدًا مُتَكَرِّرًا كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَحْمَدُ هُوَ الَّذِي حَمْدُهُ لِرَبِّهِ أَفْضَلُ مِنْ حَمْدِ الْحَامِدِينَ غَيْرِهِ. فَدَلَّ أَحَدُ الِاسْمَيْنِ - وَهُوَ مُحَمَّدٌ - على كَوْنِهُ مَحْمُودًا، وَدَلَّ الِاسْمُ الثَّانِي - وَهُوَ أَحْمَدُ - عَلَى كَوْنِهِ أَحْمَدَ الْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ[1].

٣- الحَاشِرُ:

لِـيَهنِئْكَ مـا أَعــطاكَ رَبُّـكَ؛ إِنَّهـا مَواقِفُ هُنَّ الغُرُّ في مَوْقِفِ الحَشْـرِ[2]

وَهُوَ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ، فَكَأَنَّهُ بُعِثَ لِيَحْشُرَ النَّاسَ.

٤- المَاحِي: وَهُوَ الَّذِي مَحَا اللهُ بِهِ الكُفْرَ.

٥- العَاقِبُ:

عَـاقِبٌ مَاحٍ، مَحَـا اللهُ عَنْـكَ بِـكَ مَـا نَحْـذَرُ مِنْـهُ العِقَـابَا[3]

---

(١) «جلاءُ الأَفْهَام» (٨٣).

(٢) «دِيْوَانُ بَهَاءِ الدِّيْن» (١٦٦).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨/ ٦٢).

والعَاقِبُ: هُوَ الَّذِي يَخْلُفُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فِي الخَيْرِ، وَهُوَ قَدْ عَقَبَ الأَنْبِيَاءَ، وَكَانَ آخِرَهُمْ ﷺ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تِلْكَ الأَسْمَاءِ قَوْلُهُ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»[(١)].

٦- المُتَوَكِّلُ:

بَشِيرٌ نَذِيرٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ شَاهِدٌ مُتَوَكِّلُ[(٢)]

والمُتَوَكِّلُ: هُوَ الَّذِي يَتَوَكَّلُ عَلَى رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالِهِ، قَالَ عطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ»[(٣)].

٧- نَبِيُّ التَّوْبَةِ:

وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ اللهُ بِهِ بَابَ التَّوْبَةِ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ.

٨- نَبِيُّ الرَّحْمَةِ:

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَماءُ[(٤)]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).
(٢) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٩٧).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ، كِتَاب: التَّفْسِيرُ ٤٨ سُورَةُ الفَتْح.
(٤) «دِيْوَانُ شَوْقِي» (٦).

فَهُـوَ الَّـذِي أَرْسَـلَهُ اللـهُ رَحْمَـةً لِلعَالَمِيْـنَ، فَرَحِـمَ بِـهِ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهُم، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ.

فَعَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّ لَنَا نَفْسَهُ أَسْـمَاءً، فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي**[1]**، وَالْحَاشِـرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[2].

٩- نَبِيُّ المَلَاحِمِ:

لَـكُمْ شِـيَمٌ لَيْسَـتْ لِخَلْـقٍ سِـوَاكُمُ ... سَـمَاحٌ وَصِدْقُ البَأْسِ عِنْدَ المَلاحِمِ[3]

وَنَبِيُّ المَلَاحِمِ: هُوَ الَّذِي بُعِثَ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**أَنَـا مُحَمَّـدٌ، وَأَنَـا أَحْمَـد، وَأَنَـا نَبِـيُّ الرَّحْمَـةِ، وَنَبِـيُّ التَّوْبَةِ، وَأَنَـا الْمُقَفِّي، وَأَنَا الْحَاشِر، وَنَبِيُّ الْمَلاحِمِ**»[4].

قَالَ المُلَّا عَلِيُّ القَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَعَارُض بَيْنَ كَوْنِهِ رَسُولَ الرَّحْمَةِ وَرَسُول المَلْحَمَةِ؛ إِذْ هُوَ سِلْمٌ لِأَوْلِيَائِهِ حَرْبٌ لِأَعْدَائِهِ»[5].

١٠- الرَّءُوفُ الرَّحِيْمُ:

حَـلِيْـمٌ عَـظِـيْمٌ رَاحِـمٌ مُتَـكَرِّمٌ ... رَءُوفٌ رَحِـيْمٌ وَاهِـبٌ مُتَـطَوِّلُ[6]

---

(١) الْمُقَفِّي: هُوَ بِمَعْنَى العَاقِب، وَهُوَ المُتَّبِعُ لِلأَنْبِيَاءِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٥٥).

(٣) «دِيْوَانُ رَبِيْعَة الرَّقِّي» (٣٥).

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (٣٦٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (٣١٦).

(٥) «عُمْدَةُ القَارِئ» (٣/ ٤٥).

(٦) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٢٥).

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التَّوْبَة: ١٢٨].

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي: الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ: الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ: الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رَءُوفًا رَحِيمًا**»(١).

تَحَلَّى بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ وَإِنَّهُ ... رَؤُوفٌ رَحِيمٌ مَنْبَعُ الْفَضْلِ وَالصَّبْرِ
مَحَا ظُلْمَةَ الطُّغْيَانِ وَالْجَهْلِ وَالْهَوى ... بِعَدْلٍ وَإِحْسَانٍ وَبِالرِّفْقِ فِي الْأَمْرِ

كُنْيَتُه ﷺ:

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ ... كَرِيْمُ الجِرِشَّى، شَرِيْفُ النَّسَبْ(٢)

كُنِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي القَاسِمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**»(٣).

مُبَارَكُ الإِسْمِ مَيْمُونٌ، مَآثِرُهُ ... عَمَّتْ، فَآثَارُهَا بِالْغَوْرِ وَالأَكَمِ(٤)

تِلْكَ هِيَ بَعْضُ أَسْمَائِهِ الطَّيِّبَةِ الحَسَنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعَانِيْهَا العَظِيْمَةِ الرَّائِعَةِ فهو ﷺ عَظِيْمٌ مُكَرَّمٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَخُلُقِهِ، وَكُلِّ شَمَائِلِهِ.

مَنْ ذَا كَمِثْلِكَ -يَا حَبِيْبَ اللهِ- إِنْ ... ذُكِرَ الأَحَبُّ تَلَاشَتِ الأَحْبَابُ
حُزْتَ الفَضَائِلَ كُلَّهَا، فَتَعَدَّدَتْ ... لَكَ إِثْرَهَا الأَسْمَاءُ وَالأَلْقَابُ(٥)

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).
(٢) «شَرْحُ دِيْوَانُ المُتَنَبِّي، لِلواحِدِي» (١/ ٣٠٨) وَأَغَرُّ اللَّقَب، أَيْ: مَشْهُورُه، وَالأَغَرُّ مِنَ الخَيْلِ: الأَبْيَضُ الجَبهَةِ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِكُلِّ وَاضِحٍ، والجِرِشَّى: النَّفْسُ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢١٢٠)، وَمُسْلِمٌ (٢١٣١).
(٤) والغَوْرُ: كُلُّ مَا انْحَدَرَ مُغَرِّبًا عَنْ تُهَامَةَ.
(٥) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظُه اللَّهُ -.

نَسَبُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نَسَبٌ بِأَجْنِحَةِ المَلائِكَةِ ارْتَقَى ... شَأْوًا إِلَيْهِ الوَهْمُ لَيْسَ بِوَاصِلِ[(١)]

مَنْ تَأَمَّلَ نَسَبَ النَّبِيِّ ﷺ الشَّرِيفَ، وَطِيبَ أَصْلِهِ المُنِيفِ - عَرَفَ اصْطِفَاءَ اللهِ لَه، وَكَمَالَ عِنَايَتِهِ بِهِ، وَقَدْ أَقَرَّ بِنَسَبِهِ الشَّرِيفِ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ؛ فَهَذَا أَبُو سُفْيَانَ يُقِرُّ أَمَامَ هِرَقْلَ بِعُلُوِّ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ: «كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟»، فَأَجَابَ أَبُو سُفْيَانَ - وَهُوَ حِيْنَئِذٍ عَلَى الكُفْرِ-: «هُوَ فِيْنَا ذُو نَسَبٍ».

قَالَ هِرَقْلُ: «فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا»[(٢)].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلِنَسَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا شَهِدَ لَهُ بِهِ عَدُوُّهُ إِذْ ذَاكَ أبو سُفْيَانَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَشْرَفُ الْقَوْمِ قَوْمُهُ، وَأَشْرَفُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ، وَأَشْرَفُ الْأَفْخَاذِ فَخِذُهُ[(٣)]»[(٤)].

شَهِدَ الأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى العِدَا ... والفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٥٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٨٢).

(٣) الفَخِذُ فِي العَشَائِرِ: أَقَلُّ مِنَ البَطْنِ، أَوَّلُهَا الشَّعْبُ، ثُمَّ القَبِيْلَة، ثُمَّ الفَصِيْلَة، ثُمَّ العِمَارَة، ثُمَّ البَطْن، ثُمَّ الفَخِذُ. انْظُرْ: «الصَّحَاحُ» (٢/ ٥٦٨).

(٤) «زَادُ المِعاد» (١/ ٧٠).

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا أَنْبَلَ الخَلْقِ أَصْلاً وَأعْرَقَ النَّاسِ عِرْقًا
وَأَطْهَرَ الخَلْقِ نَفْسًا وَأَكْمَلَ الخَلْقِ خَلْقًا
نَفْسِي فِدَاكَ، وَرُوْحِي فِدًى لِعِرْضِكَ زَهْقَى
قُلُوبُنَا ذَائِبَاتٌ إِلَى لِقَائِكَ شَوْقًا
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي مَا لاَحَتِ الشَّمْسُ شَرْقًا

١- نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيْهِ:

قَدْ أَخْطَأَ النَّجْمُ مَا نَالَتْ أُبُوَّتُهُ   مِن سُؤدُدٍ باذِخٍ في مَظهَرٍ سَنِمِ
نُموا إِلَيهِ فَزادوا في الوَرى شَرَفًا   وَرُبَّ أَصْلٍ لِفَرعٍ في الفَخارِ نُمِي[(١)]

نَسَبُهُ ﷺ كَمَا يَسُوقُهُ عُلَمَاءُ النَّسَبِ هُوَ:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كَنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ ابْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ[(٢)].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ أَنْ سَاقَ النَّسَبَ: «إِلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصِّحَّةِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَّابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ عَدْنَانَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنِهِمْ أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[(٣)].

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٤/ ٥٦٠).
(٢) انْظُرْ: «صَحِيْحُ البُخَارِيُّ» (٤/ ٢٣٨)، بَابَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، «زَادُ المِعاد» (١/ ٧٠).
(٣) «زَادُ المِعاد» (١/ ٧٠).

سَمَا بِهِ النَّسَبُ الوَضَّاحُ، فَاجْتَمَعَتْ ... فِيْهِ المَحَامِدُ أَشْكَالًا وَأَلْوَانَا[١]

وَقَالَ آخَرُ:

نَبِيٌّ حَبَا عَدْنَانَ فَضْلًا وَسُؤْدُدًا ... فَعَمَّتْ جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ مَوَاهِبُهْ

أَخُو هِمَمٍ لاَ يُدْرِكُ الدَّهْرُ شَأْوَهَا ... وَيَجْهَلُهَا أَعْدَاؤُهُ وَأَقَارِبُهْ[٢]

٢- نَسَبُهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ:

فَأُقْسِمُ مَا أُنْثَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ ... وَلاَ وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَهْ

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ ... مُجَنَّبَةٌ لُؤمَ الْقَبَائِلِ مَاجِدَهْ[٣]

أُمُّهُ ﷺ هِيَ: آمِنَةُ بِنْتَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ[٤]، فَيُصْبِحُ زُهْرَةُ الَّذِي تَنْتَسِبُ إِلَيْهِ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ أَخًا لِقُصَيٍّ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ الرَّابِع، فَزُهْرَةُ وَقُصَيٌّ أَخَوَانِ، فَيَلْتَقِي نَسَبُ أَبِيْهِ ﷺ مَعَ نَسَبِ أُمِّهِ فِي كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ.

وَكَانَ أَبُوهَا وَهْبٌ سَيِّدَ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا.

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنَ شَمْسِ الضُّحَى ... نُورًا،وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا[٥]

وقَالَ آخَرُ:

نَسَبٌ لبَاذِخِ مَجْدِهِ تَعْنُو الوُجُوهُ ... فَكَمْ هُنَالِكَ مِنْ مَلِيْكٍ مَاثِلِ

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ» (٣٥/ ٤٥٩).

(٢) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٣٨).

(٣) «سُبُلُ الهُدَى وَالرَّشَاد فِي سِيْرَةِ خَيْرِ العِبَادِ» (١/ ٣٥٢).

(٤) «الرَّوْضُ الْأُنُفُ» (١/ ٢٦٩).

(٥) «أَخْبَارُ أَبِي تَمَّامٍ» (٩).

شَـرَفٌ إِلَـى العَـرْشِ انْتَهَـى فَأَمَامَـهُ   تَــقِفُ الثَّــوَابِتُ وَقَفَـةَ المُتَضَائِـلِ[١]

وَقَالَ آخَرُ:

وَاخْـتَــارَ آمِـنَةَ العَـذْرَاءَ صَاحِبَـةً   لِفَضْلِهَـا بَيْـنَ أَهْـلِ الـحِلِّ وَالحَـرَمِ

كِلاهُمـا فِـي العُـلا كُـفءٌ لِصَاحِبِـهِ   وَالكُـفءُ فـي المَجْـدِ لا يُسْـتَامُ بِالقِيَـمِ

فَأَصبَحَـتْ عِنـدَهُ فـي بَيـتِ مَكرُمَـةٍ   شِـيدَتْ دَعائِمُـهُ فـي مَنصِـبٍ سَـنِمِ[٢]

فَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرَةُ الخَيْرِ مِنْ كِلاَ طَرَفَيْهِ.

وكـم أبٍ قـد عـلا بابـنٍ ذُرى شَـرَفٍ   كَـمَـا عـلَا بِرَسُــولِ اللَّـهِ عَـدْنَانُ[٣]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٥٦).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

(٣) «أحسن ما سمعت» (١٦).

حِفْظُ اللهِ لَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ

تسللَ في الأصلابِ من عهد آدمَ فَسَارَ مسيرَ الشمسِ في طالعِ النطحِ

مِنْ حِفْظِ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ حَفِظَهُ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ، فَلَمْ يُصِبْهُ مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مِنْ لَدُنْ آدَمَ.

قَالَ ﷺ: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، وَلَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»[(١)].

نُورٌ تَنَقَّلَ فِي الأَكْوَانِ سَاطِعُهُ تَنَقُّلَ البَدرِ مِنْ صُلبٍ إِلى رَحِمِ
حَتَّى اسْتَقَرَّ بِعَبْدِ اللهِ فَانْبَلَجَتْ أَنْوارُ غُرَّتِهِ كَالبَدرِ في البُهُمِ[(٢)(٣)]

وقال آخرُ:

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ أَكْرَمَ مُنْجَبٍ جَرَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ الْمَنَاجِبِ
مُقَابَلَةً آبَاؤُهُ أُمَّهَاتِهِ مُبَرَّأَةٌ مِنْ فَاضِحَاتِ الْمَثَالِبِ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

مِنْ صُلْبِ آدَمَ ثُمَّ فِي الأَرْحَامِ قَدْ حَفِظَتْكَ عَيْنُ اللَّهِ دُونَ سِفَاحِ
وَأَتَى بِكَ الرَّحْمَنُ طُهْرًا خَالِصًا حَتَّى تَكُونَ مُطَهِّرَ الأَرْوَاحِ

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» (٤٧٢٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٣٢٢٥) مِنْ حَدِيْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البُهُمُ: اللَّيَالِي الثَّلَاثُ الَّتِي لَا يَبْدُو فِيهَا القَمَرُ، واحدتُها بُهْمَةٌ - بِالضَّمِّ-.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

اصْطِفَاءُ اللّهِ لَهُ

١- اصْطِفَاءُ النُّبُوَّةِ:

وَكَفَى اصْطِفَاءً كَوْنُنَا مِنْ أُمَّةٍ وَسَطٍ أَجَابَتْ مُصْطَفَاهَا أَحْمَدَا[(١)]

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٤].

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحَجُّ: ٧٥].

وَقَالَ اللهِ ﷻ: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غَافِرُ: ١٥].

فَعَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَهْلٌ لِلرِّسَالَةِ؛ فَخَصَّهُ بِهَا، وَأَنَّ الأَمْرَ لَا يُجَارِي أَهْوَاءَ النَّاسِ فِيمَنْ يُرَشِّحُونَهُ لِذَلِكَ مِنْ كُبَرَائِهِمْ!.

كَمَا قَالَ اللهِ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزُّخْرُفُ: ٣١].

فَالاصْطِفَاءُ حَقٌّ لِلهِ وَحْدَه، لاَ يَتَصَرَّفُ فِيْهِ أَحَدٌ؛فَالمُرْسِلُ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ الرَّسُولَ، وَهُوَ ﷻ لاَ يَخْتَارُ إِلَّا أَزْكَى الخَلْقِ قَلْبًا، وَأَشْرَفَهُمْ بيْتًا، وَأَطْهَرَهُمْ أَصْلًا، وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا.

عَلِمَ الإِلَهُ بِأَنَّ أَحْمَدَ أَهْلُهَا جَعَلَ الرِّسَالَةَ فِيْهِ دُونَ سِوَاهُ
فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ الأَمِيْنُ بِوَحْيِهِ وَاللهُ أَيَّدَ دِيْنَهُ وَحَمَاهُ

(١) «الوَسِيْطُ فِي تَرَاجِمِ أُدَبَاءِ شِنْقِيط» (٢٧٢).

فَــاللهُ أَعْلَـمُ حَـيْثُ يَجْعَـلُ أَمْـرَهُ مَـهْـمَا تَـرَاءَتْ حَوْلَـكَ الأَشْـبَاهُ[١]

٢- اصْطَفَاءُ النَّسَبِ:

لَـهُ ا النَّسَـبُ الوَضَّـاحُ فِـي جَبْهَـةِ العُلَى مَعَ الحَسَـبِ السَّـامِي جَمِيْعَ الخَلائِقِ[٢]

اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ البُيُوتِ وَأَشْرَفِهَا وَأَعْرَقِهَا.

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيْلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[٣].

يُـعَـدُّ رَسُـولُ اللـهِ فَـخْرًا لمَجْـدِهِ وَحَسْبُكَ مَجْدًا فِي الذُّرَى وَالشَّوَاهِقِ[٤]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَـا أَرْفَـعَ النَّـاسِ نُـبْـلاً وَأَعْـرَقَ النَّـاسِ أَصْـلًا
قَـدْ زَادَكَ اللـهُ مَـجْـدًا فَـكُـنْـتُ لِلـوَحْـيِ أَهْـلًا
فَـأَشْـرَقَ الـحَـقُّ نُـورًا يَـمْـحُو ظَـلامًـا وَجَـهْـلًا

٣- اصْطِفَاءُ المَكَانِ:

هُـنَـا بِـمَكَّةَ آيُ اللـه قَـدْ نَزَلَـتْ هُـنَا تَرَبَّـى رَسُـولُ الله خَيْـرُ نَبِـي
هُـنَا الصَّحَابَـةُ عَاشُـوا يَصْنَعُـونَ لَنَـا مَجْـدًا فَرِيْـدًا عَلَـى الأَيَّـامِ لَـمْ يَشِـبِ

اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ أَحَبِّ بِلادِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ.

---

(١) قالهُ أُسْتَاذُنا - حفظَهُ اللَّهُ -.

(٢)«دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٥٣).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٠٢).

(٤)«دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٥٣).

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَدِيٍّ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ ﷺ وَهُوَ على نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ: «**وَاللهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[١].

دَارُ التُّقَى، وَمُحَمَّدٌ مِنْهَا أَتَى ... وَالمَنْبَعُ القُدْسِيُّ مِنْهَا يَطْلُعُ
فِي مَكَّةَ الأَمْجَادِ نُورٌ يَلْمَعُ ... وَكِتَابُ رَبِّي أَشْرَقَتْ آيَاتُهُ
بَلَدٌ إِلَيْهَا كُلُّ خَيْرٍ يَنْتَمِي ... وَالحَاكِمُ الجَبَّارُ عَنْهَا يُمْنَعُ
وَالمَاءُ زَمْزَمُ، وَالحَطِيمُ مُبَارَكٌ ... وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ آيٌ تَسْطَعُ
وَالكَعْبَةُ الشَّمَّاءُ فِيهَا قِبْلَةٌ ... رَمْزُ الهُدَى لِلعَالَمِينَ وَمَنْبَعُ

٤- اصْطِفَاءُ الزَّمَانِ:

سَجَدَتْ لِطِيبِ زَمَانِكَ الأَزْمَانُ ... وَتَضَاءَلَتْ فِي وَزْنِكَ الأَوْزَانُ[٢]

اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**»[٣].

سَبَقَ البُرْدَ طِيبُهُ فَهُوَ مَقْرُو ... ءٌ، وَمَا فُضَّ عَنْ كِتَابٍ خِتَامُ
وَرَأَى النَّاسُ مِن زَمَانِكَ فِي الـ ... يَقَظَةِ مَا لَا تُرِيهُمُ الأَحْلَامُ
جَلَّ عَنْ سَائِرِ العُصُورِ فَقَدْ قِيـ ... لَ: مَنَامٌ فَدَامَ هَذَا المَنَامُ[٤]

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٩٢٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المِشْكَاةِ» (٧٠٨٩)، وحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَدِ» (٧١٠).

(٢) «حَمَاسَةُ الظُّرَفَاءِ» (٣٨).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٥/ ١٦١).

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا سَيِّدَ الأَنْبِيَاءِ الغُرِّ أَجْمَعِهِمْ   حَتَّى زَمَانُكَ أَضْحَى سَيِّدَ الزَّمَنِ
لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ أَفْوَاهًا وَأَلْسِنَةً   لَأَعْجَزَ الدَّهْرَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنِ

٥- اصْطِفَاءُ النَّاسِ:

النَّاسُ -مَا لَمْ يَرَوْكَ- أَشْبَاهُ   والدَّهْرُ لَفْظٌ، وَأَنْتَ مَعْنَاهُ(١)

بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا...**»(٢).

فَقَوْلُهُ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» أَيْ: أَهْلُ قَرْنِي، ثُمَّ أَهْلُ القَرْنِ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ أَهْلُ القَرْنِ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ، الأَوَّلُ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ أَتْبَاعُهُمْ، ثُمَّ أَتْبَاعُ أَتْبَاعِهِمْ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ وَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ»(٣).

قَالَ العَبَّادُ -حَفِظَهُ اللهُ-: «فَهَذِهِ الأُمَّةُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ،

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي الطَّيِّبِ» (٣٨).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٥٢) ومُسْلِمٌ (٢٥٣٣).

(٣) (حَسَنٌ مَوْقُوفًا) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (١/ ٣٧٩)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الضَّعِيفَةِ» (٥٣٣)، وَشَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد مِمَّا لَيْسَ فِي الصَّحِيْحَيْنِ» (٤١٤).

وَأَصْحَابُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ هُمْ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَهُمْ أَفْضَلُ مَنْ مَشَـى عَلَى الأَرْضِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَـلِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَـلامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى رُسُـلِهِ، وَرَضِيَ اللهُ -تَعَالَى- عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ»[١].

هُـمُ النَّـاسُ نَاسِـي والزَّمَـانُ زَمَانُهُـمْ   رَبِيْعِي وَكَسْـبِي مِنْ رِضَاهُمْ هُوَ الكَسْـبُ[٢]

---

(١) «شَرْحُ سُنَن أَبِي دَاوُد» (٤/ ١٩).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨١/ ٤٧٨).

صِفَاتُهُ الخَلْقِيَّةُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البَـدْرُ دُونَـكَ فِـي حُسْـنٍ وَفِـي شَـرَفٍ وَالبَحـرُ دونَـكَ فِـي خَيْـرٍ وَفِـي كَـرَمٍ[١]

كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَحْسَـنَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَ النَّاسِ،لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ -قَطُّ- إِلَّا شَبَّهَهُ بِالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، بَلْ أَجْمَلُ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ - أَيْ: مُضِيْئَـةٍ مُقْمِـرَةٍ - وَعَلَيْـهِ حُلَّـةٌ حَمْـرَاءُ، فَجَعَلْـتُ أَنْظُـرُ إِلَيْـهِ وَإِلَى القَمَرِ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ القَمَرِ»[٢].

وَعَـنْ رَبِيعَـةَ بْـنِ أَبِـي عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ قَـالَ: سَـمِعْتُ أَنَـسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ رَبْعَةً[٣] مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ، أَزْهَـرَ[٤] اللَّـوْنِ، لَيْـسَ بِأَبْيَـضَ أَمْهَـقَ، وَلاَ آدَمَ[٥]، لَيْـسَ بِجَعْـدٍ[٦] قَطَـطٍ[٧]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

(٢) (صَحِيْـحٌ) أَخْرَجَـهُ التِّرْمِـذِيُّ (٢٨١١)، والدَّارَمِـيُّ(١/ ٣٣)، وَالحَاكِـمُ(٤/ ١٨٦)، وَالبَيْهَقِيُّ (١/ ١٩٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ»(٢٧).

(٣) رَبْعَةً: أَيْ: مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الطُّولِ والقِصَرِ.

(٤) أَزْهَرَ اللَّوْنِ: هُوَ الأَبْيَضُ المُسْتَنِيْر، وَهُو أَحْسَنُ الأَلْوَانِ، وَالزُّهْرَةُ: البَيَاضُ النَّيِّرُ.

(٥) وَلاَ آدَمَ: الأُدْمَةُ فِي النَّاسِ السُّمْرَةُ الشَّدِيْدَةُ.

(٦) لَيْسَ بِجَعْدٍ: الجَعْدُ - بِفَتْحٍ وَسُكُونٍ -: الشَّعْرُ فِيْهِ الْتِوَاءٌ وَانْقِبَاضٌ.

(٧) الشَّعْرُ القَطَطُ: الشَّدِيْدُ الجُعُودَةِ.

وَلَا سَبْطٍ[١] رَجِلٍ»[٢].

عَنْ الْجَرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟، قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا[٣]»[٤].

فَمَا طَلْعَةُ البَدْرِ المُنِيرِ مُضِيئَةً كَطَلْعَتِهِ الغَرَّاءِ فِي كُلِّ غَاسِقِ
مَهِيبٌ فَلَوْلاَ مَا بِهِ مِنْ تَكَرُّمٍ لَمَا لَمَحَتْهُ هَيْبَةً عَيْنُ رَامِقِ[٥]

١- صِفَةُ وَجْهِهِ وَأَعْضَائِهِ:

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرُ دُجَىً يُضِيءُ مُلْتَثِمًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمِ[٦]

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، فَكَانَ وَجْهُهُ كَالقَمَرِ والشَّمْسِ مُسْتَدَيْرًا، وَكَانَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- عَظِيمَ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ[٧]، مُشَرَّبَ العَيْنَيْنَ حُمْرَةً، أَشْكَلَ أَسْوَدَ الحَدَقَةِ أَدْعَجَ[٨]، أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ[٩]، دَقِيقَ

---

(١) وَلاَ سَبْطٍ رَجِلٍ: الشَّعْرُ المُسْتَرْسِلُ، فَالحَاصِلُ أَنَّ شَعْرَهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ شَدِيْدَ الجُعُودَةِ، وَلَا شَدِيْدَ السُّبُوطَةِ، بَلْ بَيْنَهُمَا.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٧) ومُسْلِمٌ (٢٣٤٧).

(٣) مُقَصَّدًا: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلاَ نَحِيفٍ، وَلاَ طَوِيلٍ وَلاَ قَصِيرٍ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٠).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٢٥/ ٥٤).

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٥/ ٥٧٠).

(٧) أَهْدَبَ الأَشْفَارِ: أَيْ: طَوِيْلَ الأَشْفَارِ، وَهُوَ الَّذِي شَعْرُ أَجْفَانِهِ كَثِيْرٌ مُسْتَطِيْلٌ، وَأَشْفَارُ العَيْنِ: هِيَ مَنَابِتُ الشَّعْرِ المُحِيْطِ بِالعَيْنِ، انْظُرْ: «جَامِعُ الأُصُولِ» (١١/ ٢٢٦)، وَ«لِسَانُ العَرَبِ» (٤/ ٤١٨-٤١٩).

(٨) أَدْعَجَ العَيْنِ: الشَّدِيْدَ سَوَادِ العَيْنَيْنِ. انْظُرْ: «لِسَانُ العَرَبِ»(٢/ ٢٧١).

(٩) الكَحَلُ -بِالتَّحْرِيكِ- سَوَادٌ يَكُونُ فِي مَغَارِزِ الأَجْفَانِ خِلْقَةً، قَالَهُ ابْنُ الأَثِيرِ، انْظُرْ: «جَامِعُ =

الحَاجِبَيْـنِ سَـابِغَهُمَا، أَزَجَّ[١]، أَقْـرَنَ[٢]، أَبْلَـجَ[٣]، وَاسِـعَ الجَبِيْـنِ، أَغَـرَّ أَجْلَـى كَأَنَّهُ يَتَلأَلأُ، وَكَانَ العَرَقُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ، وَكَانَ أَسِيْلَ الخَدَّيْنِ[٤] سَهْلَهُمَا، أَقْنَى الأَنْفِ[٥]، ضَلِيْعَ الفَمِ، حَسَنَ الثَّغْرِ، بَرَّاقَ الثَّنَايَا،إِذَا ضَحِكَ كَانَ يَتَلأْلأُ.

وَفِيْمَا يَلِي بَاقَةٌ عَطِرَةٌ مِنْ وَصْفِ الوَاصِفِيْنَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مِمَّنْ حَضَرَهُ وَشَاهَدَهُ تُدَلِّلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ»[٦].

عَـنِ الْبَـرَاءَ بْـنِ عَـازِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: «**كَانَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ أَحْسَـنَ النَّـاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ**»[٧].

وَسُئِلَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مثل السَّيْفِ؟[٨]

= الأُصُولِ» (١١/ ٢٣٣)، وَ«لِسَانُ العَرَبِ» (١١/ ٥٨٤).

(١) أَزَجَّ: الزَّجَـجُ -بِفَتْحَتَيْـنِ-: رِقَّـةُ مَحَطِّ الحَاجِبَيْنِ وَدِقَّتُهُمَا وَطُولُهُمَاوَسُـبُوغُمَا واسْتِقْواسُـهُما. انْظُرْ: «لِسَانُ العَرَبِ» (٦/ ٢٠).

(٢) أَقْرَنَ:القَرَنُ-بِالتَّحْرِيْكِ-:اقْتِرَانُ الحَاجِبَيْنِ بِحَيْثُ يَلْتَقِي طَرَفَاهُمَا.«النِّهَايَةُ» (٤/ ٥٤).

(٣) الأَبْلَجُ: الأَبْيَضُ الْحَسَنُ الْوَاسِعُ الْوَجْهُ، وَالمَعْنَى: مُشْرِقُ الوَجْهِ مُضِيْئُه، وَالبَلَجُ -أَيْضًا- عَدَمُ الْتِقَاءِ الْحَاجِبَيْـنِ، وَالجَمْـعُ بَيْنَ وَصْفِهِ بِالبَلَجِ وَالقَرْنِ: هُوَ أَنَّهُ ﷺ مِنْ شِـدَّةِ إِضَاءَةِ وَجْهِهِ لاَ يَظْهَرُ الالتِقَاءُ الَّذِي بَيْنَ حَاجِبَيْهِ لِخِفَّتِهِ «النِّهَايَةُ»(١/ ١٥١ -٤/ ٥٤)، وَ«لِسَانُ العَرَبِ» (٢/ ٢١٥).

(٤) أَسِيْلُ الخَدَّيْنِ أَيْ: قَلِيْلُ اللَّحْمِ مِنْ غَيْرِ نُتُوءٍ. «مَنَالُ المَطَالِبِ»(٧/ ٥٦٠).

(٥) القَنَا فِي الأَنْفِ: طُولُهُ وَرِقَّةُ أَرْنَبَتِهِ، مَعَ حَدَبٍ فِي وَسَطِهِ، «النِّهَايَةُ» (٤/ ١١٦).

(٦) «نَضْرَةُ النَّعِيْم»(١/ ٤٢٦).

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٩) ومُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٨) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفَتْحِ»: «كَأَنَّ السَّائِلَ أَرَادَ أَنَّهُ مِثْلُ السَّيْفِ فِي الطُّولِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْبَرَاءُ فَقَالَ: «**بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ**» أَيْ فِي التَّدْوِيرِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِثْلَ السَّيْفِ فِي اللَّمَعَانِ وَالصِّقَالِ، فَقَالَ: بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ، وَعَدَلَ إِلَى الْقَمَرِ لِجَمْعِهِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ التَّدْوِيرِ وَاللَّمَعَانِ».

قَالَ: «**لا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ**»(١).

وَسَأَلَ رَجُلٌ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ لَهُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟، قَالَ: «**لا بَلْ مِثْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا**(٢)»(٣).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ ... **عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ، مُشَرَّبًا بِحُمْرَةٍ**»(٤).

وَعَنْهُ - أَيْضًا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «... **كَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ**»(٥).

وَفِي حَدِيْثِ يَزِيدَ الْفَارِسِيِّ فِي رُؤْيَتِهِ الْمَنَامِيَّةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، والَّتِي قَصَّهَا على ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا، جَاءَ فِي الوَصْفِ: «... رَأَيْتُ رَجُلًا ... حَسَنُ الْمَضْحَكِ، أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، جَمِيلُ دَوَائِرِ الْوَجْهِ ...»(٦).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥٢).

(٢) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفَتْحِ»: «وَلَمَّا جَرَى التَّعَارُفُ فِي أَنَّ التَّشْبِيهَ بِالشَّمْسِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ غَالِبًا الْإِشْرَاقُ، وَالتَّشْبِيهَ بِالْقَمَرِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْمَلَاحَةُ دُونَ غَيْرِهَا، أَتَى بِقَوْلِهِ: «وَكَانَ مُسْتَدِيرًا» إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّشْبِيهَ بِالصِّفَتَيْنِ مَعًا: الْحُسْنِ وَالِاسْتِدَارَةِ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٤) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مُطَوَّلاً (١/ ٨٩، ١٠١)، وَقَالَ عَنْهُ الشَّيْخُ أَحْمَد شَاكِر: «إِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ»، انْظُرْ: «تَرْتِيْبُ المُسْنَدِ» (٢/ ٨٠-٨١) برقم (٦٤٨).

(٥) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (١/ ٢١٢-٢١٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٦٢١).

(٦) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٣٦١-٣٦٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (٤١٢)، وَالدَّارِمِيُّ (١/ ٣٣)، وَحَسَّنَهُ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ» (٦/ ٦٥٨)، وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُخْتَصَرِ الشَّمَائِلِ» (٣٤٧).

وَعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ».

قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ. قَالَ: قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ[١]. قَالَ: قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ[٢].

يقولون يحكي البدر في حسن وجهه وبدر الدجى لَمِن ذلك الحسن ينحطُّ

٢- صِفَةُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً، ضَخْمَ الْهَامَةِ**[٣]»[٤].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ**»[٥].

وَعَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قُلْنَا لِخَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْنَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ قِرَاءَتَهُ؟ قَالَ: «بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ»[٦].

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ»: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا وَهْمٌ مِنْ سِمَاكٍ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَغَلَطٌ ظَاهِرٌ، وَصَوَابُهُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَنَقَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْغَرِيبِ أَنَّ الشُّكْلَةَ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ، وَالشُّهْلَةَ - بِالْهَاءِ - حُمْرَةٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩).

(٣) الْهَامَةُ: الرَّأْسُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»(١٢/ ٦٢٤).

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ١١٦)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢١٦) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٤٤٩٦).

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٦١).

٣- صِفَةُ شَعْرِ رَأْسِهِ:

فَكَأَنَّهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَا ... يَعْلُوهُ فَوْقَ الرَّأْسِ لَيْلٌ أَسْحَمُ[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعْرِ»[٢].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»[٣].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجُمَّةِ[٤] إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ[٥]، عَلَيْهِ حُلَّةٌ[٦] حَمْرَاءُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»[٧].

وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ: «لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِلَى مَنْكِبَيْهِ».

كَمُلَتْ بِكَ الأَخْلَاقُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَى ... رَجُلٍ بِأَجْمَلِ صُورَةٍ وَنَقَاءِ
وَتَسَاوَتِ الأَعْضَاءُ فِيْكَ تَفَاخُرًا ... فَلَقَدْ خُلِقْتَ مُكَمَّلَ الأَعْضَاءِ[٨]

---

(١) قَالَهُ مَازِنٌ الْعَرْدِيُّ.

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢٧٥) وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٤٥٠٩).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٨).

(٤) الْجُمَّةُ - بالضَّمِّ -: الشَّعْرُ الَّذي نَزَلَ إلى الْمَنْكِبَيْنِ.

(٥) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ» (١٥/ ٩١): وَأَمَّا شَحْمَةُ الْأُذُنِ فَهُوَ اللَّيِّنُ مِنْهَا فِي أَسْفَلِهَا، وَهُوَ مُعَلَّقُ الْقُرْطِ مِنْهَا.

(٦) الحُلَّةُ -بِالضَّمِّ- الثَّوْبُ الجَيِّدُ الجَدِيْد، وَكَانَتْ عِنْدَ العَرَبِ تتكَوَّنُ مِنْ قَمِيْصٍ، وَإِزَارٍ، وَرِدَاءٍ.

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥١) ومُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٨) قاله أُستاذُنا.

٤- صِفَةُ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِه:

إِنَّمَا الشَّيْبُ لابْنِ آدَمَ نَاعٍ قَامَ فِي عَارِضَيْهِ[١] ثُمَّ نَعَاهُ[٢][٣]

كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ قَلِيلٌ مِنَ الشَّيْبِ، وَكَانَ أَكْثَرُ شَيْبٍ فِي فَوْدَيْ رَأْسِهِ[٤]، وَكَانَ أَكْثَرُ شَيْبِ لِحْيَتِهِ فِي عَنْفَقَتِهِ[٥] فَوْقَ الذَّقْنِ، وَكَانَ شَيْبُهُ كَأَنَّهُ خُيُوطُ الْفِضَّةِ يَتَلأْلأُ بَيْنَ ظَهْرِيْ سَوَادِ الشَّعْرِ الَّذِي مَعَه، وَإِذَا مَسَّ ذَلِكَ الشَّيْبَ الصُّفْرَةُ -وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ - صَارَ كَأَنَّهُ خُيُوطُ الذَّهَبِ يَتَلأْلأُ بَيْنَ ظَهْرِيْ سَوَادِ الشَّعْرِ الَّذِي مَعَهُ، صَلَوَاتُ اللهَ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ»[٦].

وَبِنَحْوِ ذَلِكَ وَرَدَتِ الأَحَادِيْثُ وَالأَخْبَار، فَمِنْ ذَلِكَ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ**».

قَالَ رَبِيعَةُ: «فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ، فَسَأَلْتُ، فَقِيلَ: مِنَ الطِّيْبِ»[٧].

مَا شَانَ خَيْرُ الخَلْقِ شَيْبٌ إِنَّما هِيَ أَنْجُمٌ تَحْتَ الْغَمَامِ بَوَادِ
فَاحْرِصْ إِذَا وَافَاكَ شَيْنُ الشَّيْبِ أَنْ لاَ تَخْضِبَنَّ بَيَاضَهُ بِسَوَادِ

---

(١) العارضان: جَانِبا الْوَجْهِ.
(٢) نَعَاهُ: أَخْبرَ بِمَوْتِهِ.
(٣) «دِيْوَانُ أَبِي العَتَاهِيَةِ» (١٨١).
(٤) الفَوْدَان: جَانِبَا الفَرْق وَحَرْفَاهُ.
(٥) العَنْفَقَةُ -بِالفَتْح- الشَّعْرِ الَّذِي فِي الشَّفَةِ السُّفْلَى، وَقِيْلَ: الشَّعْرُ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الذَّقَنِ، وَأَصْلُ العَنَفَقَةِ: خِفَّةُ الشَّيْءِ وَقِلَّتُهُ. «النِّهَايَةُ» (٣/ ٣٠٩).
(٦) انْظُرْ: «نَضْرَةُ النَّعِيْم» (١/ ٤٣٢).
(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٤٧) ومُسْلِمٌ (٢٣٤٧) عَدَا قَوْلِ رَبِيْعَةَ.

٥- صِفَةُ مَنْكِبَيْهِ:

مَا تَدْلُكُ الشَّمْسُ إِلَّا حَذْوَ مَنْكِبِهِ فِي حَوْمَةٍ حَوْلَهَا الهَامَاتُ تَبْتَدِرُ[(١)]

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ**»[(٢)].

حَمَلَ المَكَارِمَ عَنْهُمْ فَوَفَى بِهَا عَبْلَ الذِّرَاعِ[(٣)] مَتِينَ حَبْلِ الكَاهِلِ[(٤)]

٦- صِفَةُ ذِرَاعَيْهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ شَبْحَ الذِّرَاعَيْنِ**[(٥)]»[(٦)].

صِفَةُ الكَفَّيْنِ:

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ وَنَدِيُّ الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ[(٧)]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ الْيَدَيْنِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ أَرَ -بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ- مِثْلَه، وَكَانَ بَسْطَ الْكَفَّيْنِ**[(٨)]»[(٩)].

---

(١) «البَصَائِرُ وَالذَّخَائِرُ» (٤/ ٢٠٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٥١)، ومُسْلِمٌ (٢٣٣٧).

(٣) عَبْلُ الذِّرَاعِ: ضَخْمُ الذِّرَاعِ، وامْرَأَةٌ عَبْلَةٌ تَامَّةُ الخَلْقِ. «المِصْبَاحُ المُنِير» (٢/ ٣٩٠).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢/ ٣٩٠).

(٥) شَبْحَ الذِّرَاعَيْنِ: أَيْ: طَوِيْلَهُمَا، وَقِيْلَ: عَرِيْضُهمَا. «النِّهَايَةُ»(٢/ ٤٣٩).

(٦) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٣٢٨-٤٤٨)، والبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٢٤٤)، وَحَسَّنَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٦٩٢).

(٧) «دِيْوَانُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ» (٢٥).

(٨) بَسْطَ الْكَفَّيْنِ: البَسْطَةُ: الزِّيَادَةُ والسَّعَةُ «لِسَانُ العَرَبِ» (٧/ ٢٦٠).

(٩) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٠٧).

٧- صِفَةُ القَدَمَيْنِ:

مَـا العِـزُّ إِلاَّ فـي ثَـرَى القَـدَمِ الَّتـي   حَـسَدَتْ عَـلَيْهَا النَّيِّـرَاتُ ثَـرَاكَا[١]

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ القَدَمَيْنِ».

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَثْنَ الْقَدَمَيْنِ[٢]»[٣].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْهُوسَ[٤] الْعَقِبَيْنِ»[٥].

وَأَحْسَنَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي   وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النَّسَاءُ[٦]

وَقَالَ شَوْقِي رحمه الله:

أَمَّا الجَمَالُ فَأَنتَ شَمْسُ سَمَائِهِ   وَمَلاحَةُ الصِّدِّيقِ مِنْكَ أَيَاءُ[٧]

وَالحُسْنُ مِنْ كَرَمِ الوُجُوهِ وَخَيْرُهُ   مَا أُوتِيَ القُوَّادُ وَالزُّعَمَاءُ[٨]

٨- خَاتَمُ النُّبُوَّةِ:

أغَـرُّ، عَـلَيْـهِ لِلنُّبُـوَّة خَاتَـمٌ   مِـنَ اللَّـهِ مَشْـهُودٌ يَلُـوحُ ويُشْـهَدُ[٩]

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَدَ شَوْقِي» (٧٨٢).

(٢) شَثْنَ الْقَدَمَيْنِ – بِالْفَتْحِ – أَيْ: غَلِيظَهُمَا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩١٠).

(٤) مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ أَيْ: قَلِيْلُ لَحمِ الْعَقِبَيْنِ، والعَقِبُ: هُوَ مُؤَخَّرُ القَدَمِ، قَالَ ابْنُ كَثِيْر تَعْقِيبًا عَلَى أَنَّهُ قَلِيْلُ لَحمِ العَقِبِ: «هَذَا أَنْسَبُ وَأَحْسَنُ فِي حَقِّ الرِّجَالِ» انْظُرْ: «الشَّمَائِلَ» لابْنِ كَثِيْرٍ (٤٤).

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩).

(٦) «دِيْوَانُ حَسَّان» (١٠)، دَارُ صَادِر.

(٧) أَيَاءُ الشَّمْسِ – بِالفَتْحِ وَالمَدِّ –: نُورُهَا وَحُسْنُهَا.

(٨) «دِيْوَانُ أَحْمَدَ شَوْقِي» (٦).

(٩) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ» (٤٢).

عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا - أَوْ قَالَ ثَرِيدًا - قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟، قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ، «فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ[١] الْيُسْرَى جُمْعًا[٢]، عَلَيْهِ خِيلَانٌ[٣]، كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ[٤]»[٥].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «... كَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُسْتَدِيرًا، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ[٦] يُشْبِهُ جَسَدَهُ»[٧].

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ، وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ، وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ![٨]

٩- طِيبُ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

الطِّيبُ - أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ - طِيبُهُ ... وَالمَاءُ أَنْتَ - إِذَا اغْتَسَلْتَ - الغَاسِلُ[٩]

(١) نَاغِضِ كَتِفِهِ: قَالَ الجُمْهُور: هُوَ أَعْلَى الْكَتِف، وَقِيلَ: هُوَ الْعَظْمُ الرَّقِيقُ الَّذِي عَلَى طَرَفِهِ، وَقِيلَ: مَا يَظْهَرُ مِنْهُ عِنْدَ التَّحَرُّكِ، سُمِّيَ نَاغِضًا لِتَحَرُّكِهِ.
(٢) جُمْعًا: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ كَجُمْعِ الكَفِّ، وَهُوَ صُورَتُهُ بَعد أَنْ تَجمَعَ الأَصَابعِ وَتَضُمَّهَا.
(٣) الْخِيلَانَ: جَمْعُ خَالٍ، وَهُوَ الشَّامَةُ فِي الْجَسَدِ.
(٤) الثَّآلِيلُ: جَمْعُ ثُؤْلُولٍ، وهُوَ حُبَيْبَاتٌ تَعْلُو الجَسَدَ. قَالَ القَاضِي: «وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّها شَاخِصٌ فِي جَسَدِهِ قَدْرَ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ».
(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٦).
(٦) بَيْضَةُ الْحَمَامَةِ: هِيَ بَيْضَتُهَا المَعْرُوفَةُ.
(٧) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٤).
(٨) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٧١).
(٩) «تتمة اليتيمة» (١/ ١٨٩).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنَا[١]، فَجَاءت أُمِّي أُمُّ سُلَيْم بِقَارورةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ[٢] فِيها، فاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟».

قَالَتْ: هذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طيبنَا، وهُو مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ[٣].

وَعَنْ أنسٍ رضي الله عنه قَال: مَا مَسِسْت حَرِيرًا ولا ديباجًا[٤] أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ ولا شَمَمْتُ رِيحًا - قَطُّ - أَوْ عَرْفًا - قَطُّ - أَطْيَبَ مِن ريحِ أَوْ عَرْفِ النبيِّ ﷺ»[٥].

إنْ قَامَ قَامَ أَرِيجُ الْمِسكِ يَلْحَقُهُ ... نَوَاشِرُ الطِّيبِ مِنْ جَنْبَيْهِ تُنْتَسَمُ[٦]

---

(١) فقالَ عِنْدَنا أَيْ: نامَ للقَيْلُولةِ.

(٢) تَسْلُتُ العَرَقَ أَيْ: تَمْسَحُهُ وتَتْبَعُهُ بالْمَسْحِ.

(٣) رواه مسلم (٢٣٣١).

(٤) الدِّيبَاجُ - بِكَسْرِ الدَّالِ وَقَدْ تُفْتَحُ -: الثِّيابُ الْمُتَّخَذةُ مِنَ الإبْرِيسَمِ، وهو الْحَرِيرُ الخَالِصُ، فهو مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ على الْعَامِّ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٦١).

(٦) «موسوعةُ الشعر الإسلاميِّ» (٧١/ ٥٦٠).

مَوْلِدُهُ ﷺ

وُلِدَ الهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ[١]

وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ،وَهَذَا مِمَّا لاَ خِلَافَ فِيْهِ[٢].

وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ - فِيهِ**»[٣].

وَكَانَ مَوْلِدُهُ ﷺ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ[٤].

وَقِيْلَ: ثَامِنُهُ[٥]، وَالمَشْهَورُ الأَوَّل، وَذَلِكَ عَامَ الفِيْلِ بِاتِّفَاقِ العُلَمَاءِ[٦].

(١) «الشَّوقِيَّاتُ» (١/ ١).

(٢) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةِ» (١/ ٣٧٤).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه.

(٤) سِيْرَةُ أَبِي إِسْحَاقَ(١/ ١٥٩)، وَ«تَارِيْخُ ابْنِ جَرِيرٍ»(٢/ ١٦٢)، وَ«دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (١/ ١٧٤)، وَ«البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةِ» (٢/ ٢٤٢).

(٥) أَمَّا الثَّامِنُ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ فَرَوى ذَلِكَ الإِمَامُ مَالِكٌ عَنِ التَّابِعِيِّ الجَلِيْلِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنُ مُطْعِمٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ؛ وَلِذَلِكَ صَحَّحَ هَذَا القَوْلَ أَصْحَابُ التَّارِيْخِ وَاعْتَمَدُوهُ: كَابْنِ فَارِسٍ فِي «أَوْجَزِ السِّيَرِ» (٧)، وَالمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ فِي «خُلَاصَة سِيْرَةِ سَيِّدِ البَشَرِ»(١/ ٢١١)، وَحَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «الاسْتِعَابِ» (١/ ١٨-١٩)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الخُوَارَزمِيِّ، وَنَقَلَ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَة» (٢/ ٢٤٢) عَنِ الخُوَارَزْمِيِّ:أَنَّهُ قَطَعَ بِهِ، وَرَجَّحَهُ الحَافِظُ أَبُو الخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةِ فِي كِتَابِهِ «التَّنْوِيْرُ فِي مَوْلِدِ البَشِيْرِ»، انْظُرْ: «حَاشِيَةُ الفُصُولِ» (٤٢) لِلهَلالِيِّ.

(٦) انْظُرْ:«الصَّحِيْحَة» (٧/ ٤٣٤)لِلأَلْبَانِيِّ، وَنَقَلَ خَلِيْفَةُ فِي «تَارِيْخِهِ»(٥٣): الإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ.

ضَـاءَتْ بِـهِ غُـرَّةُ الإِثْنَيْـنِ وَابتَسَـمَتْ   عَـنْ حُسـنِهِ فِـي رَبيـعٍ رَوْضَـةُ الحَرَمِ[١]

وَقَالَ آخَرُ:

قَلْبِـي «لآمِنَـةٍ» هَـلْ أَنْجَبَـتْ وَلَـدًا   أَمْ أَهْـدَتِ الأَرْضَ مِيْـزَانًا لِـتَتَّزِنَا

وَقَالَ شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَجَلَّـى مَولِـدُ الـهَادِي وَعَمَّـتْ   بَشَـائِـرُهُ البَـوَادِيَ وَالقِـصَابَا[٢]

وَأَسْـدَتْ لِلبَـرِيَّةِ بِـنْتُ وَهْـبٍ   يَـدًا بَيْضَـاءَ طَوَّقَـتِ الرِّقَـابَا

لَـقَـدْ وَضَعَتْـهُ وَهَّـاجًا مُنيْـرًا   كَـمَـا تَلِـدُ الـسَّمَواتُ الـشِّهَابَا

فَـقَـامَ عَـلَى سَمَـاءِ البَيْـتِ نُـورًا   يُـضِـيءُ جِـبَالَ مَـكَّـةَ وَالنِّقَابَـا[٣]

وَضَـاعَتْ[٤] يَثْرِبُ[٥] الفَيْحَاءُ[٦] مِسْكًا   وَفَـاحَ القَـاعُ أَرْجَـاءً وَطَابَـا[٧]

وَقَالَ آخَرُ:

بُشْـرَى النُّبُّوة طَافَتْ كَالشَّـذَى سَـحَرًا   وأَعْلَـنَتْ فـي الرُّبَـى[٨] مِيـلادَ أَنْـوَارِ

وَشَـقَّتِ الصَّمْـتَ والأَنْسَـامُ تَحْمِلُهَـا   تَحْـتَ الـسَّكِينةِ مـن دارٍ إلـى دارِ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ٦٠٦).

(٢) القِصاب: جَمْعُ قَصَبَةٍ، وقَصَبَةُ البَلَدِ مَدِينتُهُ.

(٣) النِّقاب: جَمْعُ نَقْبٍ - بالفتحِ - وهو الطريقُ، وقيل: الطَّريقُ الضَّيِّقُ في الجَبَل.

(٤) ضاعتْ: نَفَحَتْ وفاحَتْ.

(٥) يَثْرِبُ: مدينةُ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام.

(٦) الفيحاء: الواسعة.

(٧) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٣/ ١٢٠٢).

(٨) الرُّبى: جمْعُ ربْوَةٍ - بتثليث الرَّاء -: وهي كلُّ ما ارتفع مِنَ الأرضِ.

وَهَدْهَدَتْ «مَكَّةَ» الوَسْنَى[1] أَنَامِلُها ... وهزَّتِ الْفَجْرَ إيذانًا[2] بإسفارِ[3]

قَأَقْبَلَ الْفَجْرُ مِنْ خَلْفِ التِّلالِ وَفِي ... عَيْنيهِ أَسْرَارُ عُشَّاقٍ وسُمَّارِ

كَأَنَّ فَيْضَ السَّنَى[4] في كُلِّ رابيةٍ ... مَوْجٌ، وفي كُلِّ سَفحٍ[5] جَدْوَلٌ[6] جارِي

تَدَافَعَ الْفَجْرُ في الدُّنْيا يَزُفُّ إلى ... تارِيخِها فَجْرَ أَجْيَالٍ وأدْهَارِ

واسْتَقْبَلَ طِفْلًا فِي تَبَسُّمِهِ ... آيَاتُ بُشْرَى وإِيمَاءَاتُ إِنْذَارِ[7]

وقال لسان الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ:

بمولدك اهتز الوجود وأشرقت ... قصور ببصرى ضاءت الهضب والوهدا[8]

---

(١) الوَسْنَى: الناعِسَة النائمة.

(٢) إيذانًا أَيْ: إعْلامًا.

(٣) أَسْفَرَ الصُّبْحُ إسفارًا أيْ: أَضَاءَ وأَشْرَقَ.

(٤) السَّنَى - بالفتح -: الضَّوء السَّاطع.

(٥) السَّفْحُ - بالفتح -: عُرْضُ الجَبَل حيثُ يَسْفَحُ فيه الماءُ، وقيل: أَصْلُ الجَبَلِ، وقيل: الحضيضُ الأسفَلُ، والجمعُ سُفُوحٌ.

(٦) الجَدْوَل - بفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا-: النَّهْرُ الصَّغيرُ.

(٧) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العربيّ» (٥٥/ ٢٥٧).

(٨) ديوان لسان الدين الخطيب (٤٠١).

مَا حَصَلَ يَوْمَ مَوْلِدِهِ ﷺ مِنَ الآيَاتِ

إِنَّ النَّبِيَّ هُوَ النُّورُ الَّذِي كُشِفَتْ بِهِ عَمَايَاتُ بَاقِينَا وَمَاضِينَا[١]

١- رَأَتْ أُمُّهُ فِي الْمَنَامِ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي: أَنَّهُ خَرَجَ مِنْها نُورٌ، أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ**»[٢].

مِنَ الجزِيْرَةِ مِنْ أَرْضِي وَمِنْ بَلَدِي تَأَلَّقَ النُّورُ نُورُ الحَقِّ وَالرَّشَدِ
جَرَى فَأَخْصَبَتِ الدُّنْيَا نَدىً وَهُدَىً تَمَازَجَا كَامْتِزَاجِ الرُّوْحِ بِالجَسَدِ[٣]

وَقَالَ مَحْمُودٌ البَارُودِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

قَدْ أَبْلَغَ الوَحْيُ عَنْهُ قَبلَ بِعْثَتِهِ مَسَامِعَ الرُّسْلِ قَوْلًا غَيْرَ مُنْكَتِمِ
فَذَاكَ دَعْوَةُ إِبراهِيمَ خَالِقَهُ[٤] وَسِرُّ مَا قَالَهُ عِيْسَى مِنَ القِدَمِ[٥][٦]

(١) «الجَلِيْسُ الصَّالِح الكَافِي» لِلجُرِيرِيِّ (١١١).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَوْرَدَهُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي «البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» (٢/ ٢٧٥)، وَقَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثَنَا ثَوْرُ بْنِ يَزِيْدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟، قَالَ: «**نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ...**» وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٥٤٥).

(٣) «المَذَاهِبُ الأَدَبِيَّةِ» (٨٣).

(٤) حَيْثُ دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ بِأَنْ يَبْعَثَ فِي العَرَبِ رَسُولاً مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البَقَرَة:١٢٩].

(٥) بَشَّرَ نَبِيَّنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّفُّ:٦].

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٢/ ٦٠٦).

إِلَى أَنْ قَالَ:

وَحِيْنَما حَمَلَتْ بِالمُصْطَفَى وَضَعَتْ ... يَدُ المَشِيْئَةِ عَنْهَا كُلْفَةَ الوَجَمِ[١]

وَلَاحَ مِنْ جِسْمِهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا ... قُصُورَ بُصْرَى بِأَرْضِ الشَّأْمِ مِنْ أُمَمِ[٢]

٢- طُلُوعُ نَجْمِهِ الَّذِي وُلِدَ فِيْهِ ﷺ:

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ ... وَيُطْفِئَ نَارَ الفَاسِقِيْنَ فَتَخْمُدَا[٣]

عَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ، ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ، أَعْقِلُ كُلَّ مَا سَمِعْت، إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أَطَمَةٍ[٤] بِيَثْرِبَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟، قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ فِيْهِ»[٥].

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: قَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: «**قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ -أَوْ هُوَ خَارِجٌ- قَدْ خَرَجَ نَجْمُهُ، فَارْجِعْ فَصَدِّقْه، وَاتَّبِعْهُ**»[٦].

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ ... مِنَ الرُسْلِ وَالأَوْثَانُ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ

فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا ... يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَقِيلُ المُهَنَّدُ[٧]

---

(١) كُلْفَةَ الوَجَمِ أَيْ: مَشَقَّةَ الوَضْعِ وَالوِلَادَةِ، فَمَا وَجَدَتْ لَهُ مَشَقَّةَ حَمْلٍ، وَلَا مَشَقَّةَ وَضْعٍ.

(٢) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٣/ ٦٠٦).

(٣) البَيْتُ لِلأَعْشَى، كَمَاذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ «الأَغَانِي» (٦/ ٦٩).

(٤) الأَطَمَةُ - بِفَتْحَتَيْنِ -: البناء المرتفع كالْحِصْنِ.

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» (١/ ١٢٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٤).

(٦) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ٢١٦)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٥/ ٢٧)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٤).

(٧) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٤٢).

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

نَجْمُ السَّمَاءِ بِنَجْمِ الأَرْضِ بَشَّرَنَا فَفَاقَ بِالنُّورِ مَا بِالكَوْنِ مِنْ نُجُمِ

فَسَار مُتَّشِحًا بِالصِّدْقِ مُتَّزِرًا بِالعَدْلِ، مُمْتَطِيًا لِلخَيْرِ وَالنِّعَمِ

مُرْضِعَاتُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلـــهِ دَرُّ الأُلَـى أَرْضَـعْـنَـهُ لَبَنًـا   فَصِـرْنَ بِاللَّبَـنِ السَّـامِي مِـنَ الرَّحِـمِ(١)

أَرْضَعَ النَّبِيَّ ﷺ اثْنَتَانِ بَعْدَ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ، وهُمَا:

١- ثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ:

وَكَــمْ حَـوَتْ ثُويْـبَةٌ مِـنْ بَرَكَـهْ   لَـمَّا غَـدَتْ ظِـئْـرًا(٢) لَـهُ وَبَـرَكَهْ(٣)

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُـفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُـولَ اللهِ، انْكِحْ أُخْتِـي بِنْـتَ أَبِـي سُـفْيَانَ قَـالَ: «**أَوَتُحِبِّيـنَ ذَلِـكَ؟**» فَقُلْـتُ: نَعَـمْ، لَسْـتُ لَـكَ بِمُخْلِيَةٍ(٤)، وَأَحَبُّ مَنْ شَـارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي. فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي**».

قُلْـتُ: فَإِنَّـا نُحَـدَّثُ أَنَّـك تُرِيـدُ أَنْ تَنْكِـحَ بِنْـتَ أَبِـي سَـلَمَةَ. قَالَ: «**بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي، مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ، وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ**»(٥).

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيمِ العِمَادُ.

(٢) الظِّئر - بالكَسْر -: العاطفةُ على ولَدِ غيرِها، الْمُرْضِعَةُ لَهُ.

(٣) «موسوعة الشِّعر الإسلاميّ» (٣/ ٥٥٤).

(٤) لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ: أَيْ: لَسْتُ بِمُنْفَرِدَةٍ مَعَكَ، وَلَا مَتْرُوكَةٍ لِدَوَامِ الخَلْوَةِ بِكَ.

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٠١) ومُسْلِمٌ (١٤٤٩).

٢- امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ[١]:

بَنُو سَعْدَ حَازُوا كُلَّ مَجْدٍ وسُؤْدُدٍ فَهُمْ خَيْرُ أَخْوَالٍ لِأَعْظَمِ مُرْسَلِ[٢]

وَأَقَامَ عِنْدَهَا فِي بَنِي سَعْدٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِيْنَ، وَشُقَّ عَنْ فُؤَادِهِ هُنَاكَ، فَرَدَّتْهُ إِلَى أُمِّهِ، وَعُمُرُهُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِ سِنِيْنَ[٣].

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيْثُ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بُهْمٍ لَنَا، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا، فَقُلْتُ: يَا أَخِي، اذْهَبْ فَائْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا، فَانْطَلَقَ أَخِي، وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبُهْمِ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ طَائِرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟، قَالَ الآخرُ: نَعَمْ، فَأَقْبَلا يَبْتَدِرَانِي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا، فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءِ ثَلْجٍ. فَغَسَلا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ. فَغَسَلا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ. فَذَرَّهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حُصْهُ**[٤]**. فَحَاصَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ.**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ.**

---

(١) الصَّوَابُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيْلُ: أَنَّ مُرْضِعَتَهُ ﷺ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَلَمْ يَصِلْنَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ اسْمَهَا حَلِيْمَة السَّعْدِيَّة، واللهُ أَعْلَمُ.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-».

(٣) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيرٍ (٤٥).

(٤) الحَوْصُ: الخِيَاطَة، وَبَابُهُ قَالَ.

فَقَالَ: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ. ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا[١]، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيت، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ الْتُبِسَ بِي، فَقَالَتْ: أُعِيذُكَ بِاللهِ، فَرَحَّلَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَحَمَلَتْنِي عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي. فَقَالَتْ: أَدَّيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي، وَحَدَّثَتْهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ، وَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي - يَعْنِي نُورًا - أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»[٢].

فَبَيْنَما هُوَ يَرْعَى البَهْمَ طَافَ بِهِ ... شَخْصَانِ مِنْ مَلَكُوتِ اللهِ ذِي العِظَمِ
فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّا صَدْرَهُ بِيَدٍ ... رَفِيْقَةٍ لَم يَبِتْ مِنْهَا عَلَى أَلَمِ
وَبَعْدَ ما قَضَيْا مِنْ قَلْبِهِ وَطَرًا ... تَوَلَّيَا غَسْلَهُ بِالسَّلسَلِ الشَّبِمِ[٣]
مَا عالَجا قَلْبَهُ إِلَّا لِيَخْلُصَ مِنْ ... شَوبِ الهَوَى،وَيَعِي قُدْسِيَّةَ الحِكَمِ[٤]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَشُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَالبَدْرُ شُقَّ لَهُ ... وَشَقَّ بِالنُّورِ دَرْبًا حَالِكَ الظُّلَمِ
وَكُلِّ شَقٍّ رَأَى فِي النَّاسِ يَرْدِمُهُ ... وَلَمْ يَشُقَّ عَلَى صَحْبٍ وَلاَ خَدَمِ

وَفَاةُ وَالِدِهِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ

وَدَعَاكَ فِي الذِّكْرِ اليَتِيمَ، وَإِنَّمَا ... أَسْنَى الجَوَاهِرِ مَا يُقَالُ: يَتِيمُ[٥]

---

(١) الفَرَقُ: الخَوْف، وبَابُهُ فَرِحَ.

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٨٤)، وَالدَّرامِيُّ (١/ ٨-٩)، الحَاكِمُ (٢/ ٦١٦-٦١٧)، مِنْ طَرِيْقِ بَقِيَّةَ بْنِ الوَلِيْدِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ كَمَا فِي «المجمعِ» (٨/ ٢٢٢)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٣٧٣).

(٣) الشَّبِم -بِوَزْنِ كَتِفٍ-: البَارد.

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٤/ ٦٠٦).

(٥) «دِيْوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ المِصْرِيِّ» (١٧٠٤).

لَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَاهُ؛ فَقَدْ مَاتَ فِي المَدِيْنَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَارِ، فَوُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتِيمَ الأَبِ، وَقَدْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ فِي ذَلِكَ(١).

وَذُكِرَ يُتْمُهُ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضُّحَى: ٦].

وَلَّـى أَبُوْكَ عَـنْ الْـدُّنْيَا وَلَـمْ تَـرَهُ ... وَأَنْـتَ مُرْتَهَـنٌ لَا زِلْـتَ فِـيْ الْرَّحِـمِ(٢)

وَقَالَ آخَرُ:

كَفَـاكَ بِالْعِلْـمِ فِـي الأُمِّـيِّ مُعْجِـزَةً ... فِـي الْجَاهِلِيَّـةِ وَالتَّأْدِيـبِ فـي الْيُتُـمِ(٣)

وَقَالَ آخَرُ:

هَـزَّ الـوُجُودَ بِكَـفِّهِ فِـي مَهْـدِهِ ... طِـفْلٌ يَتِـيْمٌ مِـنْ كِنَـانَةَ عَـافِ(٤)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

مَـا ضَـرَّهُ اليُتْـمُ، وَالأَيْتَـامُ فِـي خَطَـرٍ ... مَـنْ يُـؤْوِهِ اللَّـهُ لاَ يَخْشَـى مِـنَ اليُتْـمِ

رَعَــاهُ رَبَّــاهُ، بِالأَخْـلاَقِ أَدَّبَــهُ ... حَـتَّى غَـدَا أُسْـوَةَ الأَخْـلاَقِ والقِيَـمِ

وَفَاةُ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ

وَمَاتَـتِ الْأُمُّ لَـمَّا أَنْ أَنِسْـتَ بِهَـا ... وَلَـمْ تَكُـنْ حِيْـنَ وَلَّـتْ بَالِـغَ الْحُلُـمِ(٥)

بَعْدَ أَنْ رَدَّتِ السَّعْدِيَّةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ عِنْدَ أُمِّهِ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ إِلَى المَدِيْنَةِ؛ تَزُورُ أَخْوَالَهُ.

---

(١) «صَحِيْحُ مُسْلِمٍ» (٣/ ١٣٩٢).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيّ» (٩/ ٧٥).

(٤) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الأَشْعَارِ» (٤٣).

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، قَالَ: قَدِمَتْ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ أُمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ ﷺ، حتَّى إذا كانَتْ بِالأَبْوَاءِ هَلَكَتْ بِهَا، ورَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ»[١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَهُ مِنَ العُمُرِ سِتُّ سِنِينَ، وَثَلاثَةُ أَشْهُرٍ، وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ»[٢].

وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالأَبْوَاءِ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الفَتْحِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفُ مُقَنَّعٍ (أَيْ بِالحَدِيْدِ)[٣].

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَسْمِ قَبْرٍ، فَجَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ كَثِيرٌ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ كَالْمُخَاطِبِ ثُمَّ بَكَى، فَاسْتَقْبَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟.

قَالَ: **«هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاِسْتِغْفَارِ لَهَا فَأَبَى عَلَيَّ، وَأَدْرَكَتْنِي رِقَّتُهَا فَبَكَيْتُ»** قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ سَاعَةً أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ[٤].

بَنَيْتَ بِالْصَّبْرِ مَجْدًا لَا يُمَاثِلُهُ مَجْدٌ وَغَيْرُكَ عَنْ نَهْجِ الرَّشَادِ عَمِي[٥]

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» لابْنِ هِشَامٍ (١/ ١٨٨).

(٢) انْظُرْ: «الفُصُولُ» (٤٧-٤٨)، وَبِهِ قَطَعَ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» لابْنِ هِشَامٍ(١/ ١٦٨)، وَالذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ» (١/ ٥٠).

(٣) «رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٥٦٥)، وَصَحَّحَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٢٣).

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٦/ ٥٦٠).

وقَالَ أستاذُنا:

عَـزَاءُ كُلِّ يَتِيـمٍ فـي تَيَتُّـمِهِ ... أَنْ يَتَّـمَ اللَّـهُ خَيْـرَ الخَلْـقِ كُلِّهِـمِ
فَأَخْمَـدَ الصَّبْـرُ آلامـًا قَـدِ اشْتَعَلَـتْ ... وفَاقِـدُ الصَّبْـرِ لَا يَقْـوَى عَلَـى الأَلَـمِ
خَيْـرُ الْيَتامَـى يَتِيـمُ الْيَـوْمَ قَـدْ كَبُـرَتْ ... آلامُـهُ، وَتَعَـدَّتْ حُرْقَـةَ الْيُتْـمِ
بِلَهْجَـةِ الصَّمْـتِ يَسْتَجْدِي تَعَاطُفَنَـا ... مِـنْ حَيْثُ لَـمْ يُفْلِـحِ التَّصْرِيحُ بِالْكَلِـمِ
يَـا لَيْتَنَـا حَيْـثُ لَـمْ نُحْسِـنْ إِلَيْـهِ يَـدًا ... جُـدْنَا بِمَسْحَـةِ رَأْسٍ وابْتِسـامِ فَـمِ

عَوْدَةِ النَّبِيِّ إِلَى مَكَّةَ ﷺ

لَا يَرْجِـعُ الطَّـرْفُ عَنْهَـا حِيْـنَ يُبْصِرُهَـا ... حَتَّـى يَعُـوْدَ إِلَيْهَـا الطَّـرْفُ مُشْـتَاْقَا[١]

كَانَـتْ آمِنَـةُ بِنْـتُ وَهْـبٍ أُمُّ النَّبِـيِّ ﷺ قَـدْ خَرَجَـتْ إِلـَى المَدِيْنَـةِ، وَمَعَهَـا أُمُّ أَيْمَنَ، فَأَرْجَعْتِ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَهِي مَوْلَاتُه، وَرِثَهَا مِنْ أَبِيْهِ، واسْمُهَا بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ حِصْنٍ.

وَكَانَتْ حَاضِنَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَزَوَّجَ خَدِيْجَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَعْتَقَهَا وَزَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢].

قَاسَـى فِطَـامَ حَنَـانِ الأُمِّ فِـي صِغَـرٍ ... وقَـلْبُـهُ مِـنْ هَـوَاهَا غَيْـرُ مُنْفَطِـمِ
وَلَـمْ تَـزَلْ أُمُّـهُ الأُخْـرَى عَلَـى لَهَـفٍ ... فَبَكَّـةٌ مِـنْ لَهِيْـبِ الشَّـوْقِ فِـي ضَـرَمِ
فَسَـارَ يَخْطُـو وَخَطْـوُ القَلْـبِ يَسْبِقُهُ ... شَـتَّانَ بَيْـنَ مَسِيرِ القَلْـبِ وَالقَـدَمِ![٣]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٠/ ٤٩).
(٢) «رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (١٧٧١) مِنْ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ، تِلْمِيْذِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) قالهُ أُستاذُنَا – حَفِظَهُ اللَّهُ –.

كَفَالَةُ جَدِّهِ لَهُ ﷺ

ذُو مَحْتِدٍ[١] سَنِمٍ رَفِيعٍ سَمْكُهُ ... تُعْلِي دَعَائِمَ مَجْدِهِ عَدْنَانُ[٢]

ظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَحْنُو عَلَيْهِ وَيَرْعَاهُ أَتَمَّ رِعَايَةٍ، وَيُوْلِيْهِ جُلَّ اهْتِمَامِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنَ العُمُرِ ثَمَانِيَ سِنِيْنَ، تُوفِّي جَدُّهُ[٣]، وَأَوْصَى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، لِأَنَّه كان شقِيْقَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالِدِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَاتَ جَدُّكَ مِنْ بَعْدِ الْوَلُوعِ بِهِ ... فَكُنْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ فِيْ ذِرْوَةِ الْيُتُمِ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

أَبٌ وَأُمٌّ وَجَدٌّ كُلُّهُمْ رَحَلُوا ... كَمَا تَفَتَّقَتِ الأَصْدَافُ عَنْ تُوَمِ[٤]

صُبَّتْ عَلَيْكَ البَلَايَا فَارْتَوَيْتَ بِهَا ... كَمَا يُرَوَّى نَبَاتُ الأَرْضِ بِالدِّيَمِ[٥]

لَازَلْتَ طِفْلًا وَأَحْنَى الأَقْرَبِيْنَ مَضَوْا ... وَلَمْ تُوَازِ البَلَايَا مُسْتَوى العِظَمِ

جَاوَزْتَ نِيْرَانَهَا مِنَ فَوْقِهَا عَلَمًا ... فَصِرْتَ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمِ[٦]

كَفَالَةُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَهُ ﷺ

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِيْنَا

فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَأَبْشِرْ بِذَاكَ، وَقَرَّ فِيْهِ عُيونًا

(١) والمَحْتِدُ - بِوَزْنِ المَجْلِسِ - الأَصْل.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ٢٤٨).

(٣) قَطَعَ بِذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاق فِي «السِّيْرَةِ» لابْنِ هِشَامٍ(١/ ٨٩)،وَتَابَعَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «المَوَاهِبُ» (١/ ١٨٩)، وَالبَيهَقِيُّ في «الدَّلَائِلِ» (١/ ١٦٨).

(٤) التَّوَم: جَمْعُ تُومَةٍ -بِالضَّمِّ-، وَهِيَ اللُّؤْلُؤَةُ.

(٥) الدِّيَمُ: جَمْعُ دِيمَةٍ -بِالكَسْرِ-، وَهِيَ المَطَرُ يَدُومُ فِي سُكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ.

(٦) العَلَمُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الجبَلُ الطَّوِيْلُ.

انْتَقَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى كَفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عُمُرُهُ حِينَئِذٍ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، وَقَدْ أَحَاطَهُ أَتَمَّ حِيَاطَةٍ، وَنَصَرَهُ حِينَ بَعَثَهُ الله أَعَزَّ نَصْرٍ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَمِرًا عَلَى شِرْكِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ، فَخَفَّفَ اللهُ بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ.

فَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟، قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ**[١] **مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ**[٢] **الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**»[٤].

ثُمَّ انْبَرَى[٥] **عَمُّهُ: واللهِ لَنْ يَصِلُوا ... حَتَّى أُوَسَّدَ تَحْتَ التُّرْبِ فِي الرَّجَمِ**[٦]
حَمَاهُ وَهُوَ مُقِيْمٌ فِي ضَلاَلَتِهِ ... فَخَفَّفَ اللهُ عَنْهُ وَطْأَةَ الحُمَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ الكُفَّارَ تَحْرُسُهُ ... مِنْ بَعْضِهَا مِثْلَ شِبْلٍ[٧] **لاَذَا**[٨] **بِالأَجَمِ!**[٩]

(١) الضَّحْضَاحُ: مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ إِلَى نَحْوِ الْكَعْبَيْنِ، وَاسْتُعِيرَ فِي النَّارِ. والمَعْنَى: أَنَّهُ فِي نَارٍ تَحْتَ رِجْلَيْهِ -فَقَطْ- تَخْفِيفًا لِعَذَابِهِ.
(٢) الدَّرْكِ الأَسْفَل - بفَتْحِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِهَا -: قَعْرُ جَهَنَّمَ، وَأَقْصَى أَسْفَلِهَا، وَلِجَهَنَّمَ أَدْرَاكٌ، فَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ أَطْبَاقِهَا تُسَمَّى دَرْكًا.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣) ومُسْلِمٌ (٢٠٩).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٥٦٤) ومُسْلِمٌ (٢١٠).
(٥) يُقَالُ: انْبَرَى لَهُ أَي: اعْتَرَضَ لِلدِّفَاعِ
(٦) الرَّجَمِ - بِفَتْحَتَيْنِ- القَبْرُ.
(٧) شِبْل -بالكَسْرِ- وَلَدُ الأَسَد.
(٨) لاَذَابِالشَّيْءِ: التجَأَ إِلَيْهِ وَتَحَصَّنَ بِهِ.
(٩) الأَجَمُ: بِفَتْحَتَيْنِ -: جَمْعُ أَجَمَةٍ، وَهِي الشَّجَرُ الكَثِيرُ المُلْتَفُّ.

هَـذَا أَبُـو طَالِـبٍ، هَـذَا أَبُـو لَهَـبٍ ... صِنْوَانِ فِي الشِّرْكِ مَضْدُودانِ فِي العِصِمِ

لَـوْلاَ عِـنَايَةُ رَبِّي فِـي خَلائِقِـهِ ... لَمَّا نَجا الوَرْدُ فِي الأَشْـوَاكِ مِنْ ثَلَمِ[1]

وَمِمَّا يُنْسَبُ لِأَبِي طَالِبٍ قَوْلُهُ:

كَذَبْتُـمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْـزَى مُحَمَّـدًا[2] ... وَلَـمَّا نُطَـاعِنْ دُونَـهُ وَنُـنَاضِلِ[3]

وَنُـسْلِمُـهُ حَـتَّى نَصَـرَّعَ حَوْلَـهُ ... وَنَـذْهَلَ عَـنْ أَبْـنَائِنَا وَالْحَلَائِـلِ[4]

وَأَبْيَـضَ يُسْتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ... ثِمَـالُ[5] الْيَتَامَـى عِصْمَةٌ[6] لِلْأَرَامِلِ[7][8]

سَفَرُهُ إِلَى الشَّامِ

وَتَـوَّجتْ ثَـغْرَ الشَّـامِ مِنْـكَ جَلالَـةٌ ... تَمَـنَّتْ لَهَـا بَغْـدَادُ لَـوْ أَنَّهـا ثَغْـرُ[9]

خَرَجَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَهُوَ ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَذَلَكَ مِنْ تَمَامِ لُطْفِ أَبِي طَالِبٍ بِهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ بِهِ إِذَا تَرَكَهُ فِي مَكَّةَ،فَمَاذَا رَأَى أَبُو طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الآيَاتِ؟!.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ

---

(١) قاله أُستاذُنا.

(٢) نُبْزَى مُحَمَّدًا -بِالبِنَاءِ لِلمَجْهُولِ- أَيْ: نُسْلَبُهُ وَنُغْلَبُ عَلَيْهِ.

(٣) النِّضَالُ: التَّرَامِي بالسِّهَامِ.

(٤) الحَلائِلُ: الزَّوْجَات.

(٥) الثِّمَال -بِالكَسْرِ - هُوَ العِمَاد، وَالمَلْجَأُ،وَالمُطْعِمُ، وَالمُعِيْنُ، وَالمُغِيْثُ، وَالكَافِي.

(٦) عِصْمَةٌ أَيْ: يَمْنَعُهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ.

(٧) الأَرَامِلُ: المَسَاكِيْن مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَهُوَ بِالنِّسَاءِ أَخَصُّ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً.

(٨) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ١٥١).

(٩) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٦/ ٣٢).

مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ -يَعْنِي بَحِيرا - هَبَطُوا، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ.

قَالَ: فَنَزَلَ وَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ. (وَفِي رِوَايَةِ البَيْهَقِيِّ زِيَادَة: هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ).

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: ومَا عِلْمُكَ؟

فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ - وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ - قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ.

فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ؛ فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟.

قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا.

فَقَالَ: فَهَلْ خَلَفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟. قَالُوا: لا، إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذِهِ.

قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟.قَالُوا: لَا. قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أُنْشِدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟.

قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ وَالزَّيْتِ»[١].

لَمَّا رَآه بَحِيرًا قَالَ نَعْرِفُهُ ... بِمَا حِفِظْنَا مِنَ الأَسْمَاءِ والسِّيَمِ[٢]
وَظَلَّلَتْهُ فَصارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ ... غَمامَةٌ جَذَبَتْهَا خِيرَةُ الدِّيَمِ[٣]
مَحَبَّةٌ لِرَسولِ اللَهِ أُشْرِبَها ... قَعائِدُ الدَّيْرِ[٤] وَالرُّهْبَانُ في القِمَمِ[٥]

وَقَالَ آخَرُ:

وَقالَ عَنهُ بَحِيرا حِيْنَ أَبصَرَهُ ... بِأَرْضِ بُصْرَى مَقَالًا غَيْرَ مُتَّهَمِ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٢٠)، وابْن أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّف»(١٨٣٩٠)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» (١/ ٣٧٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٢٩-٣٠). عَدا ذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ وَبِلالٍ فَهِيَ مُدْرَجَةٌ كَمَا قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الإِصَابَةِ»: هَذِهِ اللَّفْظَةُ مُدرجةٌ فِي هَذَا الحَدِيْثِ مُقْتَطَعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ... وَبِالجُمْلَةِ فَهِيَ وَهْمٌ مِنْ أَحَدِ رُوَاتِهِ»، انْظُرْ: «الإِصَابَةُ»(١/ ١٧٧). وحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَحِيْحِ المُسْنَدِ» (٨٢٠)، وَقَالَ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ وَبِلالٍ فِي الحَدِيْثِ وَهْمٌ. كَمَا قَالَ الحَافِظُ فِي «الإِصَابَةِ» فِي «تَرْجَمَةِ بَحِيرا الرَّاهِبِ» كَمَا قَالَ «الجَزَرِيُّ» فِي «تُحْفَةَ الأَحْوَذِيِّ».

(٢) السِّيَم: جَمْعُ سِيمَةٍ -بِالكَسْرَةِ- وَهِيَ العَلَامَةُ.

(٣) الدِّيَم: جمعُ دِيمةٍ، وهي المَطَرُ الَّذي ليْسَ فيه رعْدٌ ولا برْقٌ.

(٤) قعائد الدِّير: راهباتُه، والدَّيْرُ - بالفتح -: دارُ النصارى وخانُهم، والجمعُ: أديارٌ، ودُيُورةٌ.

(٥) «موسوعة الشِّعر الإسلاميّ» (٣/ ٥٩٢).

إِذْ ظَلَّـلَتْهُ الغَمَـامُ الغُـرُّ وَانهَصَـرَتْ[١] عَطْفًـا عَلَيـهِ فُروعُ الضَّالِ[٢] وَالسَّـلَمِ[٣]

هَـذَا نَبِـيٌّ وَلَـم يَنـزِل بِسَـاحَتِهَا إِلَّا نَبِـيٌّ كَـرِيْمُ النَّفْـسِ وَالشِّيَـمِ[٤]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَـكْفِي قُـرَيْشًا بَحِيْـرَا فِـي شَـهَادَتِهِ مِـنَ الدَّلَائِـلِ مَـا يُغْنِـي عَـنِ التُّـهَمِ

لَـكِنَّهَـا أَعْيُـنٌ عُـمْـيٌ وَأَفْئِـدَةٌ غُلْفٌ، وَلَمْ يُغْنِ نُورُ الشَّمْسِ عَيْنَ عَمِي

---

(١) انهَصَرَتْ: مَالَتْ وَانْعَطَفَتْ.

(٢) الضَّال: مَا كَانَ مِنَ السِّدْرِ بَرِّيًا، وَاحِدَتُهُ ضَالَةٌ - بِالتَّخْفِيْفِ -.

(٣) السَّلَمُ - بِفَتْحَتَيْنِ-: شَجَرَةُ القَرَظِ.

(٤) الشِّيَمِ: جَمْعُ شِيمَةٍ - بِالكَسْرِ-، وَهِيَ الطَّبِيْعَةُ وَالْخُلُقُ.

حَيَاتُهُ قَبْلَ البِعْثَةِ

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١- التَّحَلِّي بِالمَكَارِمِ:

بِسِوى الأَمَانَةِ فِي الصِّبَا وَالصِدْقِ لَمْ ... يَعْرِفْهُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالأُمَنَاءُ[١]

كَانَتْ حَيَاتُهُ ﷺ قَبْلَ البَعْثَةِ حَيَاةً فَاضِلَةً شَرِيْفَةً، لَمْ تُعْرَفْ فِيْهِ هَفْوَةٌ، وَلَمْ تُحْصَ عَلَيْهِ فِيْهَا زِلَّةٌ، فَقَدْ حَفِظَهُ اللهُ مِنْ أَقْذَارِ الجَاهِلِيَّةِ؛ لِمَا يُرِيْدُهُ لَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى صَارَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَعْظَمَهُمْ جِوَارًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيْثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالصَّادِقِ الأَمِيْنِ.

قَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَاوَيْحَهُمْ عَرَفُوهُ قَبْلَ بِعْثَتِهِ ... بِأَنَّهُ غَايَةٌ فِي الصِّدْقِ وَالكَرَمِ!
لَمْ يَعْرِفُوا خُلُقًا، لَمْ يَسْمعُوا صِفَةً ... مِنَ الشَّمَائِلِ إِلَّا كَانَ فِي القِمَمِ
وَأَعْجَزَ النَّاسَ كُلَّ العَالَمِيْنَ إِذَا ... جَاءُوا عَلَى قَلْبِ فَرْدٍ حَاذِقٍ فَهِمِ
أَنْ يَحْصُرُوا مَا حَوَى المُخْتَارُ مِنْ قِيَمٍ ... أَوْ يَجْمَعُوا بَعْضَ مَا فِيْهِ مِنَ الشِّيَمِ

وَقَالَ -أَيْضًا -:

مَنْ مِثْلُ أَحْمَدَ فِي المُرُو ... ءَةِ وَالكَرَامَةِ وَالمَكَانَهْ؟!
مَنْ مِثْلُ خَيْرِ الخَلْقِ فِي ... صِدْقِ الحَدِيْثِ وَفِي الأَمَانَهْ؟!

---

(١) «الشَّوْقِيَّات» (١/ ٤).

خَيْرُ الخَلائِقِ كُلِّهِمْ خُلُقًا، وَأَحْسَنُهُمْ دِيَانَهْ
جَمَعَ المَكَارِمَ رَبُّهُ فِيهِ، وَأَيَّدَهُ وَصَانَهْ

٢ - رَعْيُ الغَنَمِ:

تَوَاضَعَ إِذْ نَالَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا مَنَالٌ، وَهَلْ فَوْقَ الَّتِي نَالَ مَصْعَدُ؟!(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ(٢) لِأَهْلِ مَكَّةَ**»(٣).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَجْنِي الْكَبَاثَ - أَيِ: النَّضِيجُ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ - فَقَالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**»، قَالَ: قُلْنَا: وَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ رَعَاهَا**»(٤).

تَوَاضُعٌ مِنْهُ أَنْ يَرْعَى لَهُمْ غَنَمًا وَقَدْ أُعِدَّ لِيَرْعَى أَكْرَمَ الأُمَمِ
غَدَتْ خِمَاصًا(٥) عَلَى جَدْبَاءَ قَاحِلَةٍ فَبَارَكَ اللهُ بِالمَرْعَى وَبِالغَنَمِ
فِي قَلْبِهِ النُّورُ مِحْرَابٌ لَهُ أَبَدًا وَالخَيْرُ مَرْعَاهُ أَنَّى سَامَهُ يَسُمِ(٦)

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (١٢٦٠).
(٢) القَرَارِيطَ: جَمْعُ قِيرَاطٍ، وَهُوَ مِنْ أَجْزَاءِ الدِّينَارِ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٦٢).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٠٦) وَمُسْلِمٌ (٢٠٥٠).
(٥) خِمَاصًا -بِالكَسْرِ- أَيْ: جِيَاعًا.
(٦) قالهُ أُستاذُنا - حَفظَه اللَّهُ -.

٣- لَمْ يَعْمَلْ أَعْمَالَ الجَاهِلِيَّةِ:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ(١)

أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ مَعْصُومٌ عَنِ الكُفْرِقَبْلِ الوَحْيِ وَبَعْدَهُ، فَلَمْ يَتَقَرَّبْ لِصَنَمٍ، وَلَمْ يَتَمَسَّحْ بِهِ.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ، يُقَالُ لَهُ: إِسَافٌ، أَوْ نَائِلَةُ، يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا -أَيْ بِالبَيْتِ -، فَطَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطُفْتُ مَعَه، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَمَسَّهُ**». قَالَ زَيْدٌ فَطُفْت، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لأَمَسَّنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ، فَمَسَحْتُه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تُنْهَ؟**».

قَالَ زَيْدٌ: فَوَالَّذِي هُوَ أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمَ صَنَمًا -قَطُّ- حَتَّى أَكْرَمَهُ اللهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ(٢).

بَلْ إِنَّهُ ﷺ كَانَ يُخَالِفُ قَوْمَه، حَتَّى فِي بَعْضِ العِبَادَةِ الَّتِي خَالَفُوا فِيْهَا مِلَّةَ أَبِيْهِمْ إِبْرَاهِيْمَ.

فَعَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تَدْفَعُ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، وَيَقُولُونَ نَحْنُ (الْحُمْسُ)(٣)، فَلاَ نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، وَقَدْ تَرَكُوا الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ. قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقِفُ مَعَ النَّاسِ بِعَرَفَةَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ، ثُمَّ يُصْبِحُ مَعَ قَوْمِهِ بِالْمُزْدَلِفَةِ، فَيَقِفُ مَعَهُمْ، وَيَدْفَعُ إِذَا دَفَعُوا»(٤).

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٧٥).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٤٦٦٥)،وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٣٢).

(٣) الْحُمْسُ: جَمْعُ أَحْمَسَ، وَهُوالشَّدِيْدُ الصُّلْبُ، وَسُمُّوا حُمْسًا؛لأَنَّهُمْ تَشَدَّدُواوَتَصَلَّبُوا فِي دِيْنِهِمْ، وَكَانُوا لاَ يَسْتَظِلُّونَ بِمِنًى.

(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (١/ ٤٦٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (٣٤).

قَالَ أُسْتَاذُنَا:

لَـــمْ يُـغْـرِهِ فِـي الجَاهِلِيَّـةِ مِنْهُـمُ عَــمَــلٌ يُـخَـالِفُ دِيْـنَ إِبْرَاهِيْمَـا
بَــلْ كَـانَ مَعْـصُومًا بِتَقْـوَى رَبِّـهِ أَبَـدًا، وَدِيْـنُ الحَـقِّ فِيْـهِ مُقِيمـا

وَقَالَ أَيْضًا:

مَـا هَـمَّ يَوْمًـا وَلَـمْ يَخْطُـرْ بِخَاطِـرِهِ شَـيْءٌمِنَ الشِّـرْكِ مِـنْ قَبْـرٍ وَمِـنَ صَنَـمِ
وَكَـيْفَ يَجْـرُؤُ شِـرْكٌ أَنْ يَمُـرَّ عَلَـى قَـلْبٍ عَلَـى قِمَّـةِ التَّوْحِيْـدِ مُسْـتَنِمِ[1]
وَطَـهَّــرَ الـلـهُ مَـبْدَاهُ وَمَخْتَمَـهُ وَمَــنْ يُقَــوَّمْ بِـعَيْنِ الـلهِ يَسْـتَقِمِ

٤- شَهِدَ حِلْفَ الفُضُولِ مَعَ عُمُومَتِهِ:

شَـهِدَ (الفُضُـولَ) بِـأَرْضِ مَكَّـةَ يَافِعًـا كَــيْ لاَ يَـرَى مِــنْ حَوْلِـهِ مَظْلُومـا[2]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ**[3]**، وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ**[4] **وَأَنِّي أَنْكُثُهُ**»[5].

---

(١) مُسْتَنِمٍ أَيْ: مُعْتَلٍ.

(٢) قالهُ أُستاذُنا.

(٣) قَالَ فِي «النِّهَايَة» (٣/ ١٤٩): «اجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو زُهْرَةَ وَتَيْمٌ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَجَعَلُوا طِيبًا فِي جَفْنَةٍ، وَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، وَتَحَالَفُوا عَلَى التَّنَاصُرِ وَالْأَخْذِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛ فَسُمُّوا الْمُطَيَّبِينَ».

(٤) حُمْرَ النَّعَمِ: الحُمْرُ -بِضَمٍّ فَسُكُونٍ- جَمْعُ أَحْمَرَ، والنَّعَمِ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الأَنْعَامُ وَالدَّوَابُّ، وَالمُرَادُ بِهَا الإِبِلُ، والحُمْرُ مِنْهَا أَحْسَنُ أَنْوَاعِهَا.

(٥) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ (٢/ ٣٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهُ السِّيرَةِ» (٧٥).

وَحِلْفُ الفُضُولِ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «تَدَاعَتْ قَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حِلْفٍ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ؛ لِشَرَفِهِ وَسِنِّهِ، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا عَلَى أَنْ لَا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا قَامُوا مَعَه، وَكَانُوا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ حَتَّى تُرَدَّ عَلَيْهِ مَظْلَمَتُه، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُولِ»(١).

عَشِقَ العَدَالَةَ مِنْ طُفُولَتِهِ فَلَمْ ... يَظْلِمْ ضَعِيفًا، أَوْ يَصُدَّ يَتِيمًا(٢)

٥- زَوَاجُهُ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

كَتَبْتِ حُرُوفًا مِنْ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ... فَأَصْبَحْتِ فِي أَعْلَى صَحَائِفِهَا سَطْرًا!

لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ مِنَ العُمُرِ، تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَكَانَتْ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنّ مَالًا؛ كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا، لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ(٣).

فَوَالِدُهَا هُوَ خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ قُصَيٍّ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «تَجْتَمِعُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُصَيٍّ، وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ نِسَائِهِ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قُصَيٍّ غَيْرَهَا إِلَّا أُمَّ حَبِيبَةَ»(٤).

وَتَزَوَّجَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَتِيقَ بْنَ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ المَخْزُومِيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ جَارِيَةً اسْمُهَا هِنْدٌ، ثُمَّ هَلَكَ عَتِيقٌ عَنْهَا، فَخَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو هَالَةَ

(١) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ١٣٤-١٣٥).

(٢) قالهُ أُستاذُنا - حَفِظَهُ اللَّهُ-.

(٣) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ١٤٢).

(٤) «الفَتْحُ» (٧/ ١٦٧).

التَّمِيمِيُّ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامَيْنِ: هِنْدًا، وَهَالَةَ الصَّحَابِيَّيْنِ، ثُمَّ هَلَكَ أَبُو هَالَةَ عَنْهَا، فَقَضَتْ مُدَّةً طَوِيلَةً وَهِيَ تَرْفُضُ الكَثِيرِينَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، حَتَّى خَلَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَنَى بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ فِي قَوْلِ الجُمْهُورِ، وَكَانَتْ أَسَنَّ مِنْهُ بِقَلِيلٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ كُلَّهُمْ إِلاَّ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ: الْقَاسِمُ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ﷺ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ رُقَيَّةُ، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ، ثُمَّ فَاطِمَةُ، ثُمَّ عَبْدُ اللهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

وَقَدْ مَاتَ الذَّكَرَانِ صَغِيرَيْنِ، وَأَمَّا البَنَاتُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَ، وَهَاجَرْنَ مَعَه، إِلَّا أَنَّهُنَّ أَدْرَكَتْهُنَّ الوَفَاةُ فِي حَيَاتِهِ سِوَى فَاطِمَةَ، فَقَدْ تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ كَانَتْ أَوَّلَ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ[1].

المَجْدُ يَشْرُقُ فِي ثَلاثِ مَطَالِعٍ ... فِي مَهْدِ فَاطِمَةٍ فَمَا أَعْلَاهَا
هِيَ بِنْتُ مَنْ؟ هِيَ زَوجُ مَنْ؟، هِيَ أُمُّ مَنْ؟ ... مَنْ ذَا يُدَانِي فِي الفَخَارِ أَبَاهَا
هِيَ وَمْضَةٌ مِنْ نُورِ عَيْنِ المُصْطَفَى ... هَادِي الشُّعُوبِ إِذَا تَرومُ هُدَاهَا
هُوَ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ وَكَعْبَةُ الآ ... مَالِ فِي الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَاهَا

وَأَمَّا خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْهُ[2]، سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ البَعْثَةِ، قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ[3]، وَدُفِنَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالحَجُونِ[4]، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَبْرِهَا، وَحَزِنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهِ المِحَنُ بَعْد مَوْتِهَا.

---

(١) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١/ ١٤٢)، وَ«الفَتْحُ» (٧/ ٥٠٧)، و«البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٥/ ٣٣١).
(٢) ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» (٣٨٩٦).
(٣) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ» لِلدِّمَشْقِيِّ (٦٥).
(٤) «السِّيَرُ» (١/ ١١١).

لَقَدْ شَكَرَ المَوْلَى صَنِيْعَكِ إِنَّهُ الشْـ شَكُورُ وَهَذَا الفِعْلُ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرا
فَأهْدَاكِ مَوْلَاكِ السَّلامَ سَلامَةً وأَعْطَاكِ فِي الفِرْدَوْسِ مِنْ قَصَبٍ قَصْرا
مَرَاتِبُ لا يُعْلى عَلَيْهَا وَرِفْعَةٌ لَكُمْ خُصِّصَتْ، فَاللهُ أَعْلَاكُمُ قَدْرا

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

إِذَا هَدَى اللَّهُ قَلْبًا لَمْ يَخِبْ أَبَدًا وَإِنْ أَضَلَّ فَمَا فِي الكَوْنِ مِنْ عَصَمِ
خَدِيْجَةُ الخَيْرِ وَالإِيْمَانِ قَدْ غَنِمَتْ وَمَنْ يَجِدْ فُرْصَةً لِلنُّورِ يَغْتَنِمِ
تَخَيَّرَتْهُ وَلَمْ تَقْبِلْ بِهِ بَدَلاً مِنَ الرِّجَالِ، فَلَمْ تُعْذَلْ وَلَمْ تُلَمِ
كَمْ حَامَ مِنْ حَوْلَهَا الأَشْرَافُ تَخْطُبُهَا لَوْلاَ مَكَانَتُهَا فِي القَوْمِ لَمْ تَحُمِ
رَأَتْهُ بِالقَلْبِ والعَقْلِ الحَكِيْمِ، وَمَنْ تَقْصُرْ رِضَاهَا عَلَى مَظْنُونِهَا تُضَمِ[1]
فَكَانَ فَوْقَ الَّذِي ظَنَّتْ وَمَا أَمَلَتْ وَمَا رَأَتْ مِنْ جَمَالِ الخَلْقِ وَالشِّيَمِ
أَوْفَتْ لَهُ الحُبَّ وَالإِيْمَانَ دَاعِمَةً بِالمَالِ وَالرَّأْيِ والتَّثْبِيْتِ فِي اللِّمَمِ
طُوبَى لَهَا؛ فَهِيَ فِي الدُّنْيَا مُكَرَّمَةٌ وَعِنْدَ بَارِئِهَا فِي أَطْيَبِ النِّعَمِ!

٦- مُشَارَكَتُهُ فِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ:

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ[2]

بَعْدَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمَا - لِلكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ، تَعَرَّضَتْ -بَعْدَ أَنْ مَضَتْ قُرُونٌ مِنْ بِنَائِهَا- لِلعَوَادِي الَّتِي أَوْهَتْ بِنَاءَهَا، وَصَدَّعَتْ جُدْرَانَهَا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ العَوَادِي سَيْلٌ عَرِمٌ، جَرَفَ مَكَّةَ

(١) الضَّيْم: الظُّلْمُ وَالإِذْلَال.
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٥٣).

قَبْلَ البِعْثَةِ بِسَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، حَيْثُ زَادَ ذَلِكَ مِنْ تَصَدُّعِ جُدْرَانِهَا، وَضَعْفِ بُنْيَانِهَا، فَلَمْ تَجِدْ قُرَيْشٌ بُدًّا مِنْ إِعَادَةِ تَشْيِيدِ الكَعْبَةِ؛ حِرْصًا عَلَى مَا لِهَذَا البِنَاءِ مِنْ حُرْمَةٍ وَقَدَاسَةٍ خَالِدَةٍ.

وَلَقَدْ ظَلَّ احْتِرَامُ الكَعْبَةِ وَتَعْظِيمُهَا بَقِيَّةً مِمَّا ظَلَّ مَحْفُوظًا مِنْ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بَيْنَ العَرَبِ، وَقَدْ شَارَكَ ﷺ فِي بِنَاءِ الكَعْبَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَبَّاسُ يَنْقُلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ بِالْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: «**أَرِنِي إِزَارِي، فَشَدَّهُ عَلَيْهِ**»[١].

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَذَكَرَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - قَالَ: «فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ[٢]، وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ[٣]، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمِرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَتُرَى عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ - وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ-، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ»[٤].

٧- وَضع الحَجَر الأَسْوَد بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ:

تَعُودُ بِرَأْيِهِ الظَّلْمَاءُ صُبْحًا وَيُسْتَسْقَى بِحِكْمَتِهِ الغَمَامُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٨٢)، ومُسْلِمٌ (٣٤٠).

(٢) أَجْيَاد: جَبَل بِمَكَّةَ.

(٣) نَمِرَة: كِسَاء أَسْوَد.

(٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٤٥٥)، وَصَحَحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٣٧٨).

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا انْهَدَمَ الْبَيْتُ بَعْدَ جُرْهُمٍ بَنَتْهُ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا أَرَادُوا وَضْعَ الْحَجَرِ تَشَاجَرُوا مَنْ يَضَعُه؟، فَاتَّفَقُوا أَنْ يَضَعَهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِثَوْبٍ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِهِ، وَأَمَرَ كُلَّ فَخِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، فَرَفَعُوه، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ»[1].

يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ حُزْتَ مَكَانَةً وَمَقَامَ عِزٍّ فِي النُّفُوسِ عَظِيمَا

وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مَوْلَاهُ - وَهُو السَّائِبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ - أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: «وكَانَ لِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ [بِيَدَيَّ]، أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، قَالَ: وَكُنْتُ أَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ[2]، الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي - أَيْ أُوثِرُهُ عَلَى نَفْسِي - فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ[3]، فَيَبُولُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ أَحْجَارِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ، يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ؟.

فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُه، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنْ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَه، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ، فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ [مَعَهُ]، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ[4].

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢/ ٨٦)، وَالحَاكِمُ (١/ ٤٥٨-٤٥٩) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ» (٤٥).

(٢) الْخَاثِر أَي: الرَّائِب.

(٣) شَغَرَ الكَلْبُ: رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ لِيَبُولَ.

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٥٠٤)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى «فِقْهِ السِّيرَةِ» (٨٤).

وَحِينَما أَجْـمَعَتْ أَمْـرًا قُرَيـشُ عَلـى بِنايَـةِ البَيـتِ ذي الحُجَّـابِ وَالخَـدَمِ
تَجَمَّعَـت فِـرَقُ الأَحْـلَافِ وَاقتَسَـمَتْ بِنـاءَهُ عَـنْ تَـراضٍ خَيـرَ مُقتَسَـمِ
حَـتّـى إِذا بَلَـغَ البُنيـانُ غايَـتَهُ مِن مَوضِعِ الرُّكنِ بَعدَ الكَدِّ وَالجُشَمِ[1]
تَسابَـقوا طَلَبًـا لِلأَجْـرِ وَاختَصَمُـوا فِيمَـن يَشُـدُّ بِناهُ كُـلَّ مُخْتَصَـمِ
فَـقالَ ذُو رَأْيِهِـمْ لا تَعجَلُـوا وَخُـذُوا بِالحَزْمِ، فَهْوَ الَّذي يَشْفِي مِنَ الحَزَمِ[2]
لِـيَرْضَ كُلُّ امـرِئٍ مِنّـا بِـأَوَّلِ مَـن يَأْتـي، فَيَـقْسِطُ فِينـا قِسْـطَ مُحْتَكِـمِ
فَـقالَ كُـلٌّ رَضيـنـا بِالأَمينِ عَلَـى عِـلْمٍ، فَـأَكرِمْ بِـهِ مِـن عـادِلٍ حَـكَمِ!
فَكـانَ أَوَّلَ آتٍ بَعْـدَما اتَّـفَقُـوا مُحَمَّـدٌ، وَهـوَ فـي الخَيـراتِ ذُو قَـدَمِ
فَأَعلَـمُوهُ بِمـا قَـدْ كانَ وَاحتَكَمُـوا إِلَـيْهِ فـي حَـلِّ هَـذاَ المُشْـكِلِ العَمَـمِ
فَـمَدَّ ثَوبًـا وَحَـطَّ الرُّكْـنَ فـي وَسَـطٍ مِنـهُ، وَقـالَ: اِرفَعُـوهُ جانِـبَ الرَّضَـمِ[3]
حَـتّى إِذا اِقتَـرَبوا تِلْقَـاءَ مَوْضِعِهِ مِـنْ جانِـبِ البَيْـتِ ذِي الأَرْكَانِ وَالدِّعَمِ
مَـدَّ الـرَّسُولُ يَـدًا مِنـهُ مُبـارَكَةً بَنَـتْهُ فـي صَـدَفٍ مِـن بـاذِخٍ سَـنِمِ[4]

---

(١) الجُشَم: الثِّقَلُ والمَشَقَّة.
(٢) الحَزَم: الغُصَّةُ فِي الصَّدْرِ، وَبَابُهُ فَرِحَ.
(٣) الرَّضَم: حِجَارَةٍ مَرْضومة بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ في الأبنيةِ.
(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيّ» (٦٠٦/ ٥-٦).

البشَارَاتُ بِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١-بِشَارَةُ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ:

فِي الْكُتْبِ مسْطُورٌ مُجلى باسْمِهِ وَبِنَعْتِهِ فَاسْأَلْ بِهِ الأَخْبَارا

لَقَدْ أَخَذَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المِيْثَاقَ عَلَى الأَنْبِيَاءِأَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيَنْصُرُوهُ إِذَا بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ،وَأَنْ يُبَلِّغُوا أَقْوَامَهُمْ بِذَلِكَ؛ لِيُشِيعَ خَبَرُهُ بَيْنَ جَمِيْعِ الأُمَمِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٨١].

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي كُلٍّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ صِفَاتُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلامَاتُهُ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأَعْرَافُ: ١٥٧].

وَأَهْلُ الكِتَابُ يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ تَلَقَّوا ذَلِكَ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعَنْ أَنْبِيَائِهِمْ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البَقَرَةُ: ١٤٦].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾ [الرَّعْدُ: ١٤٦].

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٧].

وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [الصَّفُّ: ٦].

فَالبِشَارَاتُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الكُتُبِ السَّابِقَةِ مُبَيِّنَةٌ اسْمَهُ،وَصِفَاتِهِ البَدَنِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ، وَنَسَبَهُ، وَمَكَانَ مَبْعَثِهِ، وَصِفَةَ أَصْحَابِهِ، وَصِفَةَ أَعْدَائِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ، وَانْطِبَاقُ تِلْكَ الأَوْصَافِ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَوْصَافٌ وَبِشَارَاتٌ تَلَقَّاهَا أَهْلُ تِلْكَ الأَدْيَانِ نَقْلًا عَنْ رُهْبَانِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ وَكَهَنَتِهِمْ قَبْلَ وِلَادَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِقُرُونٍ كَثِيْرَةٍ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا جَحَدُوا ذَلِكَ وَكَفَرُوا، كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البَقَرَةُ: ٨٩].

وَمِمَّا جَاءَ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ:

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: «إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ - مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَهُدَاهُ لَنَا - لِمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ

أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَجَبْنَاه، حِينَ دَعَانَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البَقَرَةُ: ٨٩]»[١].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ- وَكَانَ سَلَمَةُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ- قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ يَهُودِيٌّ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِيَسِيرٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي- فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ، وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

قَالَ: فقالَ ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنًا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ - يَا فُلَانُ - أَوَتَرَى هَذَا كَائِنًا أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ، يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟!.

فَقَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، يَوَدُّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا يَحْمُونَهُ، ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطَيِّنُونَهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا.

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيْرَةِ» ابْن هِشَامٍ (١/ ٢٢٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٥٧).

قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يا فلان وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ -.

قَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فقال: إِنْ يَسْتَنْفِذْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ.

قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللهِ، مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا[١]، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرَ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا لَهُ: وَيْحَكَ -يَا فُلَانُ- أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهِ»[٢].

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ قَالَ لِي: هَلْ تَدْرِي عَمَّ كَانَ إِسْلَامُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ، وَأَسِيدِ بْنِ سَعْيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ؟ - نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَدْلٍ إِخْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ، كَانُوا مَعَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، ثُمَّ كَانُوا سَادَتَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ -.

قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ؛ قَالَ: فَإِنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْهَيَّبَانِ، قَدِمَ عَلَيْنَا قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِسِنِينَ، فَحَلَّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، لَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا رَجُلًا -قَطُّ- لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَفْضَلَ مِنْه، فَأَقَامَ عِنْدَنَا، فَكُنَّا إذَا قَحِطَ عَنَّا الْمَطَرُ، قُلْنَا لَهُ: اُخْرُجْ - يَا ابْنَ الْهَيَّبَانِ - فَاسْتَسْقِ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً. فَنَقُولُ لَهُ: كَمْ؟ فَيَقُولُ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ.

(١) أَي: اليَهُودِيُّ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ عَنِ البَعْثِ والحِسَابِ وَبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» ابْن هِشَامٍ (١/ ٢٢٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ» (٥٩).

قَالَ: فَنُخْرِجُهَا، ثُمَّ يَخْرُجُ بِنَا إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا، فَيَسْتَسْقِي اللهَ لَنَا، فَوَاللَّهِ، مَا يَبْرَحُ مَجْلِسَهُ حَتَّى يَمُرَّ السَّحَابُ وَنُسْقَى، قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ. قَالَ: ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ عِنْدَنَا.

فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ قَالَ: قُلْنَا: إِنَّكَ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنِّي إِنَّمَا قَدِمْتُ هَذِه الْبَلْدَةَ أَتَوَكَّفُ -أَيْ أَنْتَظِر- خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ؛ وَهَذِهِ الْبَلْدَةُ مُهَاجَرُه، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ فَأَتَّبِعَهُ، وَقَدْ أَظَلَّكُمْ زَمَانُه، فَلَا تُسْبَقُنَّ إِلَيْهِ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَه، فَلَا يَمْنَعْكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ.

فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ - وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَاثًا -: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، وَاللَّهِ، إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كَانَ عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ الْهَيَّبَانِ. قَالُوا: لَيْسَ بِهِ. قَالُوا: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَهُوَ بِصِفَّتِهِ، فَنَزَلُوا وَأَسْلَمُوا، وَأَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ»[١].

أَتَاكُمْ رَسُوْلُ اللهِ بِالنُّوْرِ وَالْهُدَى ... وَأَنْذَرَ مَنْ يَعْصِيهِ بِالْوَيْلِ فِي الْحَشْرِ
وَعَلَّمَكُمْ دَرْبَ النَّجَاةِ مُبَيِّنًا لِمَا ... جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ سَطْرًا عَلَى سَطْرِ
ضَلَلْتُمْ وَحَرَّفْتُمْ كِتَابَ هِدَايَةٍ ... وَمِلْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ عِنَادًا إِلَى الشَّرِّ
وَآمَنَ مِنْكُمْ بِالنَّبِيِّ أُولُوا النُّهَى ... أُولُوا الْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَالْفَهْمِ وَالْفِكْرِ
وَكَمْ شَهِدَتْ مِنْكُمْ رِجَالٌ بِنُبْلِهِ ... وَأَخْلَاقِهِ الْعَلْيَاءِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ[٢]

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاق، انظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة» لابْنِ هِشَامٍ (١/ ٢٢٦-٢٢٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (٦٠).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (١-٢/ ١٠٠٢).

٢- قِصَّةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

نُورٌ بَدَا فَأَبَانَ عَنْ فَلَقِ الْهُدَى وَجَلَا الضَّلَالَةَ فِي سَنَى بُرْهَانِهِ[١]

مَنْ مِنَّا يَجْهَلُ حَالَ اليَهُودِ وَعَدَاوَتَهُمُ الشَّدِيْدَةَ لِأُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المَائِدَة: ٨٢].

وَلِشِدَّةِ عَدَاوَةِ اليَهُودِ وَحِقْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا القَلِيْلُ، يُعَدُّونَ بِالأَصَابِعِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لآمَنَ بِي الْيَهُودُ**»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ**».

فَاليَهُودُ أَهْلُ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقْصُدُ مَنْ حَوْلَهُ فِي المَدِيْنَةِ مِنْ رُؤَسَاءِ اليَهُودِ.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ رُؤَسَاءَ فِي الْيَهُودِ وَمَنْ عَدَاهُمْ كَانَ تَبَعًا لَهُمْ، فَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ فِي الْيَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ»[٣].

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١/ ٣٩٤) ومُسْلِمٌ (٢٧٩٣).

(٣) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٢٧٥).

وَهَا هُوَ عَالِمُ اليَهُودِ وَسَيِّدُهُمْ يَشْهَدُ بِنُبُوَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَعَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَبِي أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيْلَ: قَدِ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (ثلاثًا)، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ؛ لأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِي وَجْهُهُ، عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ»[1].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ:

فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟.

وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟.

وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟.

قَالَ: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**» قَالَ: جِبْرِيلُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ. فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ**﴾ [البَقَرَةُ: ٩٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ.**

وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ.

وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ».

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[2]، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي.

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٥٦٩).

(٢) بُهْت – بِسُكُونِ الهَاءِ وَتُضَمُّ –: جَمْعُ بَهِيْتٍ، وهُوَ الَّذِي تَبهَت العُقُولُ لَهُ؛ بِمَا يَفْتَرِيْهِ مِنَ الكَذِبِ، أَيْ: كَذَّابُونَ مُمَارُونَ لاَ يَرْجِعُونَ إِلَى الحَقِّ.

فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟**».

قَالُوا: خَيْرُنَا، وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا.

قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟**».

فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ.

قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ(١).

بُشْرَاكَ - يَا ابْنُ سَلامٍ - بِالَّذِي ظَفَرَتْ ... بِـهِ يَـدَاكَ مِـنَ الإِسْـلاَمِ والشَّـرَفِ!

أَظْهَـرْتَ مِـنْ وَصَـفِ خَيْرِ النَّاسِ قَاطِبَةً ... مَـا كَانَ مُكتَتَبًا فِـي بَاطِـنِ الصُّحُـفِ

وَلَـمْ تُعَـرِّجْ عَلَـى قَـوْلِ اليَهُـودِ(٢) وَمَـا ... مَـالُـوا إِلَـيْهِ مِـنَ البُهْتَـانِ وَالجَنَـفِ(٣)

وقالَ آخَرُ:

أَرُومُ امْـتِـدَاحَ المُصْطَفَـى، فَيَرُدُّنِـي ... قُصُـورِي عَـنِ إِدْرَاكِ تِلْـكَ المَنَاقِـبِ

وَمَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ، وَالبَحْرُ زَاخِرٌ؟! ... وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الحَصَى وَالكَوَاكِبِ؟!

وَلَـوْ أَنَّ أعْضائِـي غَـدَتْ أَلْسُـنًا إذًا ... لَمَـا بَلَغَـتْ فِـي المـدْحِ بعْـضَ مِآرِبِـي

وَلَـوْ أَنَّ كُـلَّ العَالَمِيْـنَ تَأَلَّفُـوا(٤) ... عَلَـى مَدْحِـهِ، لـمْ يبْلغُـوُا بعْضَ وَاجِبِ

فـأمْسَـكْتُ عنْـهُ هَـيبَةً وتأدُّبًـا ... وعَجْـزًا وإعْظَـامًا لأَرْفَـعِ جَانِـبِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢١٠).

(٢) عرَّج على الشيْءِ أَيْ: أَقَامَ.

(٣) الجَنَف: المَيْل والعُدول عَنِ الحقِّ، وبابُهُ فَرِحَ.

(٤) تَأَلَّفُوا أَيِ: اجْتَمَعُوا.

وَرُبَّ سُكُوتٍ كَانَ فِيْهِ بَلاغَةٌ   وَرُبَّ كَلامٍ فِيْهِ عَتْبٌ لِعَاتِبِ[(١)]

٣- قِصَّةُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لِلهِ هِمَّتُكَ الَّتِي رَجَعَتْ بِهَا   هِمَمُ المُلُوكِ الصَّاعِدَاتِ هُمُوما[(٢)]

تَأَمَّلْ إِلَى قِصَّةِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ مَلِيًّا، تَجِدْ عِظَةً وَبِشَارَةً، وَمَوْضِعُ الشَّاهِدِ مِنْهَا هِيَ بِشَارَةُ أَعْلَمِ أَهْلِ الكِتَابِ فِي زَمَانِهِ، إِذْ بَشَّرَ بِهِ سَلْمَانَ، وَدَلَّهُ عَلَى مَكَانِهِ، وَذَكَرَ لَهُ عَلامَاتٍ قَادَتْ سَلْمَانَ إِلَى تَصْدِيْقِهِ والإِيْمَانِ بِهِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيْثَهُ مِنْ فِيْهِ، قَالَ:

كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ[(٣)] قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ (أَيْ: مُلازِمَ النَّارِ) كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ، حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ[(٤)] الَّذِي يُوقِدُهَا، لاَ أَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً. قَالَ: فَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ.

فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَه، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ؛ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي

(١) «نَفْحُ الطِّيْبِ مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيْبِ» (٥/ ٥١٦).

(٢) «التَّذْكِرَةُ الفَخْرِيَّة» (١٠٠).

(٣) الدِّهْقَان -بِالكَسْرِ وَالضَّمِّ -: كَبِيْرُ القَرْيَةِ وَزَعِيْمُهَا، العَارِفُ بِالفِلاحَةِ وَمَا يَصْلح بالأَرْضِ مِنَ الشَّجَرِ، وَيُلْجَأُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

(٤) قَطَنَ النَّارِ أَيْ: خَازِنُها وَخَادِمُهَا الَّذِي يَخْدُمُهَا مِنْ أَنْ تُطْفَأَ لِتَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهَا.

بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَتْنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا - وَاللهِ - خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي، وَقَدْ شَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟!. قُلْتُ: يَا أَبَتِي، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَأَعْجَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا -وَاللهِ- إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا. قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى، وَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ.

قَالَ: فَقُلْتُ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَآذِنُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأُسْقُفُّ[١] فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ: فَجِئْتُه، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي كَنِيسَتِكَ، أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّي مَعَكَ.

---

(١) الْأُسْقُفّ -بِتَشْدِيْدِ الفَاء وَتَخْفِيفِهَا-: عَالِم النَّصَارَى الَّذِي يُقِيْمُ لَهُمْ أَمْرَ دِيْنِهِم.

قَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا مِنْهَا شَـيْئًا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِـهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَـاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ(١) مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ(٢).

قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا؛ لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَع، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوه، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعْتُمْ لَهُ مِنْهَا أَشْيَاءَ جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا. قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَه، فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَـبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، فَلَمَّـا رَأَوْهَـا قَالُـوا: وَاللـهِ، لَا نَدْفِنُـهُ أَبَـدًا قَـالَ: فَصَلَبُـوه، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ.

قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَلَا أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ.

قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاة، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ أَحَدًا قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ.

---

(١) قِلَال: جَمْعُ قُلَّةٍ، وَهِيَ إِنَاءٌ كَبِير لِلعَرَبِ كَالجَرَّة الكَبِيْرَة، وَسُمِّيَتْ قُلَّةً لأَنَّهَا تُقَلُّ بِاليَدِ(أَي تُحْمَلُ).

(٢) الوَرِقُ: الفِضَّة.

قَـالَ: فَلَمَّـا مَـاتَ وَغُيِّـبَ، لَحِقْـتُ بِصَاحِـبِ الْمَوْصِـلِ، فَقُلْـتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ. قَالَ: أَقِـمْ عِنْـدِي، فَأَقَمْـتُ عِنْـدَهُ، فَوَجَدْتُـهُ خَيْـرَ رَجُـلٍ عَلَـى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي إِلَيْكَ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَـالَ: أَيْ بُنَـيَّ، وَاللـهِ، مَـا أَعْلَـمُ رَجُـلًا عَلَـى مِثْـلِ مَـا كُنَّـا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي قَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَه، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ، مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حُضِرَ قُلْتُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟. قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُـرُكَ أَنْ تَأْتِيَـهُ إِلَّا رَجُـلًا بِعَمُّورِيَّـةَ، فَإِنَّـهُ عَلَـى مِثْـلِ مَـا نَحْـنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ أَمْرِنَا.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ أَصْحَابِهِ وَهَدْيِهِمْ، وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى صَارَتْ لِي بُقَيْرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ ﷻ.

قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، وَإِنَّهُ أَوْصَى بِي إِلَـى فُـلَانٍ، وَأَوْصَـى بـي فُـلَانٌ إِلَـى فُـلَانٍ إِلَـى فُـلَانٍ، وَأَوْصَى بي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟.

قَالَ: فَإِنَّنِي - وَاللهِ - مَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَه، وَلَكِنْ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجَرُهُ إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بُقَيْرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِه؟، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا فَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي، فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ، وَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقَّ فِي نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَحَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ(١)، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ(٢) لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ، إِنَّهُمُ الْآنَ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ(٣)، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي.

---

(١) الرِّقّ - بِالكَسْرِ - العُبُودِيَّة.

(٢) العَذْق -بِفَتْحِ العَيْنِ -: النَّخْلَةَ، وَالعِذْقُ - بِكَسْرِ العَيْنِ -: عُنْقُودُ النَّخْلَةِ.

(٣) أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ أَيْ: أَصَابَتْنِي الرِّعْدَةُ.

قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟، مَاذَا تَقُولُ؟، فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟، أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ.

وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُه، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**كُلُوا**». وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

ثُمَّ انْصَرَفْت عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُه، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ اثْنَتَانِ.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، وَقَدْ تَبِعَ جِنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَه، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ قَدْ وُصِفَ لِي. قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ وَعَرَفْتُه، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَحَوَّلْ**». فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي - كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُه، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**».

فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ نَخْلَةٍ، أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ[١]، وَبِأَرْبَعِين أُوقِيَّةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**».

فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يُعِينُ الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَه، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ إِلَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ - يَا سَلْمَانُ - فَفَقِّرْ لَهَا**[٢]**، فَإِذَا فَرَغْتَ فَائْتِنِي فَأَكُونَ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي**».

قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّ[٣]، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟**». قَالَ: فَدُعِيتُ لَه، فَقَالَ: «**خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ**».

قَالَ: قُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ - يَا رَسُولَ اللهِ - مِمَّا عَلَيَّ؟، قَالَ: «**خُذْهَا؛ فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ**».

قَالَ: فَأَخَذْتُهَا، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا - وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ - أَرْبَعِينَ

---

(١) بِالْفَقِيرِ أَيْ: بِالحَفرِ وَبِالغَرْسِ.

(٢) فَفَقِّرْ لَهَا أَيْ: احْفِرْ لَهَا.

(٣) الوَدِيّ: فِرَاخُ النَّخْلِ الصِّغَار، وَاحِدَتُهَا وَدِيَّةٌ.

أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهَمْ وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ»[١].

مـن (فـارسٍ) طَلَـبَ الهُـدَى سَـلْمانُ ... فـغَـدَا بـجِـدٍّ إنَّـه الإيـمـانُ

لَـوْ كَـانَ ذلـك فِـي الثُّرَيَّا عـالقًا ... لـسَـمـا إلَيْـهِ وَنَالَـهُ سَـلْمَـانُ

رَغْـمَ المتاعِـبِ ظَـلَّ يَسْـعَى جاهـدًا ... يَـهْـفُـو بـشَـوْقٍ حبَّـذَا العنـوانُ

سَلْمَـانُ قَـدْ قَـطعَ الفِيافِـي رغبـةً ... فِـي ديـنِ أحْـمَـدَ أيُّـها الإخـوانُ

وَلَـكَـمْ تـنَـقَّـلَ باحثًا عَـنْ نُـورِهِ ... فِـي رِحلـةٍ دَوَّتْ بِـها الأَزْمَـانُ

حتَّـى رَأَى وَجْـهَ الهُـدَى فاسْتَبْشَـرَتْ ... عَـيْـنـاهُ بَـلْ وتَـحَـرَّر الإنْـسَـانُ[٢]

٤- قِصَّةُ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّوْمِ:

شَـهِـدَتْ مِـنْ تَـارِيْخِـهِ قِصَّـة ... رَوَائِـعُ التَّـمْـثِيْلِ فِيْهَـا ضُـرُوبُ[٣]

عَـنِ ابْـنَ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَـالَ: «إِنَّ أَبَـا سُـفْيَانَ بْـنَ حَـرْبٍ أَخْبَـرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَـلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ - وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّـأْمِ - فِي الْمُدَّةِ[٤] الَّتِي كَانَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ مَـادَّ فِيهَـا أَبَـا سُـفْيَانَ وَكُفَّـارَ قُرَيْـشٍ، فَأَتَـوْهُ وَهُـمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَـبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُـفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا.

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (٥/ ٣٥٤)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الجَامِعِ الصَحِيْحِ» (٢٥١٩)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٨٩٤).

(٢) قالهُ أخونا عُمرُ بنُ صَبيحٍ الحضرميُّ - حفظه اللَّهُ -.

(٣) «دوواينُ الشِّعْر العربيّ» (٤٣/ ٢٧١).

(٤) فِي الْمُدَّةِ: يَعنِي مُدَّةَ الصُّلْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَتِ الحُدَيْبِيَةُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الهِجْرَةِ، وَكَانَتْ مُدَّتُهَا عَشَرَ سِنِيْنَ.

فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ[١]. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

فَوَاللهِ، لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ - قَطُّ - قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[٢]، يَنَالُ مِنَّا، وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ.

---

(١) أَيْ: لِئَلاَّ يَسْتَحْيُوا أَنْ يُوَاجِهُوهُ بِالتَّكْذِيبِ إِنْ كَذَبَ.

(٢) سِجَال أَيْ: نُوَبٌ، نَوْبَةٌ لَنَا، وَنَوْبَةٌ له، وَأَصْلُهُ: أَنَّ الْمُسْتَقِينِ بِالسَّجْلِ (وَهِي الدَّلْوُ المَلأَى) يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَجْلٌ.

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ.

وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ.

فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ[1] إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ

(١) أَخْلُص أَيْ: أَصِلُ.

لِقَاءَهُ[١]، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى[٢]، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٣]، وَ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤**﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ[٤]، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ[٥] أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٦]، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[٧]. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا

(١) لَتجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ أَيْ: تَكَلَّفْتُ الوُصُولَ إِلَيْهِ.

(٢) عَظِيمِ بُصْرَى أَيْ: أَمِيرِهَا.

(٣) الأَرِيسِيِّينَ: اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِهِ هُنَا: وَالصَّحِيحُ المَشْهُورُ: أَنَّهُمُ الْأَكَّارونَ (أَيِ: الْفَلاَّحُونَ وَالزَّرَّاعُونَ)، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ رَعَايَاكَ الَّذِينَ يَتْبَعُونَكَ وَيَنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ، وَنَبَّهَ بالأَكَّارين عَلَى جَمِيعِ الرَّعَايَا؛ لِأَنَّهُمُ الْأَغْلَب، وَلِأَنَّهُمْ أَسْرَعُ انْقِيَادًا.

(٤) الصَّخَبَ- بِالتَّحْرِيْكِ -الصَّوْتُ المُخْتَلَطُ المُرْتَفِعُ.

(٥) أَمِرَ - بِكَسْرِ المَيْمِ - عَظُمَ.

(٦) ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ: أَرَادَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ؛ لَأَنَّ أَبَا كَبْشَةَ أَحَدُ أَجْدَادِهِ، وَعَادَةُ العَرَبِ إِذَا انْتقَصَتْ نَسَبَتْ إِلَى جَدٍّ غَامِضٍ. وَ قِيْلَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ كَانَ يَعْبُدُ الشِّعْرَى، وَلَمْ يُوَافِقْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي عِبَادَتِهَا، فَشَبَّهُوا النَّبِيَّ ﷺ بِهِ لِمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ، كَمَا خَالَفَهُمْ أَبُو كَبْشَةَ.

(٧) بَنِي الأَصْفَرِ: هُمُ الرُّومِ.

أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ(١) وَهِرَقْلَ سُقُفًّا(٢) عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ(٣)، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ(٤): قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً(٥) يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ(٦)، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلاَّ الْيَهُودُ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ(٧)، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ. فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ.

فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ(٨) حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ

---

(١) إِيلِيَاءَ: بَيْتُ المَقْدِسِ.

(٢) السُقُفُّ: الرَّئِيس الدِّيْنِي عِنْدَ النَّصَارَى.

(٣) خَبِيثَ النَّفْسِ أَيْ: مَهْمُومًا.

(٤) بَطَارِقَةُ: رِجَالُ الكَنِيْسَةِ، وَاحِدُهُمْ بِطْرِيْقٌ.

(٥) حَزَّاءً أَيْ: كَاهِنًا.

(٦) ظَهَرَ أَيْ: غَلَبَ.

(٧) مَلِكُ غَسَّانَ: هُوَ صَاحِبُ بُصْرَى.

(٨) لَمْ يَرِمْ حِمْصَ أَيْ: لَمْ يُغَادِرْهَا.

نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[١] لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا[٢] حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ[٣] إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ.

فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ.

وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا[٤] أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[٥].

٥- قِصَّةُ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الحَبَشَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

مَلِكٌ مُقْسِطٌ[٦] وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي وَمِنْ دُونَ مَا لَدَيهِ الثَّنَاءُ[٧][٨]

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا

---

(١) الدَّسْكَرَة -بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ-: القَصْرُ الَّذِي حَوْلَهُ بُيُوتٌ.

(٢) فَحَاصُوا أَيْ: نَفَرُوا.

(٣) حُمُرِ الْوَحْشِ: شبَّهَهُمْ بِالوُحُوشِ؛ لَأنَّ نَفْرَتَهَا أَشَدُّ مِنْ نَفْرَةِ البَهَائِمِ الإِنْسِيَّةِ. وَشَبَّهَهُمْ بِالحُمُرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الوُحُوشِ لِمُنَاسَبَةِ الجَهْلِ وَعَدَمِ الفِطْنَةِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

(٤) آنِفًا أَيْ: قَرِيبًا.

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٦).

(٦) المُقْسِطُ: العَادِل.

(٧) ومَعْنَى: (**وَمِن دُونَ مَا لَدَيهِ الثَّنَاءُ**) أيِ: الثَّنَاءُ مِنَّا عَلَيْهِ أَقَلُّ مِمَّا فِيْهِ، وَعِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ وَالمَعْرُوفِ أَكْثَرُ مِمَّا نَصِفُ وَنُثْنِي.

(٨) «شَرْحُ المُعَلَّقَاتِ» للزَّوْزَنِيِّ (٢٧٧).

اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نكْرَهُه، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ[١]، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ[٢]، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ عَبْدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاه، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ؛ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ، وَعَشَائِرِهِمْ؛ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى

(١) جَلْدَيْنِ أَيْ: شَدِيْدَيْنِ قَوِيَّيْنِ.
(٢) الأَدَمُ –بِالتَّحْرِيْكِ–: الجِلْدُ المَدْبُوغ.

بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللهِ[١] ايْمُ اللهِ[٢] -إِذًا- لاَ أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلاَ أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلاَدِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ، أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟، قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَه، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ

---

(١) لاَ هَا اللهِ أَيْ: لَا وَاللهِ، اسْتُغْنِي عَنْ وَاوَ القَسَمِ بِحَرْفِ التَّنْبِيهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلاَّ مَعَ اللهِ.

(٢) ايْمُ اللهِ: كَانُوا يَحْلِفُونَ بِأَيْمُنِ اللهِ، فَيَقُولُونَ يَمِينُ اللهِ لاَ أَفْعَلُ، ثُمَّ جَمَعُوا اليَمِينَ عَلَى أَيْمُنٍ، ثُمَّ حَلَفُوا بِهِ، فَقَالُوا: أَيْمَنُ اللهِ لأَفْعَلَنَّ كَذَا، ثُمَّ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ وَخَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ حَتَّى حَذَفُوا مِنْهُ النُّونَ، فَقَالُوا: ايْمُ اللهِ، وَأَلِفُهُ أَلِفُ وَصْلٍ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّحْوِيِّين.

الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَه، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَه، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا - خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مَرْيَم: ١].

قَالَتْ: فَبَكَى -وَاللهِ- النَّجَاشِيُّ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ[١]، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ[٢] حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ

---

(١) أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ: أَبَلَّهَا بِالدُّمُوعِ.

(٢) مَصَاحِفَهُمْ: أَنَاجِيلَهُمْ.

هَذَا - وَاللهِ - وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ[١] وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ، لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ، لَأُنَبِّئَنَّهُ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَه، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[٢]. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدُ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ.

قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟، قَالُوا: نَقُولُ - وَاللَّهِ - فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، هُوَ عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ[٣].

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا

---

(١) المِشْكَاة - بالكَسْرِ - الكُوَّة الَّتِي لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ، وَهِيَ مَحَطُّ المَصَابِيْح غَالِبًا، وَالمُرَادُ: أَنَّ القُرْآنَ وَالإِنْجِيْلَ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الوَحْيُ الإِلَهِيُّ.

(٢) خَضْرَاءَهُمْ أَيْ: سَوَادَهُمْ وَمُعْظَمَهُمْ.

(٣) أَصْلُ البَتْلُ: القَطْع،وَسُمِّيَتِ البَتُولَ؛ لانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلاً وَدِيْنًا وَحَسَبًا، وَقِيْلَ: لانْقِطَاعِهَا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللهِ -تَعَالَى -. وَقِيْلَ: المُنْقَطِعَة عَنِ الرِّجَالِ، لاَ شَهْوَةَ لَهَا فِيْهِم.

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ[١] حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَل - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ، مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.

قَالَتْ: فَوَاللهِ، إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ، يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا - قَطُّ - كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ.

قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟

قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا، حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ.

قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْثَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى

---

(١) فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ أَيْ: تَكَلَّمَتْ، وَكَأَنَّهُ كَلَامٌ مَعَ غَضَبٍ وَنُفُورٍ.

رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ»[١].

قُضِيَ الزَّمَانُ وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ ... مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ بِكُلِّ كِتَابِ

أَخْبَارُهُ مَعَ سَائِرِ الأَخْبَارِ، وَالْرْ ... رُهْبَانِ، والكُهَّانِ، والحُسَّابِ

عَرَفُوهُ قَبْلَ شُهُودِهِ بِدَلائِلِ ... عُنْوَانُهُنَّ مَنَاصِبُ الأَنْسَابِ[٢]

٦-إخبار الكهان والجان ببعثته ﷺ:

أَصْغَتْ إِلَيْكَ الْجِنُّ وَانبهَرَتْ بِمَا ... تَتْلُو، وعَمَّ قُلُوبَهَا اسْتِبْشَارُ[٣]

عَنْ عبد الله بن عُمَرَ قَالَ: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيءٍ - قَطُّ - يَقُولُ: إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا. إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ، بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فَقَال: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَو أَنَّ هذا على دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ، عليَّ الرَّجُلَ[٤]، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ ما رأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، قَالَ: فإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا ما أَخْبَرْتَني.

قَالَ: كُنْتُ كَاهِنَهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ؟

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٤٠)،وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الجَامِعِ الصَّحِيْحِ» (٢١٧٨)، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي«الصَّحِيْحِةِ»(٣١٩٠). وَالشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ أَوَّلَهُ، وَقَالَ: الحَدِيْثُ بِطُوْلِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»، وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ، كَمَا فِي «الصَّحِيْحَةِ» تَحْتَ رَقَم (٣١٩٠) (٧/ ٥٧٧).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٣) «من عيون الشعر» (١/ ٦٧٠).

(٤) عَلَيَّ - بتشديدِ الياءِ - الرَّجُلَ أَيْ: أَحْضِرُوهُ، أَوْ قَرِّبوهُ مِنِّي.

قَالَ: بَيْنَما أنَا يَوْمًا فِي السُّوقِ، جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَعَ، فقَالَتْ:

أَلَـمْ تَـرَ الْجِـنَّ وإِبْـلَاسَهَا[١] وَيَـأْسَهَـا مِـنْ بَعْـدِ إِنْكَـاسِهَا[٢]
وَلُحُـوقَهَـا بالْقِلاصِ[٣] وأَحْـلاَسِهَـا[٤]

قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ، إِذْ جاءَ رجُلٌ بِعجْلٍ فَذَبحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ - لَمْ أسْمَعْ صَارِخًا قَطُّ أَشَدَّ صَوْتًا مِنْهُ - يقُولُ: يا جَليحْ[٥]، أَمْرٌ نجيحْ، رَجُلٌ فَصيحْ، يَقُولُ: لا إلَهَ إِلَّا الله. فَوَثَبَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: لا أَبْرَحُ حَتَّى أعْلَمَ ما وَرَاءَ هذا، ثُمَّ نَادَى: يا جَلِيحْ، أمْرٌ نَجِيحْ رَجُلٌ فَصِيحْ، يَقُولُ: لا إله إِلَّا اللهُ. فَقُمْتُ، فَمَا نشبنا[٦] أَنْ قِيلَ هذا نبيٌّ[٧].

وصرَّحَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ الرَّجُلَ هو: سَوادُ بنُ قاربٍ، كما جاء فِي بعْضِ طُرُقِ الحديثِ.

وَكَانَ من عَلامَةِ نُبُوَّتِه ﷺ أنْ مُنِعَتِ الشَّياطينُ مِنَ اسْتِراقِ السَّمْعِ[٨].

---

(١) وَإِبْلاسَها أَيْ: وَخوْفَها.

(٢) مِنْ بَعْدِ إنكاسِها أَيْ: مِنْ بَعْدِ انقلابها على رأْسِها، معناهُ: يَئِسَتْ مِن استراقِ السَّمْعِ بعْدَ أنْ كانتْ أَلِفَتْهُ، فانقلبتْ عَنِ الاستراقِ.

(٣) القِلاص - بكسر القافِ -: جمعُ قَلُوصٍ، وهي الناقةُ الشَّابَّةُ.

(٤) وأحلاسها: جمْعُ حِلْسٍ -بالْكَسْر- وهو كِساءٌ يُجْعَلُ تحْتَ رَحْلِ الإبلِ على ظهُورِها تُلازِمُهُ، والمرادُ: بيانُ ظهورِ النبيِّ العربيِّ ﷺ، ومُتابعةِ الجنِّ للعربِ، ولُحوقِهِمْ بِهِمْ في الدِّينِ؛ إذْ هو رسولُ الثَّقَلَيْنِ.

(٥) يا جَليح - بفتح الجيم - أَيْ: يا وقح، ومعناه: المكافح المكاشف بالعداوةِ، ويحتملُ أنْ يكونَ نادى رجلًا بِعينِه، أو مَنْ كان مُتَّصِفًا بذلك

(٦) فما نَشِبْنا أَيْ: فما لَبِثْنا.

(٧) رواه البخاريُّ (٣٨٦٦).

(٨) رواه البخاريُّ (٤٩٢١).

ومِنْ هَوَاتِفِ الجانِّ – أيضًا – ما رواهُ أبُو نُعَيْمٍ عَنْ جَابرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أوَّلَ خَبَرٍ كان بالمدينةِ بِمَبْعَثِ رسُولِ الله ﷺ أنَّ امْرَأةً بالمدينةِ كَانَ لها تابِعٌ مِنَ الْجِنِّ، فجاء في صُورَةِ طائِرٍ أبْيَضَ، فوقع على حائطٍ لهم، فقالت له: ألا تَنْزِلُ إلينا، وَتُحَدِّثُنا وَنُحَدِّثُكَ، وَتُخْبِرُنَا وَنُخْبِرُكَ؟

فَقَالَ لها: إنَّه قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ بِمَكَّةَ حَرَّمَ الزِّنا، ووضع مِنَّا القَرَارَ[1].

والْجِنُّ تَهْتِفُ والأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ
عَمُوا وصَمُّوا فإعْلَانُ البَشَائرِ لَمْ ... يُسْمَعْ وبارِقَةُ الإنْذَارِ لَمْ تُشَمِ[2]
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوامَ كَاهِنُهُمْ ... بأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

---

(١) (حسن) أخرجه أبُو نُعَيْمٍ في «الدلائل» (٢٩)، وحَسَّنَهُ الألْبانِيُّ في «صحيح السِّيرة» (٨٣).
(٢) لمْ تُشَمْ أَيْ: لم تُرَ ولم تُشاهَدْ.

البِعْثَةُ النَّبَوِيَّةُ

الرُّوحُ وَالمَلَأُ المَلائِكُ حَولَهُ ... لِلدِّيْنِ وَالدُّنْيا بِهِ بُشْرَاءُ[١]

لَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ رَحْمَةَ عِبادِهِ وَإِكْرَامَهُمْ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى حِيْنِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ وَهُوَ فِي سِنِّ الأَرْبَعِيْنَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ»[٢].

أَطَلَّ فَجْرُ هُدَاهُ وَالدُّجَى[٣] عَمَمٌ[٤] ... بَاتَ الأَنَامُ وَظَلُّوا فِيْهِ عُمْيَانا

هَذَا يُصَوِّرُ تِمْثَالًا وَيَعْبُدُهُ ... وَذَاكَ يَعْبُدُ أَحْبَارًا وَكُهَّانا[٥]

١- نُزُولُ الوَحْيِ:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾ فِي حِرَاءِ تَحَرَّرَتْ ... وَالدَّهرُ غافٍ في عَميقِ سُباتِهِ[٦]

جَاءَهُ الوَحْيُ وَهُوَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءٍ، وَهُوَ الغَارُ الَّذِي فِي أَعْلَى الجَبَلِ المُسَمَّى جَبَلَ النُّورِ، شَرْقِيَّ شَمَالِ مَكَّةَ عَلَى يَمِيْنِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا.

---

(١) «الشَّوْقِيَّات» (١/ ١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٥١)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥١).

(٣) الدُّجى -بِزِنَةِ الهُدَى- الظُّلْمَةُ.

(٤) عَمَمٌ أَيْ: تَامٌّ عَامٌّ.

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(٧/ ١٥٠).

(٦) المرجع السابق (٧٣/ ٥٦٠).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[١]، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّد لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فغَطَّنِي[٢]، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ[٣]، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَالَ: **اقْرَأْ. قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فغطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ.فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العَلَق: ١-٣].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُه، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي**[٤] **زَمِّلُونِي**»، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[٥]، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ - وَأَخبرَهَا الْخبرَ -: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا - وَاللهِ - مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[٦]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ[٧]،

(١) فَلَقُ الصُّبْح -بِالتَّحْرِيْك- ضَوْؤُهُ وإِنَارَتُهُ، وَالمَعْنَى: تَأْتِي رُؤْيَاهُ مُبَيَّنَةً مِثْلَ مَجِيءِ الصُّبْحِ.

(٢) الغطُّ: العَصْرُ الشَّدِيْدُ وَالكَبْسُ، قِيلَ: إِنَّمَا غَطَّهُ؛ لِيَخْتَبِرَهُ هَلْ يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ شَيْئًا.

(٣) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ أَيْ: بَلَغَ الغطُّ مِنِّي غَايَةَ وَسْعِي.

(٤) زَمِّلُونِي أَيْ: لُفُّونِي فِي الثِّيَابِ، وَدَثِّرُونِي بِهَا؛ لِيَسكُنَ مَا حَصَلَ لِي مِنَ الرِّعْدَةِ.

(٥) الرَّوْعُ: الإِفْزَاعُ وَالخَوْف.

(٦) الكَلّ -بِالفَتْح- الثِّقَلُ، وَيَدْخُلُ فِي حَمْل الكَلِّ الإِنْفَاقُ عَلَى الضَّعِيْفِ، وَاليَتِيْم، والعِيَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٧) تَكْسِبُ المَعْدُومَ: تُكْسِبُ غَيْرَكَ الْمَالَ الْمَعْدُومَ (أَيْ تُعْطِيهِ إِيَّاهُ تبرُّعًا)، وَقِيلَ مَعْنَاهُ تُعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَعْدُومَاتِ الْفَوَائِدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَتَقْرِي الضَّيْفَ[١]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[٢].

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ، حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[٣] الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا[٤] جَذَعٌ[٥]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**». قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ - قَطُّ - بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[٦] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ[٧][٨].

---

(١) تَقْرِي الضَّيْفَ -بِفَتْحِ التَّاء- تُضَيِّفُهُ.

(٢) النَّوَائِبَ: جَمْعُ نَائِبَةٍ، وَهِيَ الْحَادِثَةُ والمُصِيبَةُ، إِنَّمَا قَالَتْ: «نَوَائِبَ الْحَقِّ» لأَنَّ النَّائِبَةَ تَكُونُ فِي الْحَقِّ وَالبَاطِلِ.

(٣) النَّامُوسُ: صَاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ، والمُرَادُ بِهِ هُنَا جِبْرِيْلُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ اللهَ -تَعَالَى- خَصَّهُ بِالغَيْبِ وَالوَحْيِ الَّذِي لاَ يُطْلِعُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ.

(٤) فِيْهَا: الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى أَيَّامِ النُّبُوَّةِ وَمُدَّتِهَا.

(٥) جَذَعَ -بِالتَّحْرِيْك- أَيْ: شَابٌّ قَوِيٌّ؛ حَتَّى أُبَالِغَ فِي نُصْرَتِكَ.

(٦) لَمْ يَنْشَبْ: لَمْ يَلْبَثْ.

(٧) فَتَرَ الْوَحْيُ: احْتَبَسَ بَعْدَ مُتَابَعَتِهِ وَتَوَالِيْهِ فِي النُّزُولِ، وَلَعَلَّ الحِكْمَةَ فِي إِبْطَائِهِ ذَهَابُ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الرَّوْعِ، وَالتَّشَوُّفُ إِلَى عَوْدِهِ.

(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٢).

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلما قَالَ لَهَا: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا» ثُمَّ استَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يُخْزَى أَبَدًا، فَعَلِمَتْ بِكَمَالِ عَقْلِهَا وَفِطْرَتِهَا أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ والشِّيَمَ الشَّرِيفَةَ تُنَاسِبُ أَشْكَالَهَا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَا تُناسِبُ الْخِزْيَ والْخِذْلَانَ، وَإِنَّمَا يُنَاسِبُهُ أَضْدَادُهَا، فَمَنْ رَكَّبَهُ اللهُ عَلَى أَحْسَنِ الصِّفَاتِ، وَأَحْسَنِ الْأَخَلَاقِ وَالْأَعْمَالِ إِنَّما يَلِيقُ بِهِ كَرَامَتُهُ وَإِتْمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ رَكَّبَهُ عَلَى أَقْبَحِ الصِّفَاتِ وَأَسْوَأِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيقُ بِهِ مَا يُنَاسِبُهَا، وَبِهَذَا الْعَقْلِ وَالصِّدِّيقِيَّةِ اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا رَبُّهَا بِالسَّلَامِ مِنْهُ مَعَ رَسُولَيْهِ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ[1].

إِنَّ البَرِيَّةَ يَوْمَ مَبْعَثِ أَحْمَدٍ ... نَظَرَ الإِلَهُ لَهَا، فَبَدَّلَ حَالَهَا

بَلْ كَرَّمَ الإِنْسَانَ حِيْنَ اخْتَارَ مِنْ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ نَجْمَهَا وَهِلَالَهَا[2]

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ ... مِنَ الرُّسْلِ، وَالأَوْثَانُ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ

فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا ... يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيْلُ[3] المُهَنَّدُ[4]

وَأَنْذَرَنَا نَارًا، وَبَشَّرَ جَنَّةً ... وَعَلَّمَنَا الإِسْلَامَ، فَاللَّهَ نَحْمَدُ[5]

---

(١) زادُ المعادِ (٣/ ١٧).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(٣ / ١٥٠).

(٣) الصَّقِيْلُ: السَّيْفُ المَجلُوُّ المُنْجَرِدُ المَاضِي فِي الضَّرِيْبَةِ. وَالمُهَنَّد: المَطْبُوع مِنْ حَدِيْدِ الهِنْدِ.

(٤) المُهَنَّد: المَطْبُوع مِنْ حَدِيْدِ الهِنْدِ.

(٥) «دِيْوَانُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤٢).

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

وَافَـيْتَ وَالأَرْضُ ظَمْـأَى وَالأَنَـامُ عَلَـى أَرْجَـائِهَا بَـيْنَ مَعْـمِيٍّ وَبَيْـنَ عَمِـي

فَكُنْـتَ غَيْثًـا وَنَـوَّارًا[١] فَارْتَـوَتْ،وَرَأَوْا شَمْسَ الهِدَايَةِ لاَحَتْ فِي الدُّجَى العَمَمِ

فَـجَـاءَ عَصْـرُكَ أَنْـوَارٌ صَحَائِفُـهُ وَكَـانَ قَـبْلَكَ حَرْفًـا غَيْـرَ مُنْعَجِـمِ[٢]

وَقَالَ آخَرُ:

سَـطَعْتَ وَلَيْـلُ الغَـيِّ[٣] مُلْـقٍ جِرَانَـهُ[٤] عَلَى الكَوْنِ تَهْمِي[٥] بِالرَّزَايَا[٦] سَحَائِبُهْ

فَجِـئْتَ بِـقُرْآنٍ حَـوَى كُلَّ حِكْمَـةٍ أَنَـارَتْ دَيَاجِـي[٧] الكَائِـنَاتِ كَوَاكِبُهْ[٨]

٢- فَتْرَةُ الوَحْيِ:

وَلأَنْـتَ أَسْمَـى المُرْسَـلِيْنَ مَكَانَـةً بِجَـلاَلِ قَـدْرٍ أَوْ عُلُـوِّ رِكَـابِ[٩]

المُرَادُ بِفَتْرَةِ الْوَحْيِ: احْتِبَاسِهِ، وَعَدَمُ تَتَابُعِهِ وَتَوَالِيْهِ فِي النُّزُولِ، وَالصَّحِيْحُ: أَنَّ هَذِهِ الفَتْرَةَ لَمْ تَتعَدَّ شَهْرًا، جَاءَ ذَلِك مُصَرَّحًا فِي حَدِيْثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، نَزَلْتُ**

(١) النَّوَّارُ: الأَزْهَار، وَاحِدَتُهَا نَوَّارَةٌ.

(٢) الحَرْفُ المُنْعَجِمُ: المُزَالُ إِبْهَامُهُ بِالنَّقْطِ وَالشَّكْلِ.

(٣) الغَيّ: خِلافُ الرُّشْدِ وَالهِدَايَةِ.

(٤) الجِرَان - بِالكَسْرِ - بَاطِنُ عُنُقِ البَعِيْرِ، وَقَدِ اسْتَعَارَهُ لِلَّيْلِ.

(٥) تَهْمِي: تَسِيْلُ.

(٦) الرَّزَايَا: جَمْعُ رَزِيَّةٍ، وَهِي المُصِيْبَةُ.

(٧) الدَّيَاجِي: الظُّلُمَاتُ، وَاحِدَتُهَا دَيْجَاةٌ.

(٨) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٣).

(٩) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٨/ ٣٦٣).

فَاسْـتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا.

ثُمَّ نُودِيتُ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذَتْنِي رَجْفَـةٌ شَـدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَـةَ، فَقُلْـتُ: دَثِّرُونِي. فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّـوا عَلَـيَّ مَـاءً، فَأَنْـزَلَ اللـهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المُدَّثر: ١-٤][1].

وَفِـي رِوَايَـةٍ: عَـنْ جَابِـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَـدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المُدَّثْـر: ١-٢] إِلَـى قَوْلِـهِ تَعَالَـى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المُدَّثـر: ٥] فَحَمِـيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ»[2].

أَتَـى الهُـدَى نُـورًا وَنِـعْمَةً ... وَقَـدْ كَانَ وَجْهُ الكَونِ بِالشِّـركِ مُظْلِمَا

فَجَلَّـى بَأَنْـوَارِ الهُدَى كُلَّ ظُلْمَـةٍ ... وَأَطْـلَعَ فِـي الآفَـاقِ لِلدِّيْـنِ أَنْجُمَـا

وَقَالَ عِمادُ بْنُ عَلِيٍّ - حَفَظَهُ اللهُ-:

كَـانَ الـزَّمَانُ لَـيَالٍ لاَ بَـيَاضَ بِهَـا ... حَـتَّى أَتَـاهُ رَسُـولُ الـلَّهِ بِالفَـجْرِ

مُـحَـمَّدٌ مَـنْ هَـدَى الإِنْسَـان فِطْرَتَـهُ ... وَكَـانَ فِـي دُجْنَـةٍ[3] الأَفْكَارِ كَالبَـدْرِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٧) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤) وَاللَّفْظُ لَه، وَمُسْلِمٌ (٣٢٥).

(٣) الدُّجْنَةُ: الظُّلْمة، والْجَمْعُ: دُجَنٌ.

٣- كَيْفَ كَانَ يَأْتِيهِ الوَحْيُ؟:

سَـارٍ مِـنَ الوَحْـيِ مَـنْ يُنْكِـرْ جَلَالَتَـهُ   يَكْشِـفْ لَهُ اللَّهُ عَنْ رَوْعَاتِ جِبْرِيْلِ(١)

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيْلِ شِدَّةً(٢)، وَكَانَ جَبِيْنُهُ يَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي اليَوْمِ الشَّـدِيْدِ البَرْدِ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَغَيَّرُ وَيَكْرُبُ(٣)، وَجِسْـمُهُ يَثْقُلُ، يَقُولُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي»(٤).

وَكَانَ ﷺ يُرَكِّزُ ذِهْنَهُ بِشِـدَّةٍ لِحِفْظِ القُرْآنِ، فَيُحَرِّكُ بِهِ لِسَانِهِ وَشَـفَتَيْهِ، فَنَزَلَـتِ الآيَـةُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القِيَامَةُ: ١٦-١٧](٥).

وَكَانَ حِـرْصُ النَّبِـيِّ ﷺ عَلَـى تَبْلِيْـغِ القُـرْآنِ الكَرِيْـمِ يَدْفَعُـهُ إِلَى التَّعَجُّلِ فِي تَلَقِّيْهِ،وَالشَّـوْقِ إِلَيْهِ،وَقَـدْ بَيَّنَـتْ ذَلِـكَ الآيَـةُ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طَه: ١١٤].

وَقَدْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيهِ الوَحْيُ،قَالَ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي،فَأَعِي مَا يَقُولُ**»(٦).

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٤٣٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٣).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٤).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٧٧).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥)، وَمُسْلِمٌ (٤٤٨).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٣٣).

وَكَانَ الوَحْيُ يَأْتِيْهِ فِي اليَقَظَةِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الأَحَادِيْثُ الصَّحِيْحَةُ(١).

وَقَدِ اسْتَغْرَقَ نُزُولُ الوَحْيِ ثَلاثًا وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، مِنْهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ عَامًا بِمَكَّةَ، وَهَذَا المَشْهُورُ(٢)، وَعَشْرُ سِنِيْنَ فِي المَدِيْنَةِ، وَهَذَا هُوَ المُتَّفَقُ عَلَيْهِ(٣).

لاَ يَبْلُغُ البُلَغَاءُ وَصْفَ مَنَاقِبٍ ... أَثْنَى عَلَى إِحْسَانِهَا التَّنْزِيْلُ
شِيَمٌ لَكُمْ غُرٌّ أَتَى بِمَدِيْحِهَا الْـ ... فُرْقَانُ، وَالتَّوْرَاةُ، وَالإِنْجِيْلُ(٤)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا:

أَتَى بِهَا الوَحْيُ آيَاتٍ مُنَزَّلَةً ... فُصْحَى عَلَى وِفْقِ مَا اعْتَادُوا مِنَ الكَلِمِ
لَكِنَّهَا أَعْجَزَتْهُمْ فِي بَلاَغَتِهَا ... وَسِحْرُ أُسْلُوبِهَا أَعْيَا ذَوِي الحِكَمِ!!

وَقَالَ آخرُ:

أتى بكتابٍ أعْجَزَ الخلْقَ لَفْظُهُ ... فكلُّ بليغٍ عِذْرُهُ صارَ أبْكَمَا
تحدَّى بهِ أهْلَ البَلاغَةِ كُلَّهُمْ ... فلمْ يَفْتَحُوا فيما يُعارِضُهُ فَمَا
حوَى كُلَّ برْهانٍ على كُلِّ مَطْلَبٍ ... ويَعْرِفُ هذا كُلُّ من كانَ أفْهَمَا

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١-٢-٣)، وَمُسْلِمٌ (١٨١٧).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤/ ٢٣٨)، وَمُسْلِمٌ (١٨٢٦).
(٣) انْظُرْ «عُيُونُ الأَثَرِ» لابْن سَيِّدِ النَّاسِ (١/ ٨٩)، وَ«نَضْرَةُ النَّعِيْمِ»(١/ ٢٠٧).
(٤) «النُكَتُ العَصْرِيَّةُ» (٣٠٦).

نُبِّيءَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرِ

دِيْنٌ يُشَيِّدُ آيَةً فِي آيَةٍ ... لَبِنَاتُهُ السُّورَاتُ[1] وَ الأَضْوَاءُ[2]

كَانَ بَدْءُ نُبُوَّتِهِ ﷺ بِنُزُولِ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلَق: ١]، وَبُدِئَتْ رِسَالَتُهُ ﷺ بِنُزُولِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المُدَّثِّر: ١-٢].

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «نُبِّيْءَ بِاقْرَأْ،وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرِ»[3].

أَيْ: نُبِّيءَ بِخَمْسِ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ العَلَقِ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، ثُمَّ كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا»[4].

رَأَيْتُكَ يَا - خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا - ... نَشَرْتَ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِمَا

وَنَوَّرْتَ بِالْبُرْهَانِ أَمْرًا مُدَمَّسًا[5] ... وَأَطْفَأْتَ بِالْبُرْهَانِ نَارًا مُضَرَّمَا[6][7]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَحَّدتَ رَبَّكَ ثُمَّ اخْتُرْتَ خَاتِمَةً ... لِلأَنْبِيَاءِ وَرُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ

---

(١) اللَّبِنَاتُ: جَمْعُ لَبِنَةٍ -بِوَزْنِ كَلِمَةٍ-، وَهِيَ الَّتِي تُتَّخَذُ مِنْ طِينٍ، وَيُبْنَى بِهَا.

(٢) «الشَّوْقِيَّاتُ» (١/ ١١).

(٣) «الأُصُولُ الثَّلاثَةُ»(١١).

(٤) «الجَامِعُ لِفِقْهِ القُرْطُبِيِّ» (١/ ١١٦).

(٥) الأَمْرُ المُدَمَّسُ: هُوَ المَسْتُور.

(٦) نَارًا مُضَرَّمًا، أَيْ: مُوْقَدَةَ مُشْعَلَةَ.

(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ١٣٤).

نُبِّئْتَ بِـ (اقْـرَأْ) وَبِالمُدَّثِّـرْ ابْتَـدَأَتْ ... بُشْـرَى رِسَالَتِـكَ الغَـرَّاءِ لِلأُمَـمِ
فَـسِرْتَ بِالوَحْـيِ تَدْعُـو غَيْـرَ مُكْتَـرِثٍ ... بِـمَا تُـلاَقِيْهِ مِـنْ صَـدٍّ وَمِـنْ نِقَـمِ
سَقَـيْتَ مِـنْ سَلْـسَبِيْلِ الآيِ أَفْئِـدَةً ... ظَمْـأَى، وَكَانَـتْ عَلَـى الكُفَّارِ كَالحُمَمِ

الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ:

سَـرَيْتَ سِـرًّا، فَسَـارَ الـنُّورُ مُسْـتَتِرًا ... أَنَّـى تَوَجَّهْـتَ فِـي لُطْـفٍ وَفِـي كَتَـمِ[1]

بَعْـدَ أَنْ أَنْـزَلَ اللـهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المُدَّثِّر: ١-٧].

قَامَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ أَتَمَّ قِيَامٍ، فَكَانَ مِنَ الطَّبِيْعِيِّ أَنْ يَبْدَأَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ مِنَ النِّسَاءِ خَدِيْجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بَلْ هِيَ أَوَّلُ المُسْلِمِيْنَ إِطْلاَقًا.

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْـلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ عُمْرُهُ - حِيْنَئِذٍ - عَشْرَ سِنِيْنَ.

وَ أَوَّلُ مَنْ أَسْـلَمَ مِنَ الأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الأَحْرَارِ مُطْلَقًا، وَهَوَ المَشْهُورُ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ[2].

وَأَوَّلُ مَـنْ أَسْـلَمَ مِـنَ المَوَالِـي زَيْـدُ بْـنُ حَارِثَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَهُـؤُلاَءِ هُـمْ أَوَّلُ النَّـاسِ إِسْـلامًا بِإِجْمَـاعِ العُلَمَـاءِ، حَكَـى الإِجْمَـاعَ عَلَـى ذَلِـكَ غَيْـرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْـلِ العِلْـمِ، مِنْهُـمْ ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ[3].

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَاد.

(٢) «سِيْرَةُ ابْنِ كَثِيْرٍ» (١/ ٤٣٥)، وَ«فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٢٤).

(٣) «صَحِيْحُ السِّيْرَة» (١٢٣).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَبْلَ الرِّجَالِ -أَيْضًا- وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْغِلْمَانِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا دُونَ الْبُلُوغِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا - إِذْ ذَاكَ - أَهْلَ الْبَيْتِ.

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِسْلَامُهُ كَانَ أَنْفَعَ مِنْ إِسْلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ؛ إِذْ كَانَ صَدْرًا مُعَظَّمًا، وَرَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ مُكَرَّمًا، وَصَاحِبَ مَالٍ، وَدَاعِيَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مُحَبَّبًا مُتَأَلِّفًا، يَبْذُلُ الْمَالَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ»[1].

مِنْ ثِمَارِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سَلَامٌ عَلَى الصِّدِّيقِ إِذْ هُوَ لَمْ يَزَلْ ... لَخَيْرِ الْبَرَايَا فِي الْحَيَاتَيْنِ يَصْحَبُ
فَثَانِيهِ فِي الْغَارِ، الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ ... لِأُمَّتِهِ، نِعْمَ الْحَبِيبُ الْمُقَرَّبُ![2]

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْطَلَقَ يَدْعُو غَيْرَهُ إِلَى هَذَا الدِّينِ، والإِيْمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَاسْتَجَابَ لَهُ كَوْكَبَةٌ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، وَهُمْ:

١- عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ (١١٩).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٧/ ٤٥٧).

لِلـهِ كَوْكَبَـةٌ قَـدْ آمَـنَتْ رَغَـبًا ... وَيَـا لَـهُ رَغَـبًا مَـا مِـثْلُهُ رَغَـبُ!
الصِّـدْقُ إِنْ عَاهَـدُوا يَزْهَـى، وَإِنْ بَذَلُـوا ... حَسِـبْتَ أَنَّ أَيَادِيَهُـمْ هِـيَ السُّـحُبُ
بُورِكْـتَ قَائِدَهُـمْ، بُورِكْـتَ صَاحِبَهُـمْ ... وَبُورِكُـوا صُحْبَـةً وَفَـوْا لِـمَ صَحِبُوا![1]

هَؤُلَاءِ هُمْ ثِمَارٌ مِنْ ثِمَارِ الصِّدِّيْقِ رضي الله عنه، دَعَاهُمْ فَاسْتَجَابُوا، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فُرَادَى، فَأَسْـلَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَانُوا هُمُ الدِّعَامَةَ الأُوْلَى الَّتِي قَامَ بِهَا صَرْحُ الدَّعْوَةِ، والعُدَّةَ الأُوْلَى فِي تَقْوِيَةِ جَانِبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهِمْ أَعَزَّهُ اللهُ وَأَيَّدَه، وَتَتَابَعَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجًا، رِجَالًا وَنِسَاءً.

فَأَخَذَهُـمْ سُـفَهَاءُ أَهْـلِ مَكَّـةَ بِـالأَذَى والعُقُوبَـةِ، وَصَانَ اللهُ رَسُـولَهُ ﷺ، وَحَمَاهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيْفًا مُطَاعًا فِيْهِمْ، نَبِيْلًا بَيْنَهُمْ، لاَ يَتَجَاسَرُونَ عَلَى مُفَاجَأَتِهِ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لَه، وَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ بَقَاؤُهُ عَلَى دِيْنِهِمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ المَصْلَحَةِ[2].

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه:

إِذَا تَـذَكَّرْتَ شَـجْوًا مِـنْ أَخِـي ثِقَـةٍ ... فَـاذْكُرْ أَخَـاكَ أَبَـا بَكْـرٍ بِمَـا فَعَـلا
الـتَّالِـيَ الـثَّانِيَ الْمَحْمُـودَ مَشْـهَدُهُ ... وَأَوَّلَ الـنَّاسِ طُـرًّا[3] صَـدَّقَ الرُّسُـلا
والـثَّانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْـمُنِيفِ، وَقَدْ ... طَـافَ الْـعَدُوُّ بِـهِ إِذْ صَعَّـدَ الْجَـبَلَا
وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ - قَدْ عَلِمُوا - ... مِـنَ الْبَرِيَّـةِ لَـمْ يَعْـدِلْ بِـهِ رَجُـلَا
خَيْـرُ الْبَـرِيَّـةِ أَتْقَاهَـا وَأَرْأَفُهَـا ... بَـعْدَ النَّبِـيِّ، وَأَوْفَاهَـا بِمَـا حَمَـلَا[4]

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٢-٨٣).
(٢) «الفُصُول فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ»، لابْنِ كَثِيْرٍ (٥٧).
(٣) طُرًّا أَيْ: جَمِيْعًا.
(٤) «دِيْوانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه» (١٦٢).

الدَّعْوَةُ الجَهْرِيَّةُ:

فَدَعَا إِلَى التَّوْحِيْدِ ضُلَّالَ الوَرَى جَهْرًا، وَلَوْلاَ مَنْعُهُمْ لَمْ يَجْهَرِ[1]

لَقَدْ اسْتَمَرَّتِ الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ الَّتِي أَعْقَبَتْ نُزُول قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المُدَّثِّر: ١]، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى نُزُولِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤].

حِيْنَهَا جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَعْوَتِهِ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤]، أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَادَى: «**يَا صَبَاحَاهْ**». فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَمِنْ رَجُلٍ يَجِيءُ، وَمِنْ آخَرَ يَبْعَثُ رَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ، أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَصَدَّقْتُمُونِي؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦﴾ [سَبَأ: ٤٦].

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَمَا دَعَوْتَنَا إِلَّا لِهَذَا! فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢١٤].

وَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ**

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٠/ ٣١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٩٤)،وَمُسْلِمٌ (٣٥٥)، وَأَحْمَدُ (١/ ٢٨-٣٠)وابْنُ جَرِيْرٍ (٢/ ٣١٩).

بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَـيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَـلِينِي مَا شِـئْتِ مِنْ مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[(١)].

وَجَـاءَكَ الأَمْـرُ (فَاصْدَعْ)، فَانْطَلَقَتْ بِهَا ... جَهْـرًا، تُنَـادِي بِـلاَ خَـوْفٍ وَلاَ سَـأَمِ
جُنَّتْ قُرَيْشُ جُنُونَ الوَحْشِ، وَانْتَفَضَتْ ... كَأَنَّـمَـا فُـجِعَتْ بِالحَـادِثِ العَمَـمِ[(٢)]

وَقَالَ آخَرُ:

نَادَى الرَّسُولُ نِدَاءَ العَـدْلِ فَاحْتَشَـدَتْ ... كَتَائِـبُ الجَـوْرِ تُنْضِـي[(٣)] كُلَّ بَتَّـارِ[(٤)]
كَأَنَّـهَـا خَلْـفَهُ نَـارٌ مُـجَنَّـحَةٌ ... تَـعْـدُو قُدَّامَـهُ أَفْـوَاجُ إِعْصَـارِ
فَـضَجَّ بِالحَـقِّ وَالدُّنيَـا بِمَـا رَحُبَـتْ ... تَهْـوِي عَلَيْـهِ بِأَشْـدَاقٍ وَأَظْفَـارِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٥٣)،وَمُسْلِمٌ (٤٢٤).

(٢) قاله أُستاذُنا – حَفِظَهُ اللَّهُ –.

(٣) تُنْضِي: تُتْعِبُ.

(٤) البتَّار: السَّيْفُ الْقاطِعُ.

أَذَى الْمُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

١- مُحَاوَلَةُ صَدِّهِ عَنْ طَرِيقِ عَمِّهِ:

لَمَّا أَضَاءَ اللهُ مُهْجَةَ قَلْبِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي مَرْضَاتِهِ[1]

بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحِجْرُ: ٩٤].

قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ أَتَمَّ قِيَامٍ، يَدْعُو اللهِ تَعَالَى لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجِهَارًا، لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارِفٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُ عَنْهُ صَادٌّ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي أَنْدِيَتِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ، وَفِي الْمَوَاسِمِ، وَمَوَاقِفِ الْحَجِّ، يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ، وَضَعِيفٍ وَقَوِيٍّ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُ سَوَاءٌ.

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ آحَادِ النَّاسِ مِنْ ضُعَفَائِهِمُ الْأَشِدَّاءُ الْأَقْوِيَاءُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِالْأَذِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ.

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَخَالَفَهُ فِي ذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ طَبْعًا، فَكَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُحَامِي، وَيُخَالِفُ

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٣/ ٥٦٠).

قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى مِلَّتِهِمْ، إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ امْتَحَنَ قَلْبَهُ بِحُبِّهِ حبًّا طَبِيعِيًّا لَا شَرْعِيًّا.

وَكَانَ اسْتِمْرَارُهُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَمِمَّا صَنَعَهُ لِرَسُولِهِ مِنَ الْحِمَايَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ أَبُو طَالِبٍ لَمَا كَانَ لَهُ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَجَاهَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَلَا كَانُوا يَهَابُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، وَلَاجْتَرَؤُوا عَلَيْهِ وَلَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَقَدْ قَسَّمَ خَلْقَهُ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا، فَهَذَانَ الْعَمَّانِ كَافِرَانِ: أَبُو طَالِبٍ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَلَكِنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الْقِيَامَةِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَذَلِكَ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، حَدِيثُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟!.

قَالَ: «**نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا (أَيْ: شَفَاعَتُهُ) لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[1].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا لَهَبٍ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ مِنْ آيَاتٍ تُتْلَى عَلَى الْمَنَابِرِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المَسَدُ: ١-٥].

وَأَبُو لَهَبٍ هَذَا كَانَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، كَمَا

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٣١).

جَاءَ فِي حَدِيثِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدِّيلِ - وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ، أَحْوَلُ، ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ[١]، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْه، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ[٢].

أَبَا لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاكَ أَبَا لَهَبْ ... وَتَبَّتْ يَدَاهَا تِلْكَ حَمَّالَةُ الحَطَبْ
خَذَلْتَ نَبِيًّا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... فَكُنْتَ كَمَنْ بَاعَ السَّلَامَةَ بِالْعَطَبْ

وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ وَالْحُنُوِّ الطَّبِيعِيِّ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا، فَانْهَهُ عَنَّا.

فَقَالَ: يَا عَقِيلُ، انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كَنَسٍ أَوْ خَنَسٍ -بَيْتٍ صَغِيرٍ- فَجَاءَ بِهِ فِي الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ، قَالَ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ، فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ.

فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَشْتَعِلُوا مِنْهَا بِشُعْلَةٍ**». فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ، مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي - قَطُّ - فَارْجِعُوا[٣].

(١) الصَّابِيء: هُوَ مَنْ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ.

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»(٣/ ٤٩٢ - ٣٤١)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهِ السِّيرَةِ» (٣٤٢): «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ».

(٣) (حَسَنٌ) رَوَاهُ الحَاكِمُ (٣/ ٥٧٧)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهِ السِّيرَةِ» (١٤٣): «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

وَلَمَّا لَمْ تُفْلِحْ قُرَيْشٌ فِي صَدِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ، انْتَقَلُوا إِلَى الإِيْذَاءِ النَّفْسِيِّ.

قال أبو تمَّامٍ رَحِمَهُ اللهُ:

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ أَعْيَتْ عَوَانِدُهَا وجُرْحٌ أَقْدَمُ
تِلْكُمْ قُرَيْشٌ لم تَكُنْ آراؤُها تَهْفُو ولا أَحْلاَمُها تَتَقَسَّمُ
حتَّى إذا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فِيهِمْ غَدَتْ شَحْناؤُهُمْ تَتَضَرَّمُ[1]

٢- الإِيْذَاءُ النَّفْسِيُّ:

مُتَأَهِّبٍ لاَ يَسْتَفِزُّ جَنَانَهُ زَجَلُ الرُّعُودِ وَلاَمِعُ الإِبْرَاقِ[2]

انْتَقَلَ المُشْرِكُونَ إِلَى الإِيْذَاءِ النَّفْسِيِّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ طَرِيْقِ الاتِّهَامَاتِ البَاطِلَةِ؛ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ وَعَنْ دَعْوَتِهِ، وَمِنْ تِلْكَ الاتِّهَامَاتِ:

أ - الجُنُونُ:

لَمْ يَعْهَدُوا عَقْلاً كَعَقْلِكَ بَيْنَهُمْ فِي المُنْتَهَى فَتَوَهَّمُوهُ جُنُونا[3]

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ بِالجُنُونِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحِجْرُ: ٦].

ب - السِّحْرُ:

سَحَرَ البَيَانُ بَيَانَهُمْ فَتَخَبَّطُوا تُهُمًا فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابُ[4]

---

(١) «ديوانُ أبي تَمَّامٍ» (٢٠٧).

(٢) «مُعْجَمُ الأُدبَاءِ» (٣/ ١٠٦٥).

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ الرَّسُولَ ﷺ بِالسِّحْرِ، قَالَ اللهُ ﷻ حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: ٤].

ج - الكَذِبُ:

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالكَذِبِ، قَالَ اللهُ ﷻ حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤﴾ [الفُرْقَانُ: ٤].

د - الإِتْيَانُ بِالأَسَاطِيرِ:

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالإِتْيَانِ بِالأَسَاطِيرِ، قَالَ اللهُ ﷻ حَاكِيًا ذَلِكَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفُرْقَانُ: ٤](1).

لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الأَسَاطِيرَ لَمْ تَكُنْ ... لِتَبْلُغَ عَبْدًا لَيْسَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ
فَقَالُوا - إِذَا مَا أَبْصَرُوا النُّورَ نَازِلًا - ... أَسَاطِيرَ قَوْمٍ يَفْتَرِيهَا وَيَكْذِبُ
إِذَا أَغْلَقَ اللهُ البَصَائِرَ لَمْ تَجِدْ ... مِنَ الشَّمْسِ نُورًا وَهِيَ تَبْدُو وَتَغْرُبُ(2)

هـ - قَوْلُهُمْ: القُرْآنُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ:

وَكَمْ كَذَّبُوا القُرْآنَ قَالُوا: كَلَامُهُ ... وَلَيْسَ كَلَامَ اللهِ. وَاللهُ قَاهِرُ(3)

اتَّهَمَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالكَذِبِ عَلَى اللهِ، وَأَنَّ القُرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ

(١) ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أَخْبَارُهُمْ، وَمَا سُطِّرَ مِنْهَا وَكُتِبَ.

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا.

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-.

ﵟٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ﵞ [النَّحْل: ١٠٣].

كَـمْ عَـانَـدَتْهُ قُرَيْـشُ أَوَّلَ وَهْلَـةٍ ... سَفَـهًا، وَكَـمْ نَـبَزُوهُ بِالأَلْـقَابِ!

وَسَـمَّوهُ -مَـعْ صِفَـةِ الجُنُـونِ- بِكَاهِـنٍ ... وَبِشَاعِـرٍ، وَبِسَاحِـرٍ، كَـذَّابِ

فَهُنَالِـكَ ارْتَفَـعَ الحِجَـابُ، وَأَشْـرَقَتْ ... شَمْـسُ النُّبُـوَّةِ فَـوْقَ كُـلِّ حِجَـابِ

وَغَـدَا مَنَـارُ الدِّيْـنِ مُتَّضِـحَ الهُـدَى ... وَالشِّـرْكُ مُنْتَكِصًـا عَلَـى الأَعْقَـابِ(١)

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

كَانُـوا خَفَافِيْـشَ لَيْـلٍ لاَ يَطِيْـبُ لَهُـمْ ... حَـلاَوَةُ العَيْـشِ إِلَّا فِـي الدُّجَـى البَهِـمِ

مَـنْ يُنْكِـرِ الحَـقَّ لَـمْ يُبْطِـلْ حَقِيْقَتَـهُ ... وَمُبْغِضُ الشَّمْسِ لَمْ يُسْدِلْ يَدَ الغَسَمِ(٢)

كَسَـوْهُ سِيَـمَاءَ صِـدْقٍ قَبْـلَ بَعْثَتِـهِ ... وَبَعْدَهَـا أَنْكَـرُوا مَـا فِيْـهِ مِـنْ سِيَـمِ!

مَـا قِـيْمَةُ القَلْـبِ إِنْ أَسْـلَمْتَهُ لِهَـوَى ... وَالعَيْـنِ وَالأُذُنِ لِلظَّلْمَـاءِ وَالصَّمَـمِ؟!

و - الشِّعرُ:

حَسَـدُوا، فَقَالُـوا: شَـاعِرٌ أَوْ سَـاحِرٌ ... وَمِـنَ الـحَسُودِ يَـكُونُ الاسْتِـهْزَاءُ

وَمِـنَ التُّهَـمِ الَّتِـي اتَّهَمُـوا بِهَـا النَّبِـيَّ ﷺ أَنَّـهُ يَقُـولُ الشِّـعْرَ، فَأَنْـزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﵟإِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ﵞ [الحَاقَّةُ: ٤٠-٤١].

ولما نَزَلَتْ ﵟتَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّﵞ أَقْبَلَتْ أُمُّ جميلٍ أروى بنتِ حَرْبٍ، امرأةُ أبي لهبٍ وهي تُنْشِدُ: مُذَمَّمًا أَبَيْنَا، ودينَه قَلَيْنا، وأَمْرَهُ عَصَيْنا، ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ في المسجدِ ومَعَهُ أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلما رأها أبو بكرٍ قال: يا رسولَ اللهِ قد أَقْبَلَتْ وأنا أخافُ أن تراكَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأَ قُرآنًا

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٢) الغَسَمُ - بِالتَّحْرِيْك - الظُّلْمَةُ.

فاعْتَصَمَ به، فوقفَتْ على أبي بكرٍ ولم ترَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقالَتْ: يا أبا بكرٍ إني أُخْبِرْتُ أن صاحِبَكَ هجاني، فقال: لا وَرِبِّ هذا البيتِ ما هجاكِ، فولَّتْ وهي تقولُ: قد عَلِمَتْ قريشٌ أني بِنْتُ سَيِّدِها[١].

ط - تَثْبِيتُ اللهِ لَهُ ﷺ:

لَكِنَّ مَوْلاهُ وَاسَاهُ وَثَبَّتَهُ   أَغْنَتْهُ عِصْمتُهُ عَنْ كُلِّ مُعْتَصَمِ[٢]

فِي جَوِّ تِلْكَ الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ الاتِّهَامَاتِ البَاطِلَةِ، يَنْزِلُ عَلَيْهِ القُرْآنُ مِرَارًا مُثَبِّتًا وَمُؤَيِّدًا، وَآمِرًا لَهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُ المُشْرِكُونَ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٣-٣٥].

وَقَدْ صَرَفَ اللهُ عَنْهُ سَبَّهُمْ وَذَمَّهُمْ بِاسْمِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟!، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ**»[٣].

أَيْ: كَفَى اسْمِيَ الَّذِي هُوَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُشْتَمَ بِالسَّبِّ[٤].

---

(١) أخرجَهُ الحاكمُ (٣٣٧٦)، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يُخْرِجاه، ووافقَهُ الذهبيُّ «التعليقاتُ الحِسانُ» (٦٤٧٧)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ السيرةِ» (١٣٨).

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥٣٣).

(٤) «شَرْحُ السُّيُوطِيِّ لِسُنَنِ النَّسَائِيِّ» (٦/ ١٥٩).

وَأَيَّدَهُ اللهُ بِمُعْجِزَةٍ خَالِدَةٍ، وآياتٍ بَيِّنَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا.

نبيًّا تسامى في الْمَشارقِ نُورُه ... فَلَاحتْ هَوَاديهِ لأَهْلِ الْمَغارِبِ
أَتَتْنَا بِهِ الْأَنْبَاءُ قَبْلَ مَجِيئِهِ ... وَشَاعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ
وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ جِنٌّ فَزَيَّلَتْ[1] ... مَقَاعِدَهُمْ مِنْهَا رُجُومُ الْكَوَاكِبِ
هَدَانَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ ... لِطُولِ الْعَمَى مِنْ وَاضِحَاتِ الْمَذَاهِبِ
وَجَاءَ بِآيَاتٍ تُبَيِّنُ أَنَّهَا ... دَلَائِلُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ
فَمِنْهَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ حِينَ تَعَمَّمَتْ ... شُعُوبُ الضِّيَا مِنْهُ رُءُوسَ الْأَخَاشِبِ
وَمِنْهَا نُبُوعُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ ... وَقَدْ عَدِمَ الْوُرَّادُ قُرْبَ الْمَشَارِبِ
فَرَوَّى بِهِ جَمًّا[2] غَفِيرًا، وَأَسْهَلَتْ ... بِأَعْنَاقِهِ طَوْعًا أَكُفُّ الْمَذَانِبِ
وَبِئْرٌ طَغَتْ بِالْمَاءِ مِنْ مَسِّ سَهْمِهِ ... وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَسْمَحْ بِمَذْقَةِ شَارِبِ
وَضَرْعٌ مَرَاهُ[3] فَاسْتَدَرَّ، وَلَمْ يَكُنْ ... بِهِ دَرَّةٌ تُصْغِي إِلَى كَفِّ حَالِبِ
وَنُطْقٌ فَصِيحٌ مِنْ ذِرَاعٍ مُبِينَةٍ ... لِكَيْدِ عَدُوٍّ لِلْعَدَاوَةِ نَاصِبِ
وَمِنْ تِلْكُمُ الْآيَاتِ وَحْيٌ أَتَى بِهِ ... قَرِيبُ الْمَآتِي مُسْتَجِمُّ الْعَجَائِبِ
تَقَاصَرَتِ الْأَفْكَارُ عَنْهُ فَلَمْ يُطِعْ ... بَلِيغًا، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ خَاطِبِ[4]

٣- أَذَى الْمُشْرِكِينَ الْجَسَدِيُّ:

صَبَرْتَ فَنِلْتَ النَّصْرَ بِالصَّبْرِ وَالْمُنَى ... وَمَا انْقَادَتِ الْآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ[5]

---

(١) فَزَيَّلَتْ: ففَرَّقَتْ

(٢) الجَمُّ: الكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٣) مَرَاهُ: مَسَحَهُ.

(٤) «مَجْمُوعَةُ القَصَائِد الزُّهْدِيَّات» (٤٧١).

(٥) «دِيْوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (١٥١).

أ - مُحَاوَلَةُ قَتْلِهِ:

حَمَاهُ إِلَهِي إِذَا أَرَادُوا اغْتِيَالَهُ ... وَلَيْسَ لِمَنْ يَرْعَاهُ مَوْلَاهُ قَاتِلُ[١]

لَمَّا لَمْ تُثْمِرْ أَسَالِيبُ الأَذَى النَّفْسِيِّ وَالمَعْنَوِيِّ فِي صَدِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ دِينِهِمْ، لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَسْلُوبِ الاعْتِدَاءِ الجَسَدِيِّ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، قَالَ: فَقِيلَ نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلًا، وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي، لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»[٢].

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ [غَافِرُ: ٢٨]»[٣].

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (٢٧٩٧).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٥٦).

ب- إِلْقَاءُ سَلَا الجَزُورِ[١] عَلَى ظَهْرِهِ:

حَتَّـىَ عَلَـىَ كَتِفَيْـكَ الطَّاهِرِيْـنِ رَمَـوْا ... سَـلَا الْجَزُورِ بِـكَفِّ الْمُشْرِكِ الْقَزَمِ[٢]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا عَلَى قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ،وَسَلَا جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنْه، فَقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَا، فَيُلْقِيَهُ عَلَى ظَهْرِهِ؟

قَـالَ: فَقَـالَ عُقْبَـةُ بْـنُ أَبِـي مُعَيْـطٍ: أَنَـا. فَأَخَذَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَلَمْ يَزَلْ سَاجِدًا، حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اللهُـمَّ عَلَيْـكَ الْمَـلَإِ مِـنْ قُرَيْـشٍ، اللهُـمَّ عَلَيْـكَ بِعُتْبَـةَ بْنِ رَبِيعَـةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِشَـيْبَةَ بْـنِ رَبِيعَـةَ، اللهُـمَّ عَلَيْـكَ بِأَبِـي جَهْـلِ بْنِ هِشَـامٍ، اللهُـمَّ عَلَيْكَ بعُقْبَةَ بْنِ أَبِـي مُعَيْـطٍ، اللهُـمَّ عَلَيْـكَ بِأُبَـيِّ بْـنِ خَلَـفٍ - أَوْ أُمَيَّـةَ بْـنِ خَلَـفٍ -»** (الشَّـكُّ مِنْ شُعْبَةَ).

قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعًا، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ غَيْرَ أُبَيٍّ - أَوْ أُمَيَّةَ - فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَتَقَطَّعَ[٣].

قَـالَ الأَلْبَانِـيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّـوَابُ: أُمَيَّـةُ بْـنُ خَلَـفٍ؛ فَإِنَّـهُ الَّـذِي قُتِـلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَخُوهُ أُبَيٌّ إِنَّمَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ. وَالسَّلَا: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مَعَ وَلَدِ النَّاقَةِ: كَالمَشِيْمَةِ لِوَلَدِ المَرْأَةِ»[٤].

---

(١) الجَزُور: النَّاقَة.

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(٢/ ٥٧٢) .

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩٣٤)،وَمُسْلِمٌ (١٧٩٤).

(٤) «صَحِيحُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» (١٤٦).

ج- أَشَدُّ مَا لاقَى مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ:

تُــرْمَى وَتُـؤْذَى بِأَصْنَـافِ الْعَـذَابِ فَمَـا رُئِيــتَ فِـيْ كُـوْبِ جَـبَّارٍ وَمُنْتَقِـمِ[١]

عَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُـولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ،وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ،فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ - وَأَنَا مَهْمُومٌ - عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِـي،فَإِذَا أَنَا بِسَـحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ؛ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ. إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**»[٢].

فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «**بَـلْ أَرْجُـو أَنْ يُخْـرِجَ اللـهُ مِـنْ أَصْلَابِهِـمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٣].

أَنْـتَ الحَرِيْـصُ عَلَيْهِـمْ وَالـرَّءُوفُ بِهِمْ وَمَــا يَـزَالُ رَحِيْمًـا قَلْبُـكَ الحَـدِبُ[٤]
يَــزْدَادُ حِلْمُـكَ فِـيْهِمْ عِنْـد كُلِّ أَذَىً فَأَنْـتَ أُمٌّ لَهُـمْ -رَغْـمَ الأَذَى- وَأَبُ[٥]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ»(٢/ ٥٧٢).
(٢) الأَخْشَبَانِ: جَبَلَانِ فِي مَكَّةَ، هُمَا جَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ، الَّذِي عَلَيْهِ القَصْرُ المَلَكِيُّ اليَوْمَ، والجَبَلُ الآحْمَرُ المُشْرِفُ عَلَى قُعَيْقِعَانِ، وَهُمَا مُطِلَّانِ عَلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ مِنَ المَشْرِقِ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٥٩)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).
(٤) الحَدِب: العَطُوفُ الحَنُون.
(٥) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٣).

وقال آخرُ:

فصبرتَ تدعوهم وتحلم عنهمُ وتروض جامحهم وتلطفُ قِيلا
وحماكَ ربُّك من حبائلِ كيدِهمْ ليتمَّ سابقُ أمْرِهِ المَفْعولا

٥- إيْذَاءُ المُشْرِكِيْنَ لِلمُؤْمِنِيْنَ:

يَزِيْدُ الأَذَى مِنْهُمْ، فَيَزْدَادُ حِلْمُنَا وَيَعْظُمُ وَقْعُ الخَطْبِ فِيْنَا فَنَعْظُمُ[١]

كَمَا أُوْذِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُوْذِيَ أَصْحَابُهُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ.

فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ وَاتَاهُمْ فِيمَا أَرَادُوا إِلَّا بِلالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»[٢].

ثُمَّ أعتقَ أبو بكرٍ مَنْ كَانَ يُعَذَّبُ في اللهِ من غيرِ الأحرارِ وفيهُم بلالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فعن قَيْسٍ قال: اشترى أبو بكرٍ بلالًا وهو مَدْفُونٌ في الحجارة بَخْمسِ أواقٍ مِنْ ذَهَبٍ، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقيةً لَبعناكَهُ، قال: لو أبيتُمْ إلا مائةٌ أوقيةٍ لَأَخَذْتُهُ[٣].

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٤).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٠٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» (١٢١).

(٣) سِيَرُ أعلامِ النُّبلاءِ (٣/ ٢١٠)، وقال الذهبي: إسنادُهُ قَوِيٌّ.

فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وأَعْتَقَ سَيِّدَنَا» وقد أمكن اللهُ بلالًا من عَدُوِّهِ أميةَ بنِ خَلَفٍ في غزوةِ بَدْرٍ فاقْتَصَّ منه كما سيأتي.

أعتقت رقي من الخطوبِ فما أطيب فيكَ الثنا وما أعبقُ
لكَ الولاءُ الجميلُ أخلصتُه يا معتقي والولاءُ لمن أعتقُ

وَقَالَ آخَرُ:

أَحَدٌ هَتَفَتْ بِهَا لِكُلِّ مُعَطِّلٍ أَنْتَ المُؤَذِّنُ لِلرَّسُولِ فَرَتِّلِ
وَاهْزِمْ بِصَوْتِكَ كُلَّ طَاغٍ فَاجِرٍ وَاسْحَقْ بِقَوْلِكَ كُلَّ زَحْفٍ بَاطِلِ

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»[١].

ولما أقبل أبو ذرٍّ الغفاريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى مكةَ مؤمنًا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ فَأَخبرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَثَارَ عليه الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنْ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَه[٢].

وَنَالَ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا نَالَ غَيْرَهُ مِنَ الأَذَى، حَتَّى سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟؛ لِيُخَفِّفَ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣-٣٨٨-٣٨٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيرَةِ» (١٥٥).
(٢) رواهُ مسلمٌ (٢٤٧٣).

فَعَـنْ خَبَّـابِ بْـنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: أَتَيْـتُ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ وَهُـوَ مُتَوَسِّـدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْـرِكِينَ شِـدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَـطُ بِمِشَـاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ**»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟، أَلَا تَدْعُو **اللهَ** لَنَا؟

فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتَمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِـبُ مِـنْ صَنْعَـاءَ إِلَـى حَضْرَمَـوْتَ لَا يَخَـافُ إِلَّا اللـهَ، أَوِ الذِّئْـبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[2].

وَقَالَـتْ عَائِشَـةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَقَـدْ سُـئِلَتْ عَـنِ الهِجْـرَةِ: «لَا هِجْـرَةَ الْيَـوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُـولِهِ ﷺ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ الْإِسْلَامَ، والْيَوْمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ»[3].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٣٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦١٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٠)، كِتَابُ: مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «... كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا، فكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا قَتَلُوهُ وإِمَّا يُعَذِّبُوهُ، حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ، فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ ...»[١].

قَدْ حَاوَلُوا قَتْلَهُ خَنْقًا، وَمَا قَدَرُوا ... أَلْقُوا عَلَيْهِ السَّلَا فِي حُرْمَةِ الحَرَمِ

وَاسْتَمْرَؤُوا كُلَّ حِقْدٍ فِي عَدَاوَتِهِ ... هَيْهَاتَ مَا تَفْعَلُ الجِرْذَانُ بِالأُطُمِ[٢]

تَعْذِيْبُ أَصْحَابِهِ كَمْ كَانَ يُؤْلِمُهُ ... وَفِيهِ أَضْعَافُ مَا فِيْهِمْ مِنَ الأَلَمِ

قَالُوا لَهُ: يَارَسُولَ اللَّهِ، أُدْعُ لَنَا ... فَسَاقَ صَبْرَ الأُلَى[٣] فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ[٤]

ذَاقُوا أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ عَذَابِكُمُ ... فَمَا اسْتَكَانُوا، وَمَا أَلْقَوا يَدَ السَّلَمِ

فَجَاءَهُ مَلَكٌ مِنْ رَبِّهِ مَدَدًا ... ذُو قُوَّةٍ تَجْعَلُ الأَطْوَادَ[٥] كَالرِّمَمِ[٦]

لَكِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلخَلْقِ مُرْسَلَةٌ ... تَعَاظَمَتْ أَنْ تَرَدَّى ثَوْبَ مُنْتَقِمِ

أَشَارَ بِالهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى مَلِكٍ ... نِعْمَ المُبَجَّلُ مِنْ وَالٍ وَمِنْ حَكَمِ!

قَدْ تَزْهَدُ الأُسْدُ بِالآجَامِ[٧] شَامِخَةً ... إِذَا تَكَاثَرَتِ الأَقْذَارُ فِي الأُجُمِ[٨]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٥١٤)، كِتَابُ: التَّفْسِيرِ.

(٢) الأُطُم: الحِصْنُ المَبْنِيُّ بِحِجَارَةٍ.

(٣) الأُلَى: الَّذِين.

(٤) الأَعْصُرِ الدُّهُم: القَدِيْمَةِ المَاضِيَةِ.

(٥) الأَطْوَاد: جَمْعُ طَوْدٍ، وَهُوَ الجَبَلُ العَظِيْمُ.

(٦) الرِّمَم: جَمْعُ رِمَّةٍ -بِالكَسْرِ-، وَهِيَ العِظَامُ البَالِيَةُ.

(٧) الآجَامُ: جَمْعُ أَجمةٍ - بِفَتْحَتَيْنِ-، وَهِيَ الغَابَة، وَتُجْمَعُ الأَجَمةُ -أَيْضًا- على أُجْمٍ - بِالضَّمِّ، وَبِضَمَّتَيْنِ، وَبِالتَّحْرِيْكِ -.

(٨) قالهُ أُستاذُنا - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

الهِجْرَةُ إِلَى الحَبَشَةِ

أَزْمَعَتْ[١] لَكَ الهِجْرَةُ الْأُوْلَى إِلَى إِنْجَاحِ قَصْدٍ أَوْ إِلَى إِعْذَارِ[٢]

١- الهِجْرَةُ الأُوْلَى:

لَمَّا اشْتَدَّ البَلَاءُ بِالْمُسْلِمِينَ، أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِي الهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ[٣]، وَمِنَ الثَّابِتِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ[٤]، وَكَانَتِ الهِجْرَةِ الْأُوْلَى فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ[٥].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: «لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ ومِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَه؛ فَالْحَقُوا بِبِلادِهِ**[٦]**، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»**[٧].

---

(١) أَزْمَعَتْ: أَسْرَعَتْ.

(٢) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٣/ ٤٨٠).

(٣) «الفُصُول فِي سِيْرَةِ الرَّسُول» (٥٦).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيّ، «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ١٨٧).

(٥) «الطَّبَقَاتُ» (١/ ٢٠٤)، وَ«تَارِيخُ الطَّبَرِي» (٢/ ٣٢٩)، وَ«السِّيرَةُ لابْنِ إِسْحَاق» (١/ ٢٢٣)، وَ«فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٢٢٧).

(٦) بلاد أصحمةَ ملكِ الحبشة اسمها (منكلة علامة) كما في كتاب تاريخ الحبشة لمحمد الفيروزي، وقد تخربت، وهي من مقاطعة تجراي، وتقع في شمال أثيوبيا.

(٧) (حَسَنٌ)، انْظُرْ: «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ١٨٩)، وَ«سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاق» (١٩٤)، وَ«سِيرَةُ ابْنِ هِشَام» (١/ ٣٣٤).

فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا بها، وَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ، أَمِنًّا عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا.

وَلَم يَزَل أَهْلُ دِيْنِ اللهِ فِي نَصَبٍ ... مِمَّا يُلاقُونَ مِنْ كَرْبٍ وَمِنْ زَأَمِ[(١)]
حَتَّى إِذَا لَمْ يَعُدْ فِي الأَمْرِ مَنْزَعَةٌ ... وَأَصْبَحَ الشَّرُّ جَهْرًا غَيْرَ مُنْكَتِمِ
سَارُوا إِلى الهِجْرَةِ الأُوْلَى وَمَا قَصَدُوا ... غَيْرَ النَّجَاشِيِّ مَلِكًا صَادِقَ الذِّمَمِ[(٢)(٣)]

٢ - الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الحَبَشَةِ:

نَزَلُوا بِسَاحَةِ مَاجِدٍ مُتَكَرِّمٍ ... لَمْ يَألُهُمْ بِرًّا ولَا إِحْسَانَا[(٤)]

فِي أَعْقَابِ الهِجْرَةِ الأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ، حَدَثَ أَنْ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، فَسَجَدَ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ، وَسَجَدَ مَنْ كَان حَاضِرًا مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِيْنَ وَالمُشْرِكِيْنَ، وَالْجِنِّ وَالإِنْسِ[(٥)].

---

(١) الزَّأَمُ: الذُّعْرُ والخَوْف الشَّدِيْد.

(٢) الذِّمَمُ: جَمْعُ ذِمَّةٍ، وَهِي العَهْدُ.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(٧/ ٦٠٦).

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠١٤).

(٥) وَرَدَتْ قِصَّةٌ بَاطِلَةٌ، ضَعَّفَهَا الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: «نَصْبُ المَجَانِيْقِ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيق».
وَهَذِهِ القِصَّةُ تَقُولُ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ «تِلْكَ الْغَرَانِيق الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى» فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّه ﷺ.

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ آلِهَتَكُمْ قَبْل الْيَوْم بِخَيْرٍ، فَسَجَدَ الْمُشْرِكُونَ مَعَه، فَأَنْزَلَ اللَّه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ =

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ قَالَ: «فَسَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ، فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ»(٢).

وَسَبَبُ سُجُودِ الْمُشْرِكِينَ «لِلدَّهْشَةِ أَصَابَتْهُمْ وَخَوْفٍ اعْتَرَاهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ السُّورَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ فَاسْتَشْعَرُوا نُزُولَ ذَلِكَ بِهِمْ»(٣).

أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الخَلْقَ لَفْظُهُ ... فَكُلُّ بَلِيغٍ عُذْرُهُ صَارَ أَبْكَمَا
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ البَلَاغَةِ كُلَّهُمْ ... فَلَمْ يَفْتَحُوا فِيمَا يُعَارِضُهُ فَمَا(٤)

فَحَصَلَتْ إِشَاعَةٌ: أَنَّ قُرَيْشًا دَخَلَتْ فِي الإِسْلَامِ، فَطَارَ الخَبَرُ إِلَى المُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ، وَقَفَلَ بَعْضُهُمْ رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ، مِثْلَ: عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا، رَجَعُوا إِلَى الْحَبَشَةِ، وَسَارَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَهِيَ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَكَانُوا زِيَادَةً عَلَى ثَمَانِينَ رَجُلًا.

=مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾[الحج:٥٢-٥٥].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٧١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٧٢-٤٨٦٣)، وَمُسْلِمٌ (٥٧٦).

(٣) «نَصْبُ المَجَانِيقِ لِنَسْفِ قِصَّةِ الْغَرَانِيق» ص (٦٩)، لِلأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) «مَجْمُوعَةُ القَصَائِدِ الزُّهْدِيَّاتِ» (١/ ٣٠).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانُوا اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا سِوَى نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ...، وَقِيلَ: إِنَّ عَدَدَ نِسَائِهِمْ كَانَتْ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ امْرَأَةً»[1].

وكانتِ الهجرةُ الثانيةُ في شهْرِ شَوَّالٍ من السَّنَةِ الخامِسَةِ لِلْبَعْثَةِ.

---

(١) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ١٨٩).

وَفْدُ قُرَيْشٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ

يَـا غَيْـبَةَ الكَـرَمِ المَفْقُـودِ غَائِبُـهُ   وَخَيْـبَةَ الأَدَبِ المَجْفُـوِّ صَاحِبُـهُ[١]

لَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِهِجْرَةِ المُسْلِمِيْنَ إِلَى الْحَبَشَةِ، جُنَّ جُنُونُهَا،فَأَرْسَلَتْ وَفْدًا مُؤَلَّفًا مِنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيْعَةَ، وَأَرْسَلَتْ مَعَهُمَا هَدَايَا ثَمِيْنَةً إِلَى النَّجَاشِيِّ وَبَطَارِقَتِهِ، بِهَدَفِ أَنْ يُعِيْدَ لَهُمْ هَؤُلاَءِ المُهَاجِرِيْنَ إِلَيْهِمْ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يُوسُفُ: ٢١]، فَقَدْ رَجَعَ الوَفْدُ «بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ»[٢].

حَكَـمَ البِـلاَدَ، وَسَـارَ سِـيْرَةَ عَـادِلٍ   يَأْبَـى الأَذَى، وَيُجَانِـبُ العُدْوَانَـا[٣]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا حَفِظَهُ اللهُ:

وَكَانَـتِ الهِجْـرَةُ الأُخْـرَى عَلَـى عَقَـبٍ   حِـيْنَ اسْـتَحَلَّتْ قُرَيْـشٌ سَـائِرَ الحُـرَمِ
ظَـنَّتْ قُرَيْشٌ -وَبَعْـضُ الظَّـنِّ مَأْثَمَـةٌ-   أَنَّ الهَـدِيَّةَ قَـدْ تُفْـضِي لِحِـلِّ دَمِ
فَـعَـادَ وَفْـدُ قُرَيْـشٍ بَعْـدَ رِحْلَتِـهِ   يَجُـرُّ ثَـوْبَ الخَنَـا والخِـزْيِ وَالنَّـدَمِ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٩/ ١١٠).

(٢) تَقَدَّمَ قِصَّةُ وَفْدِ قُرَيْشٍ عِنْدَ قِصَّةِ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الحَبَشَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَدُ مُحَرَّم» (٧٩/ ١١٠).

إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

بِشَارَةٌ عَمَّتِ الدُّنْيَا مَسَرَّتُهَا وَاهْتَزَّ مِنْهَا العُلَى وَالمَجْدُ وَابْتَسَمَا(١)

لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ قُرَيْشٍ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ بِغَيْظِهِمْ، لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا - أَسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ البِعْثَةِ، وَبَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُشْرِكِينَ كَالصَّاعِقَةِ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ سَيَزْدَادُونَ قُوَّةً وَمَنَعَةً، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِلهِ الحَمْدُ.

أَمَّا حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَكَانَ أَسَدَ اللهِ، وَأَسَدَ رَسُولِهِ ﷺ.

فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ حَمْزَةُ يُقَاتِلُ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُولُ: أَنَا أَسَدُ اللهِ»(٢).

وَأَمَّا عُمَرُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عُمَرُ؟، فَالمَعْرُوفُ لاَ يُعَرَّفُ!!.

وَكَانَ سَبَبُ إِسْلَامِهِ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً**»(٣).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»(٤).

وَقَالَ: «إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ٤١).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِم (٣/ ١٩٣). وَقَالَ: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٨٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المِشْكَاةِ» (٦٠٣٦).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٨٤).

كَانَتْ رَحْمَةً، وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ، قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ»(١).

لِلهِ دَرُّ أُنَاسٍ قَدْ مَضَوْا لَهُمُ ... نَشْرٌ يَفُوحُ كَنَشْرِ(٢) المَنْدَلِ(٣) العَطِرِ

جَمَالَ ذِي الأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ ... بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ(٤)

ذَكَاءُ عُمَرَ رضي الله عنه:

فَتىً كُلُّ عِلْمٍ فَهُوَ فِي سَكَنَاتِهِ ... وَكُلُّ ذَكَاءٍ فَهُوَ فِي حَرَكَاتِهِ(٥)

عَنِ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ، فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ، أَفْشَى لِلْحَدِيثِ؟.

فَقَالُوا: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَنَا مَعَهُ أَتْبَعُ أَثَرَه، أَعْقِلُ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا جَمِيلُ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا رَدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَادَى أَنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَذَبَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وَآمَنْتُ بِالله، وَصَدَّقْتُ رَسُولَهُ، فَثَاوَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ، حَتَّى فَتَرَ عُمَرُ وَجَلَسَ، فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَاللهِ، لَوْ كُنَّا ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ عَلَيْهِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةُ حَرِيرٍ

(١) (حَسَنٌ) انْظُرْ: «سِيرَةَ ابْنِ إِسْحَاقَ» (١/ ٣٦٦)، بِسَنَدٍ فِيهِ انْقِطَاعٌ، وَوَصَلَهُ الحَاكِمُ(٣/ ٨٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

(٢) النَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَة.

(٣) المَنْدَلُ: العُودُ، أَوْ أَجْوَدُهُ.

(٤) «صَيْدُ الأَفْكَار» (٤٥٦).

(٥) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٧/ ٣٧).

وَقَمِيصٌ مُوَشًّى[١]، فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: فَمَهْ[٢]، امْرُؤٌ اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ، أَفَتَظُنُّونَ أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ تُسْلِمُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟!

قَالَ: فَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ يَا أَبَتِ، مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟،فَقَالَ: يَا بُنَيَّ،ذَاكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ[٣].

أَدْهَى مِنَ المَوْتِ زِلْزَالٌ وَصَاعِقَةٌ ... دَهَتْ قُرَيْشًا بِغَمٍّ غَيْرِ مُنْحَسِمِ
إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَالفَارُوقِ قَاطِبَةً ... لَمْ يَرْهَبَا وَحِمَامُ المَوْتِ[٤] عَنْ أَمَمِ[٥]
كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمَا جَيْشٌ بِمُفْرَدِهِ ... هُمَا المَنَايَا أَمَامَ الفَيْلَقِ العَرِمِ[٦]
فَحَمْزَةُ أَسَدُ اللهِ الَّذِي عُرِفَتْ ... عَنْهُ الشَّجَاعَةُ وَالإِقْدَامُ مِنْ قِدَمِ
وَذَلِكَ البَطَلُ الفَارُوقُ تَرْهَبُهُ ... فَوَارِسُ الأَرْضِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
تَرَاهُ كَيْلَا يَبِيتَ الأَمْرُ مُنْكَتِمًا ... يَخْتَارُ مَنْ لَمْ يَبِتْ يَوْمًا عَلَى كَتَمِ
الحَزْمُ وَالعَزْمُ فِي الفَارُوقِ قَدْ جُمِعَا ... فَلاَ تَسَلْ بَعْدُ عَنْ عُزْمٍ وَعَنْ حُزُمِ
تَخْشَى الشَّيَاطِيْنُ فَجًّا[٧] أَمَّهُ[٨] عُمَرٌ ... مِنْ رَهْبَةِ البَأْسِ وَالإِخْلَاصِ والشِّيَمِ
إِنْ قَالَ يَوْمًا: (نَعَمْ)، فَاليَأْسُ مِنْهُ بِـ(لَا) ... أَوْ قَالَ: (لَا)،صَارَ كُلُّ اليَأْسِ فِي (نَعَمِ)[٩]

---

(١) مُوَشًّى أيْ: مُزَخْرَفٌ مَنْقُوشٌ.

(٢) مَهْ - مبْنِيَّة على السُّكُونِ -: اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ، بمعنى: انْكَفِفُوا عمَّا أنتمْ عليه.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «مَوَارِدِهُ» (٢/ ٢١٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ السِّيْرَةِ» (١٩٤).

(٤) حِمَامُ المَوْتِ -بِكَسْرِ الحَاءِ-: قَضَاؤُهُ.

(٥) الأَمَم -بِفَتْحَتَيْنِ- القُرْبُ.

(٦) الفَيْلَقُ العَرِمُ: الجَيْشُ الشَّدِيْد.

(٧) الفَجُّ -بِالفَتْحِ-: الطَّرِيْق.

(٨) أَمَّهُ: قَصَدَهُ وَسَلَكَهُ.

(٩) قالهُ أُستاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ-.

حِصَارُ الشِّعْبِ

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَيْكَ حِصَارُ   يَنَالُكَ فِيهَا ذِلَّةٌ وَصَغَارُ[١]

حَدَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَكَانَ الَّذِي تَقَاسَمَتْ فِيهِ قُرَيْشٌ عَلَى الكُفْرِ - يَعْنِي: تَحَالُفَهَا عَلَى مُقَاطَعَةِ بَنِي هَاشِمٍ - فَذُكِرَ أَنَّهُ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى: «**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ**»[٢].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله: «وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ اكْتَفَى بِإِيرَادِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَصْلِ الْقِصَّةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْمَغَازِي مِنْ ذَلِكَ كَالشَّرْحِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «**تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ**»»[٣].

وَذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ حِصَارَ الشِّعْبِ وَقَعَ بَعْدَ فَشَلِ قُرَيْشٍ فِي اسْتِعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الحَبَشَةِ، حَيْثُ أَهَاجَهَا الأَمْرُ، وَاشْتَدَّ الْبَلاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،وَعَزَمَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَقْتُلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَجْمَعَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يُدْخِلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ شِعْبَهُمْ وَيَحْمُوهُ فِيهِ، فَدَخَلُوا الشِّعْبَ جَمِيعًا، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَأَجْمَعَ الْمُشْرِكُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ لا يُجَالِسُوهُمْ،

---

(١) «دِيوَانُ أَبِي العَتَاهِيَةِ» (٥٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٥٨) وَمُسْلِمٌ (٣٢٧٤).

(٣) «فَتْحُ البَارِيّ» (٧/ ١٩٣).

وَلا يُخَالِطُوهُمْ، وَلا يُبَايِعُوهُمْ، وَلا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِلْقَتْلِ، وَكَتَبُوا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةً، فَلَبِثَ بَنُو هَاشِمٍ فِي شِعْبِهِمْ ثَلاثَ سِنِينَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلاءُ وَالْجَهْدُ والجُوعُ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلاثِ سِنِينَ، تلاوَمَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَا حَدَثَ، وَأَجْمَعُوا عَلَى نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ، وَأَعْلَمَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيْهَا سِوَى كَلِمَاتِ الشِّرْكِ وَالظُّلْمِ[١].

أَبَانَ عَجْزُ قُرَيْشٍ عَنْ مُحَاصَرَةٍ ... لِلأَنْجُمِ الزُّهْرِ فِي مَنْأَىً عَنِ العَتَمِ
آلَتْ[٢] بَنُو هَاشِمٍ أَلاَّ تُسَلِّمَهُ ... حَتَّى تُسِيْلَ المَنَايَا أَنْفُس الحُذُمِ[٣][٤]

---

(١) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٧/ ١٩٢).
(٢) آلَتْ: أَقْسَمَتْ.
(٣) الحُذُم: السُّيُوفُ القَاطِعَة.
(٤) قَالَهُ أُستاذنا - حفظه الله -.

مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ

فَجَاءَ عَمُّكَ حِصْنًا تَسْتَكِنُّ بِهِ ... فَاخْتَارَهُ الْمَوْتُ وَالْأَعْدَاءُ فِيْ الْأَجَمِ(١)

مَا أَنْ غَادَرَ بَنُو هَاشِمٍ شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى أُصِيبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ المَبْعَثِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ: «يَحُوطُ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَغْضَبُ لَهُ»(٢).

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْتَرِمُه، وَقَدْ جَاءَ زُعَمَاؤُهَا حِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، فَحَرَّضُوا أَبَا طَالِبٍ عَلَى الاسْتِمْسَاكِ بِدِيْنِهِ، وَعَدَمِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ.

فَعَنْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»**.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أبي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»**.

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٧٦/ ٥٦٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٣).

فَأَنْـزَلَ اللـهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التَّوبَة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القَصَص: ٥٦][1].

قَضـى أَبُـو طَالِـبٍ فِـي كُفْـرِهِ، وَقَضَـى	سَـيْفًا مَعَ الحَقِّ لَمْ يُثْلَمْ[2] وَلَمْ يُصَمِ[3]
قَامَـتْ قِيَامَتُـهُ فِـي الـذَّوْدِ عَـنْ قِيَـمٍ	وَقِمَّـةُ الـنُّورِ فِـي عَـيْنَيْهِ لَـمْ تَقُـمِ
وَرُبَّ شَـهْدٍ بِجَـوْفِ الصَّخْـرِ تُمْنَعُـهُ	وَرُبَّمَـا حُفَّـتِ الأَزْهَارُ بِالسَّـلَمِ[4][5]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٦٠) وَمُسْلِمٌ (٢٤).

(٢) لَمْ يُثْلَمْ: لَمْ يُكْسَرْ حَرْفُهُ.

(٣) لَمْ يُصَمْ: لَمْ يُعَبْ بِعَيْبٍ.

(٤) السَّلَمُ: شَجَرُ القَرَظِ الشَّائِكِ.

(٥) قالَهُ أُستاذُنا – حَفِظَهُ اللهُ –.

مَوْتُ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

قَدْ أَعَانَتْ خَدِيْجَةُ سَيِّدَ الرُّسْـ   لِ بِرَأْيٍ وَثَرْوَةٍ وَحَنَانِ[1]

بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِنَحْوِ شَهْرَيْنِ مَاتَتْ خَدِيْجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ لِأَنَّ أَبَا طَالِبٍ مَاتَ فِي رَجَبٍ عَلَى الصَّحِيْحِ، وَكَانَتْ وَفَاةُ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي رَمَضَانَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ[2].

وَبَشَّرَهَا جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عليهما السلامُ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ[3] فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[4]، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ[5]»[6].

وَبِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اشْتَدَّ الْبَلاءُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِ المِحَنُ.

---

(١) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْد آل خَلِيْفَة» (٢٤٤).

(٢) «أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» لِلدِّمَشْقِيِّ (٦٥).

(٣) المُرَادُ بِالبَيْتِ هنا: القَصْرُ المُنِيْفُ.

(٤) القَصَبُ: اللُّؤْلُؤْ المُجَوَّف الوَاسِع المَسْتَطِيْل.

(٥) الصَّخَب: الصِّيَاح، والنَّصَب: التَّعَبُ وَالمَشَقَّة، قَالَ السُّهَيْلِيُّ في «الروض الْأُنُف» (١/ ١٢٣): مُنَاسَبَة نَفْي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ - أَعْنِي: الْمُنَازَعَة وَالتَّعَب - أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَعَا إِلَى الإِسْلام أَجَابَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا طَوْعًا، فَلَمْ تُحْوِجْهُ إِلَى رَفْع صَوْتٍ وَلا مُنَازَعَةٍ وَلا تَعَبٍ، بَلْ أَزَالَتْ عَنْهُ كُلَّ نَصَبٍ، وَآنَسَتْهُ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَهَوَّنَتْ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُون مَنْزِلُهَا الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ رَبُّهَا بِالصِّفَةِ الْمُقَابِلَةِ لِفِعْلِهَا». أ.هـ.

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٢٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٣٢).

أَمَّــا خَــدِيْجَةُ مَــنْ أَعْطَتْــكَ بَهْجَتَهَــا وَأَلْبَــسَتْكَ ثِــيَابَ الْعَطْــفِ وَالْكَــرَمِ
غَــدَتْ إِلَــىَ جَنَّــةِ الْبَــارِيْ وَرَحْمَتِــهِ فَأَسْــلَمَتْكَ لِــجُرْحٍ غَيْــرِ مُلْتَئِــمِ[1]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

حَتَّــى خَدِيْجَةُ-وَاجُــرْحَ النَّبِيِّ-مَضَــتْ وَدَعْــوَةُ الــحَقِّ لَــمْ تُخْــدَجْ وَلَــمْ تَتِــمِ
مَاتَتْ وَمَاتَ الحَنَانُ العَذْبُ، وَانْقَطَعَتْ أَنْــهَــارُهُ وَإِمَــامُ الأَنْبِيَــاءِ ظَــمِي
مَــضَــتْ وَذِمَّتُــهَا بِالــطُّهْرِ قَائِمَــةٌ فِــي قَــلْبِ أَوْفَــى عِبَــادِ اللــهِ بِالذِّمَــمِ
مَــضَتْ إِلَــى جَنَّــةِ اللــهِ الَّتِــي وُعِــدَتْ وَخَــلَّفَتْهُ يُــقَاسِي سَــوْرَةَ[2] اللَّــوَمِ[3]

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (٢/ ٥٧٢).

(٢) سَوْرَةُ الشَّيْءِ -بِالفَتْحِ-: حِدَّتُهُ.

(٣) اللَّوَم: الهَوْلُ والمُصِيْبَةُ.

زواجُ النبيِّ ﷺ بعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لا يُذكَرُ الطُّهرُ إلا قيلَ عَائشَةٌ رمزٌ لَهُ وَهُوَ نورٌ في مُحياها

هي أمُّ المؤمنينَ عَائِشَةُ، بنتُ الإمامِ الأكبرِ، خليفةِ رسولِ اللهِ ﷺ أبي بَكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كُنْيَتها: أمُّ عبدِ اللهِ.

وأبوها: أبو بكرٍ الصديقُ، أَوَّلُ من آمَنَ برسولِ اللهِ ﷺ من الرجالِ، وأولُ الخُلَفاءِ الراشدين، وُلِدَ بِمَكَّةَ، وَنشَأَ بها، وكَانَ أَحَدَ أعاظِمِ العَرَبِ، وَسَيِّدًا من ساداتِ قريشٍ.

وأُمُّ عائشةَ: أمُّ رُومانَ، أسلمَتْ في مَكَّةَ، وكانت من أوائِلِ المسلماتِ، ويلتقي نَسَبُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع النَّبيِّ ﷺ من جهةِ الأَبِ في الجَدِّ السابعِ.

مولدُها وَنَشْأَتُها:

وُلِدَتْ أُمُّ المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَكَّةَ، بعد البعثةِ بأربعِ سنين أو خَمْسٍ، فخرجَتْ إلى الدنيا فوجَدَتْ نَفْسَها بين أبوين كريمين مؤمنين كما حَكَتْ ذلك بنفسِها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فعن عروةَ بنِ الزبيرِ أَنَّ عَائِشَةَ زوجَ رسولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إلا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلا يَأْتِينا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»(١).

تزوَّج النَّبيُّ ﷺ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبلَ الهجرةِ بِبِضْعَةَ عَشَرَ شهرًا في شهرِ

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٩٠٥).

شوَّالَ، وهي ابنةُ ستِّ سنواتٍ، ودخلَ بها في شوَّالَ من السنةِ الثانيةِ للهجرةِ وهي بنتُ تِسْعِ سنواتٍ، فعن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنتُ ستٍّ، وَبَنَى بَها وَهِيَ بنتُ تِسْعٍ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بنتُ ثَمَانِ عَشْرَةَ[١].

وكان ذلكَ في شهرِ شَوَّالَ فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ في شَوَّالَ وَبَنَى بي في شَوَّالٍ فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟[٢].

وكان زواجُ النبيِّ ﷺ من عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِوَحْيٍ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ النبيُّ ﷺ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أُرِيتُكِ في الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةِ حَرِيرٍ[٣] فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ»[٤].

زَوْجِي رَسولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ — اللهُ زَوَّجَنِي بِهِ وَحَبَانِي
وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِينُ بِصُورَتِي — فَأَحَبَّنِي المُخْتَارُ حِينَ رَآنِي
وَتَكَلَّمَ اللهُ العَظِيمُ بحُجَّتِي — وَبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ القُرآنِ[٥]

---

(١) رواه مسلمٌ (١٤٢٢).

(٢) رواه مسلمٌ (١٤٢٣).

(٣) أي: في قطعةٍ من جَيِّدِ الحريرِ، وجَمْعُها سَرَق. ينظر: النهايةُ في غريبِ الحديثِ والأثرِ ٢/ ٣٦٢، ولسانُ العَرَبِ ١٠/ ١٥٧.

(٤) رواهُ البخاريُّ (٥٠٧٨)، ومسلمٌ (٢٤٣٨).

(٥) جُزْءٌ من قصيدةٍ طويلةٍ قالَها ابنُ بهيج الأندلسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ على لسانِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي قصيدةٌ بديعةٌ طَنانةٌ «ورُبَّ شِعرٍ طَنَّ منه الذُّباب» انظرْها في كتابِ «نَفْحِ الطيبِ» (٢/ ٢٢١)، وقد ذكرتُها كاملةً في كتابي «حبيباتُ المصطفى» عند ترجمةِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

خُرُوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ

فَأَتَى الطَّائِفَ الَّذِي ظَنَّ يَوْمًا   أَنَّ نَصْرًا لِدِينِهِ فِي حِمَاهَا
فَرَمَتْهُ بِمَا تَنُوءُ بِهِ شُمُّ   الرَّوَاسِي مِنْ ظُلْمِهَا وَأَذَاهَا[1]

بَعْدَ مَوْتَ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ؛ رَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، رَدُّوْهُ أَقْبَحَ رَدٍّ، وَأَغْلَظُوا لَهُ القَوْلَ، بَلْ وَحَرَّشُوا بِهِ الصِّبْيَانَ وَالسُّفَهَاءَ، فَآذُوهُ ﷺ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيْتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ - وَأَنَا مَهْمُومٌ -عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ**».

قَالَ: «**فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ**

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد سَحْنُون» (٣١٦).

سَـمِعَ قَـوْلَ قَوْمِـكَ لَـكَ وَمَـا رَدُّوا عَلَيْـكَ، وَأَنَـا مَلَـكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ، لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فمَا شِئْتَ؟، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَه، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[١].

قَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَـا وَيْحَـهُمْ! آذَوْكَ يَـا نُـورَ الهُـدَى ... وَرَمَـوْكَ بِالسُّفَـهَاءِ وَالصِّبْيَـانِ
وَلَقَـدْ أَتَيْـتَ لِـكَيْ تُنِيْـرَ قُلُوبَهُـمْ ... مِـنْ ظُلْمَـةِ الإِشْـرَاكِ بِالإِيْـمَانِ
وَأَبَيْـتَ إِذْ نَزَلَـتْ عَلَـيْهِمْ نِـقْمَةٌ ... أَمَـلًا بِتَوْحِيْـدٍ مِـنَ الوِلْـدَانِ
يَـا خَيْـرَ خَلْـقِ اللهِ، إِنَّكَ رَحْـمَةٌ ... نَـزَلَتْ عَلَـى الـدُّنْيَا مِـنَ الرَّحْمَـنِ

وَقَالَ -أَيْضًا-:

مَـا هَالَـهُ فِـعْلُهُمْ، لَكِـنْ يُؤَرِّقُـهُ ... مَخَافَـةَ الفَـرْقِ بَيْـنَ الرَّجْـمِ وَالرُّجُـمِ[٢]
أَفَـاقَ حِيْـنَ أَتَـى (قَـرْنَ الثَّعَالِـبِ) مِـنْ ... غَـمٍّ بِقَـلْبٍ كَسِـيْرٍ مُرْهَـقٍ كَلِـمِ[٣]
هُـنَـاكَ أَبْصَـرَ جُـنْـدَ الـلهِ نَاظِـرَةً ... وَمَـنْ يَلُـذْ بِحِمَـى اللـهِ العَظِيْـمِ حُمِـي
سَحَـابَةٌ تَفْـصِلُ الشَّمْسَـيْنِ، خَيْرُهُمَا ... تَمْشِي إِلَى الخُلْدِ، وَالأُخْرَى إِلَى العَدَمِ
فِيْـهَا مَلَائِـكَةُ اللـهِ الَّـتِي نَزَلَـتْ ... تَسْتَـأْذِنُ الحِلْـمَ بِالتَّأْدِيـبِ لِلُّـؤُمِ[٤]
أَبَـى رَجَـاءَ الـذَّرَارِي بَعْدَهُـمْ، فَعَسَـى ... أَنْ يُخْـرِجَ الـلهُ أَحْيَـاءً مِـنَ الرِّمَـمِ
نَفْـسٌ مِـنَ النُّبْـلِ وَالأَخْـلَاقِ حُـقَّ لَهَـا ... أَنْ تَعْتَـلِي فَـوْقَ خَلْـقِ اللـهِ كُلِّهِـمِ!

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢٣١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٥).
(٢) الرُّجُم -بِضَمَّتَيْنِ-: النُّجُوم الَّتِي يُرْمَى بِهَا.
(٣) كَلِم أَيْ: جَرِيْح.
(٤) اللُّؤُم: اللِّئَام.

وَقَالَ آخَرُ:

وَضــيءُ الـمَـجَالِ والمَعَــالِي كِلَيْهِمَا   وَعَــذْبُ السَّــجَايَا وَالنَّــدَى والخَلاَئِــقِ
أَخَــفُّ عَلَـى الأَرْوَاحِ طَبْعًــا مِـنَ الهَوَى   وَلَكِنَّــهُ فِــي الحِلْـمِ هَضْبَــةُ شِــاهِقِ[1]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٥٤).

الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ

يَـا أَيُّـهَـا الـمُسْرَى بِـهِ شَـرَفًا إِلَـى مَـا لاَ تَـنَـالُ الشَّـمْسُ والجَـوْزَاءُ
فَــضْلٌ عَلَـيْكَ لِـذِي الجَـلاَلِ وَمِنَّـةٌ والـلهُ يَـفْـعَلُ مَـا يَـرَى وَيَشَـاءُ(١)

مَكَثَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوقَوْمَهُ إِلَى اللهِ ﷻ سَـنَوَاتٍ مَأْسَـاوِيَّةً، مَلِيْئَةً بِالعَوَاصِـفِ العَاتِيَـةِ مِـنَ التَّعْذِيْـبِ وَالإِيْـذَاءِ، وَالتَّكْذِيْبِ وَالافْتِرَاءِ، مُزِّقَ شَـمْلُ أَتْبَاعِهِ، وَسَامَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ سُوْءَ العَذَابِ، ثُمَّ كَانَ العَامُ العَاشِرُ مِنَ البِعْثَةِ الَّذِي فَقَـدَ فِيْـهِ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ عَمَّـهُ أَبَـا طَالِـبٍ، الَّـذِي كَانَ يَنَافِـحُ عَنْهُ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ أَذَى قُرَيْشٍ،وَبَعْدَ وَفَاة أَبِي طَالِبٍ بِثَلاَثَةِ أَشْـهُرٍ يُفْجَعُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَوْتِ رَفِيْقَةِ دَرْبِـهِ وَرَيْحَانَـةِ حَيَاتِـهِ خَدِيْجَـةَ بِنْـتِ خُوَيْلِـدٍ ﵂، وَهِـيَ مَنْ وَقَفَتْ إِلَى جَانِبِهِ فِي أَشَـدِّ المَوَاقِفِ عَلَى مَدَى خَمْسَـةٍ وَعِشْـرِيْنَ عَامًا، وَبَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَنْصُرُهُ لِيُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَيَخْرُجُ إِلَى الطَّائِفِ؛ لِيَعْرِضَ دَعْوَتَهُ عَلَى ثَقِيْفٍ، فَيَرُدُّونَهُ بِأَقْبَحِ رَدٍّ، فَيَنْصِرِفُ مِنْ عِنْدِهِمْ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمْ يُفِقْ إِلَّا فِي قَرْنِ الثَّعَالِبِ، وَهُوَ قَرْنُ المَنَازِلِ مِيْقَاتُ أَهْلِ نَجْدٍ.

وَفِي ظِلِّ هَذِهِ الأَجْوَاءِ الكَالِحَةِ، وَالظُّرُوفِ الحَرِجَةِ، وَبَعْدَ مُضِيِّ اثْنَتَيْ عَشْـرَةَ سَـنَةً مِنَ البِعْثَةِ يَشَـاءُ اللهُ اللَّطِيْفُ بِعِبَادِهِ أَنْ يُسَـلِّيَ رَسُـولَهُ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَى الحَقِّ، فَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِرِحْلَةٍ تَارِيْخِيَّةٍ لَمْ يَنَلْ شَرَفَهَا قَبْلَهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

إِنَّهَا رِحْلَةٌ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ، بَدَأَتْ بِأَقْدَسِ بِقَاعِ الأَرْضِ، وَانْتَهَتْ بِأَعْلَى طَبَقَاتِ

(١) «الشَّوْقِيَّاتُ» (١/ ٢).

السَّمَاءِ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١﴾ [الإِسْرَاءُ: ١].

فَالإِسْرَاءُ: الرِّحْلَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ.

وَالمِعْرَاجُ: الرِّحْلَةُ مِنْ بَيْتِ المُقْدِسِ إِلَى السَّمَواتِ العُلَى، ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى.

أَيْنَ القَوَانِيْنُ فِي الإِسْرَاءِ؟! قَدْ نُسِفَتْ ... أَيْنَ المَسَافَةُ بَيْنَ القُدْسِ وَالحَرَمِ؟!
فِي سُرْعَةٍ تُعْجِزُ الأَرْقَامِ فِي زَمَنٍ ... لَمْ يَحْوِهِ كُلُّ مَا قَدَّرْتَ مِنْ رَقَمِ
أَمَّ النَّبِيِّيْنَ فِي الأَقْصَى الشَّرِيْفِ عَلَى ... رِضًا وَعِلْمٍ وَإِجْمَاعٍ مِنَ العَمَمِ[1]
قَدْ قَدَّمُوهُ عَلَيْهِمْ وَهْوَ آخِرُهُمْ ... إِنَّ المَرَاتِبَ لاَ تَأْتِي عَلَى القِدَمِ
كُلٌّ أَتَى قَوْمَه، لَكِنْ رِسَالَتُهُ ... لِلإِنْسِ والجِنِّ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
وَدِيْنُنَا الحَقُّ يَحْوِي كُلَّ مَا حَمَلَتْ ... تِلْكَ الرِّسَالاَتُ مِنْ حَقٍّ وَمِنْ قِيَمِ
وَمَنْ حَوَى كُلَّ دِيْنٍ قَبْلَهُ وَدَعَا ... كُلَّ المَلاَ كَانَ أَوْلَى الرُّسْلِ بِالسَّنَمِ[2] [3]

وقال آخرُ:

أَسْرَى بِكَ اللهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ ... والرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى على قَدَمِ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ الْتَفُّوا بِسَيِّدِهِمْ ... كالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أو كالْجُنْدِ بِالعَلَمِ
صَلَّى وراءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ ... وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللهِ يأتَمِمِ

---

(١) العَمَمُ: الجَمْعُ الكَثِيْرُ.

(٢) السَّنَم -بِفَتْحَتَيْنِ-: العُلُوُّ وَالارْتِفَاع.

(٣) قالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ-.

جُبْتَ السَّمَوَاتِ أوْ ما فَوْقَهُنَّ بِهِمْ ... عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُمِ
رَكُوبَةً لَكَ مِنْ عِزٍّ ومِنْ شَرَفٍ ... لا في الْجِيَادِ وَلَا في الأَيْنُقِ[١] الرُّسُمِ[٢]
مَشِيئَةُ الخالِقَ البَاري وصنْعَتُهُ ... وَقُدْرَةُ اللهِ فَوْقَ الشَّكِّ والتُّهَمِ
حتَّى بَلَغْتَ سمَاءً لا يُطَارُ لَهَا ... على جَنَاحٍ ولا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ[٣]

---

(١) الأَيْنُق: جمْعُ ناقةٍ.

(٢) الرُّسُم: جمْعُ رُسوم، والناقة الرَّسُوم هي الَّتي تُؤَثِّرُ في الأرض من شِدَّة الوَطْءِ.

(٣) «موسوعةُ الشِّعْرِ الإسلاميّ» (٦/ ٥٦٠).

قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجُ

كَفَتْهُ كَرَامَةُ المِعْرَاجِ فَضْلًا   بِهَا فِي القُرْبِ سَادَ الأَنْبِيَاءَ[١]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَهُوَ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَهُمْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ[٢] - قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ**»، **فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي؟.**

قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ[٣] نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ[٤].

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ[٥] إِلَى شِعْرَتِهِ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ.

فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ[٦]، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟.

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٨٣).

(٢) القَدُّ: الشَّقُّ طُوْلاً.

(٣) الثُّغْرَة - بِالضَّمِّ-: المَوْضِعُ المُنْخَفض الَّذِي بَيْنَ التَّرْقُوَتَيْنِ.

(٤) شِعْرَته أَيْ: شَعْرُ العَانَةِ.

(٥) قَصِّه أَيْ: رَأْسُ صَدْرِهِ.

(٦) طَرْفه أَيْ: نَظَرِهِ، أَيْ: يَضَعُ رِجْلَهُ.

قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟. قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ لَنَا، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟. قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟. قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى عليهما السلام، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، قَالَ: فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟. قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟. قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ عليه السلام، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فلمَّا خَلصتُ فَإِذَا إِدْرِيسُ عليه السلام، فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيل. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟. قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هُوَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيل. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟. قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيل. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا[1] مِثْلُ قِلالِ[2] هَجَرَ[3]، وَإِذَا

---

(١) النَّبْق: ثَمَرُ السِّدْرِ.

(٢) القِلَال -بالكَسْرِ- الجِرَار، وَاحِدَتُها قُلَّةٌ -بالضَّمِّ-.

(٣) هَجَرَ -بِفَتْحَتَيْنِ-: بَلْدَةٌ بِاليَمَنِ، لَا تَنْصَرِفُ لِلتَّأْنِيثِ والعَلَمِيَّةِ، وَقَدْ تَذَكَّرُ وَتُصْرَفُ.

أَوْرَاقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ فِيهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي - وَاللهِ - قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ، قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ، نَادَانِي مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[١].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٦٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٣).

وَحَـبَّذا لَـيْلَةُ الإِسْـرَاءِ حِيْـنَ سَـرَى لَـيْلًا إِلَى المَسـجِدِ الأَقْصَى بِلَا أَتَمِ[١]
رَأَى بِـهِ مِـن كِـرَامِ الرُّسُـلِ طَائِفَـةً فَأَمَّهُـم ثُـمَّ صَلَّـى خَاشِـعًا بِهِـمِ
بَـل حَبَّـذا نَهْضَـةُ المِعْـرَاجِ حِيْـنَ سَـمَا بِـهِ إِلَـى مَشْـهَدٍ فِـي العِـزِّ لَـمْ يُـرَمِ[٢]

وقال آخَرُ:

وأَسْـرَى بـه نَحْـوَ السَّـمَوَاتِ رَبُّـهُ وأَرْكَبَـهُ ظَهْـرَ الـبُرَاقِ وأَكْرَمَـا
وَقَـدْ فُتِـحَتْ أَبْـوابُها لِصُعُـودِه فمـا زَالَ يَرْقَـى مِـنْ سَـمَاءٍ إِلـى سَـمَا
وَلَاقـى بِهَـا قَوْمًـا مِـنَ الرُّسْـلِ كُلُّهُـمْ يَقُـولُ لـه يَـا مَرْحَبًـا حِيـنَ سَـلَّمَا
وَكَـانَ بِـهِ فَـرْضُ الصَّـلاةِ، وحَبَّـذا تَـرَدُّدُهُ بَيْـنَ الْكَلِيـمِ مُكَـلِّمَا!
وصَـيَّرَهَا مِـنْ بَعْـدِ خَمْسِـينَ خَمْسَـةً فُـرُوضًا، وأَمْـرُ اللهِ قَـدْ كَانَ مُبْرَمَـا[٣]

وَكَانَـتْ رِحْلَتُـهُ ﷺ بِالـرُّوحِ وَالجَسَـدِ بِدَلِيْـلِ قَوْلِـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإِسْرَاءُ: ١]. فَكَلِمَةُ عَبْـدٍ لَا تُطْلَـقُ عَلَـى الـرُّوحِ فَقَطْ،وَقَوْلِهِ -تَعَالَـى-: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾﴾ [النَّجْمُ: ١٧]، وَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾ [النَّجْمُ: ١٣].

فَالبَصَرُ مِنْ أَدَوَاتِ الذَّاتِ لاَ الرُّوحِ.

وَقَدْ أَقَرَّ رَسُـولُ اللهِ ﷺ بُوجُودِ البُرَاق الَّذِي انْتَقَلَ بِهِ، وَنَعَتَهُ بِصِفَاتِهِ، وَالبُرَاقُ: مَخْلُوقٌ مَادِيٌّ، يَحْتَاجُ إِلَى جَسَدٍ مَادِيٍّ يَرْكَبُهُ.

فَعَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ: «**فَرَبَطْتُـهُ بِالْحِلْقَـةِ[٤] الَّتِي**

(١) الأَتَمُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الإِبْطَاء.
(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٨/ ٦٠٦).
(٣) «القصائد الزُّهْدِيَّات» (١/ ٢٠).
(٤) بِالحِلْقَةِ أَيْ: حِلْقَة بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ.

يَرْبِطُ بِهِ[١] الأَنْبِيَاءُ»[٢].

يَـا أَيُّـهَا المُسْـرَى بِـهِ شَـرَفًا إِلَـى ... مَـا لاَ تَنَـالُ الـشَّمْسُ وَالجَـوْزَاءُ
تَـغْشَى[٣] الغُيُـوبَ مِـنَ العَوَالِـمِ، كُلَّمَا ... طُـوِيَـتْ سَـمَاءٌ قَلَّدَتْـكَ سَـمَاءُ[٤]

وقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

حَتَّـى أَتَـى الأَمْـرُ بِالمِعْـرَاجِ، وَارْتَفَعَتْ ... إِلَـى السَّـمَاءِ سَـمَاءُ المَجْـدِ وَالكَـرَمِ
وَأَمْسَـتِ الأَرْضُ فِـي لَيْلَيْـنِ وَاجِمَـةً[٥] ... وَمَـنْ يُصِبْـهُ فِـرَاقُ المُصْطَفَـى يَجِـمِ[٦]
جَـازَ النَّـبِيِّـيْنَ كُلًّا عِـنْدَ رُتْبَتِـهِ ... إِلَـى مَـقَامٍ مِـنَ العَلْـيَاءِ لَـمْ يُـرَمِ
حَتَّـى ارْتَقَـى مَـنْزِلًا مَـا نَالَـهُ أَحَـدٌ ... وَسِـدْرَةُ المُنْتَهَـى كَانَـتْ عَلَـى زَمَـمِ[٧]
مِـنْ حِكْمَـةِ اللهِ أَنْ كَانَ العُـرُوجُ بِـهِ ... لَـيْلًا، وَللهِ مَـا فِـي الأَمْـرِ مِـنْ حِكَـمِ
أَرَادَهَــا اللــهُ تَـأْيِـيْـدًا وَتَسْـلِيَةً ... لِلمُصْطَفَـى بَعْدَمَـا لاَقَـى مِـنَ القُحَمِ[٨]
فِـي الأَرْضِ دَاعِيَـةٌ لاَقَـى العَنَـاءَ بِهَـا ... وَفِـي السَّـمَوَاتِ مَدْعُـوٌّ إِلَـى النِّعَـمِ
فِـي الأَرْضِ لَمْ يَلْقَ عَبْدًا يَسْـتَجِيْرُ بِهِ ... وَفِـي الـسَّمَوَاتِ لاَقَـى خَيْـرَ مُسْـتَنَمِ
فِـي الأَرْضِ كَانَ طَـرِيـدًا لاَ أَنِيْـسَ لَهُ ... وَفِـي السَّـمَاءِ عَظِيْمًـا حُـفَّ بِالحَشَـمِ

---

(١) بِهِ: بِضَمِيرِ المُذَكَّرِ، أَعَادَهُ عَلَى مَعْنَى الحِلْقَةِ، وَهُوَ الشَّيْءُ.
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢٠٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٢) وَاللَّفْظُ لَهُ.
(٣) غَشِيَ المَكَانَ يَغْشَاهُ: أَتَاهُ.
(٤) «دِيْوَانُ شَوْقِي» (١١).
(٥) الوُجُومُ: السُّكُوتُ عَلَى هَمٍّ وَحُزْنٍ.
(٦) يَجِمِ أَيْ: يُصِبْهُ الوُجُومُ مِنْ شِدَّةِ الحُزْنِ.
(٧) عَلَى زَمَمٍ: عَلَى قُرْبٍ.
(٨) القُحَم: الأُمُورُ الشَّاقَّة الشَّدِيْدَة، وَاحِدَتُهَا قُحْمَةٌ -بِالضَّمِّ-.

فِـي الأَرْضِ أَبْغَـضُ خَلْـقِ اللـهَ تَطْـرُدُهُ وَفِــي السَّـمَوَاتِ تَرْحِيْـبٌ مِـنَ القِمَـمِ
هَــذَا هُـوَ النَّصْـرُ؛ فَأْمَـنْ لاَ تَخَـفْ أَبَدًا فَــإِنَّ أَمْــرَكَ مَحْتُــومٌ إِلَـى التَّــمَمِ

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُوْلَى

أَجَارُوا رَسُولَ اللهِ بَدْأً وَلَمْ تَزَلْ مَآثِرُهُمْ فِي الدِّيْنِ تَسْمُو وَتَزْدَادُ(١)

بَعْدَ سِنِيْنَ طَوِيْلَةٍ قَضَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي جِهَادٍ دَائِمٍ، وَعَمَلٍ مُتَوَاصِلٍ، لاَ يَعْرِفُ الكَلَلَ وَلاَ المَلَلَ، وَهُوَ يَطُوفُ عَلَى القَبَائِلِ، مُبَلِّغًا دَعْوَةَ رَبِّهِ، مُلْتَمِسًا الحَلِيْفَ وَالنَّصِيْرَ، مُلاَقِيًا فِي سَبِيْلِ ذَلِكَ صُنُوفَ الأَذَى وَالصَّدِّ وَالإِعْرَاضِ - أَرَادَ اللهُ إِتْمَامَ أَمْرِهِ، وَنَصْرَ دِيْنِهِ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَتِ البِدَايَةُ وَنُقْطَةُ التَّحَوُّلِ الحَاسِمَةُ وَبَصِيْصُ النُّورِ الَّذِي أَطَلَّ مِنْ بَيْنِ رُكَامِ الظُّلُمَاتِ، عِنْدَمَا قَيَّضَ اللهُ ﷻ أُولَئِكَ النَّفَرَ السِّتَّةَ مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيْدَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِي، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ رضي الله عنهم، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ سِيَّمَا الخَزْرَجِ، وَهَؤُلاَءِ النَّفَرُ السِّتَّةُ الْتَقَى بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ لِلبِعْثَةِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ، فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ وَأَسْلَمُوا.

وَكَانَ هَذَا المَوْكِبُ أَوَّلَ مَوَاكِبِ الخَيْرِ الَّتِي هَيَّأَتْ لِلإِسْلاَمِ أَرْضًا جَدِيْدَةً، وَمَلاَذًا آمِنًا؛ حَيْثُ لَمْ يَكْتَفِ هَؤُلاَءِ النَّفَرُ بِالإِيْمانِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوا العَهْدَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِدَعْوَةِ أَهْلِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَى المَدِيْنَةِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ الإِسْلَامِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُوْرِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيْهَا ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الحَجِّ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، جَاءَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ المُؤْمِنِيْنَ: عَشَرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَ اثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ.

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٧/ ٩٢).

وَهُمُ السِّتَّةُ الْأَوَئِلُ - خَلَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَمَعَهُمْ: مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ، أَخُو عَوْفٍ الْمُتَقَدِّمِ، وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، فَهَؤُلَاءِ عَشَرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَمِنَ الأَوْسِ اثْنَانِ، وَهُمَا: مَالِكُ بْنُ التَّيِّهَانِ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ.

فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ دُونَ قِتَالٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أُمِرَ بِالقِتَالِ بَعْدُ[١].

وَهَا هُوذَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا كَيْفَ كَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى، قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ - **عَلَى أَلَّا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ**»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَسَتَرَهُ اللهُ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ،**

---

(١) بَيْعَةُ النِّسَاءِ كَانَتْ بَعْد الحُدَيْبِيَةِ، وَهِيَ المَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المُمْتَحِنَةُ:١٢].

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٣)، وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩).

إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ». قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ[١].

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْم، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَدْعُو إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَأَقَامَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي بَيْتِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَيَدْعُو إِلَى الله، وَتَمَكَّنَ خَلَالَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ مِنْ أَنْ يَنْشُرَ الإِسْلَامَ فِي سَائِرِ بُيُوتِ المَدِيْنَةِ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ بَشَرٌ كَثِيْرٌ، مِنْهُمْ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِمَا يَوْمَئِذٍ جَمِيْعُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ إِلَّا الأُصَيْرِمَ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمِ أُحُدٍ.

وَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيْهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ، وَعَادَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى مَكَّةَ قُبَيْلَ المَوسِمِ المُقْبِلِ، يَحْمِلُ بَشَائِرَ الخَيْرِ، وَيُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا لَقِيَهُ الإِسْلَامُ فِي المَدِيْنَةِ مِنْ قَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَرَى فِي هَذَا المَوْسِمِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَيُسَرُّ بِهِ فُؤَادُهُ.

إِذَا مَجْلِسُ الأَنْصَارِ خَفَّ بِأَهْلِهِ ... وَحَلَّتْ بِوَادِيْهِمْ غِفَارٌ وَأَسْلَمُ[٢]

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ ... وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ[٣]

وَقَالَ آخَرُ:

يَستَقْبِلُ النَّاسَ فِي بَدوٍ وَفِي حَضَرٍ ... وَيَنشُرُ الدِّيْنَ فِي سَهْلٍ وَفِي عَلَمِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٢) وَمُسْلِمٌ (١٧٠٩).

(٢) غَفَارٌ وأَسْلَمُ: قَبِيْلَتَانِ.

(٣) «التَّذْكِرَةُ الحَمْدُونِيَّةُ» (٧/ ٢٩٦).

حَتَّى اِستَجَابَتْ لَهُ الأَنْصَارُ وَاعتَصَمُوا — بِحَبْلِهِ عَنْ تَراضٍ خَيْرَ مُعْتَصَمِ
فَاسْتَكْمَلَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا نَضَارَتَها — وَأَصْبَحَ الدِّيْنُ فِي جَمْعٍ بِهِمْ تَمَمِ
قَومٌ أَقَرُّوا عِمَادَ الحَقِّ وَاصْطَلَمُوا[1] — بِبَأْسِهِمْ كُلَّ جَبَّارٍ وَمُصطَلِمِ
فَكَم بِهِمْ أَشْرَقَتْ أَسْتَارُ داجِيَةٍ — وَكَمْ بِهِمْ خَمَدَتْ أَنْفَاسُ مُخْتَصِمِ[2]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

سَيَحْسِمُ اللهُ أَمْرًا أَنْتَ حَامِلُهُ — وَإِنْ تَبَدَّى عَسِيْرًا غَيْرَ مُنْحَسِمِ
بُشْرَاكَ؛ تِلْكَ بُذُورُ النُّورِ مُقْبِلَةً — مِنْ يَثْرِبِ النَّصْرِ وَالأَنْصَارِ وَالرُّحُمِ[3]

---

(١) اصطَلَمُوا: اسْتَأْصَلُوا.

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (٩/ ٦٠٦)، قاله البارُوديُّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) الرُّحُم: الرِّقةُ وَالعَطْف وَالمَغْفِرَة.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةُ

يَا مَنْ بِطَلْعَتِهِ يَلُوحُ لَنَا الهُدَى وَبِيُمْنِ رُؤْيَتِهِ نَزِيْدُ تَيَمُّنَا(١)

هَا هُو كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا عَنْ بِيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ -وَهِيَ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ- مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ، خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقَ لَه، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مَنْ تَكلَّمَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا- إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**». قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ مَعْتُوقٍ» (١٢٨).

بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا (أَيْ: نِسَاءَنَا) فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ(١).

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ - وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا -يَعْنِي الْعُهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَأَظْهَرَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ**(٢)**، أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**»(٣).

وَهَا هُو جَابِرُ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عِنْدَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، فَيُحَدِّثُنَا قَالَ: فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَا شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهَا مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَى مَا نُبَايِعُكَ؟

قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَخَافُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي - إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ - مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ**».

قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ - وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ -

---

(١) الْحَلْقَة: السِّلاحُ كُلُّهُ.

(٢) الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَيْ: إِنْ طُلِبَ دَمُكُمْ فَقَدْ طُلِبَ دَمِي، وَإِنْ أُهْدِرَ دَمُكُمْ فَقَدْ أُهْدِرَ دَمِي، لاسْتِحْكَامِ الْأُلْفَةِ بَيْنَنَا.

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٤٦٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيقَاتِهِ عَلَى «فِقْهِ السِّيرَةِ» (١٩٤).

فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَبِيئَةً، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ.

قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نُسْلَبُهَا أَبَدًا قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ[١].

وَقَدْ وَفَّى الأَنْصَارُ بِتَلْكَ الْبَيْعَةِ، وَقَامُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ قِيَامٍ، وَأَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَأَوْصَى بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرَ وَصِيَّةٍ، وَقَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ: **«فَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»**[٢].

قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمْدَحُ الأَنْصَارَ:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ[٣] مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[٤] ... إِنَّ الْخِيَارَ هُمُ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ[٥] بِأَذْرُعٍ ... كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ[٦] غَيْرَ قِصَارِ

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٢٢-٣٤٠)، وَالحَاكِمُ (٢/ ٦٢٤-٦٢٥)، وَصَحَّحَهُ وَأَقَرَّهُ الذَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٩٩)، وَمُسْلِمٌ (٣٨٠١).

(٣) المِقْنَب -بِزِنَةِ المِنْبَر-: الجَمَاعَةُ مِنَ الفَوَارِسِ، والجَمْعُ مَقَانِبُ.

(٤) كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ أَيْ: كَبِيرًا عَنْ كَبِيرٍ فِي العِزِّ وَالشَّرَفِ.

(٥) السَّمْهَرِيّ: الرُّمح الصُّلْب، يُقَالُ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى سَمْهَرٍ، وَكَانَ رَجُلاً يَقَوِّمُ الرِّمَاحَ.

(٦) كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ: يُرِيدُ حَوَاشي السُّيُوف، وَقَدْ يُرِيدُ بِهِ الرِّمَاحَ - أَيْضًا -؛ لأَنَّهَا قَدْ تُنْسَبُ إِلَى الهِنْدِ.

وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ
وَالْقَائِدِينَ(١) النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالْمَشْرَفِيِّ(٢) وَبِالْقَنَا(٣) الْخَطَّارِ(٤)
يَتَطَهَّرُونَ - يَرَوْنَهُ نُسْكًا لَهُمْ - بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ
دَرِبُوا(٥) كَمَا دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ(٦) غُلْبُ الرِّقَابِ(٧) مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي(٨)
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ(٩) الْأَغْفَارِ(١٠)
قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ(١١) فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ(١٢) النَّازِلِينَ مَقَارِي(١٣).(١٤)

---

(١) فِي «عُيُون الأَثَرِ» (٢/ ٢٦٣) بَدَلَ (وَالْقَائِدِينَ) وَ(الذَّائِدِيْنَ) أَي: المَانِعِيْنَ وَالدَّافِعِيْنَ.

(٢) الْمَشْرَفِيِّ: السَّيْف المَنْسُوبِ إِلَى المَشَارِفِ، قُرىً لِلعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرِّيْفِ.

(٣) القَنَا: جَمْعُ قَنَاةٍ، وَهِيَ الرُّمْحِ.

(٤) الخَطَّارِ: المُهْتَزّ.

(٥) دَرِبُوا: اعْتَادُوا مِنَ الدُّرْبَةِ: وَهِيَ الضَّرَاوَةُ وَالجَرَاءَةُ.

(٦) خَفِيَّة: مَوْضِعٌ كَثِيْرُ الأُسْدِ.

(٧) غُلْبُ الرِّقَابِ: غِلَاظُ الأَعْنَاقِ.

(٨) ضَوَارِي: مُتَعَوِّدَاتِ الصَّيْدِ وَالافْتِرَاسِ.

(٩) مَعَاقِلِ: جَمْعُ مَعْقِل، وَهُوَ الحِصْنُ الَّذِي يُمْتَنَعُ فِيهِ.

(١٠) الْأَغْفَارِ: جَمْعُ غُفْرٍ -بِالضَّمِّ-، وَهُوَ وَلَد الوَعْلِ.

(١١) خَوَتْ النُّجُومُ: غَرَبَتْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى زَعْمِهِمْ.

(١٢) الطَّارِقِين: الَّذِيْنَ يَأْتُونَ بِاللَّيْلِ.

(١٣) المَقَارِي جَمْعُ مِقْرَاةٍ، وَهِيَ الجَفْنَةُ الَّتِي يُصْنَعُ فِيهَا الطَّعَامُ لِلأَضْيَافِ.

(١٤) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» لابْن كَثِيرٍ (٧/ ١٣٨-١٣٩).

الهِجْرَةُ

أَوْحَى لَكَ اللهُ: هَاجِرْ لِلأُلَى صَدَقُوا فَالمُؤْمِنُونَ هُمُ الأَوْطَانُ وَالنَّسَبُ
ولا تُرِعْكَ حُشُودُ الأَرْضِ أَجْمَعُهَا فإنَّما الأمْرُ بَعْدَ الصَّبْرِ يَنْقَلِبُ[١]

لَمْ يَكُنِ اخْتِيَارُ المَدِيْنَةِ مُهَاجَرًا لَهُ ﷺ إِلَّا بِوَحْيٍ إِلَهِيٍّ.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهْلِي -أَيِ: اعْتِقَادِي- إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ، أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**»[٢].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ**». **وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**[٣]**، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« عَلَى رِسْلِكَ**[٤]**؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي** » .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟. قَالَ : « **نَعَمْ** » .

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ - وَهُوَ الْخَبَطُ - أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

---

(١) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٣٨).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٢٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٢).

(٣) الحَرَّة: أَرْضٌ حِجَارَتُهَا سُودٌ.

(٤) عَلَى رِسْلِكَ - بِكَسْرِ الرَّاءِ - أَيْ: عَلَى مَهْلِكَ

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[١]، قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا[٢]- فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ، مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلاَّ أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: « **أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: « **فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ** » .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ** ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **بِالثَّمَنِ** » .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[٣]فِي جِرَابٍ[٤].

فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِطْعَةً مَنْ نِطَاقِهَا[٥]، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِيْنِ.

---

(١) نَحْرِ الظَّهِيرَةِ أَيْ: أَوَّلُ الزَّوَال، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُون فِي حَرَارَةِ النَّهَارِ.

(٢) مُتَقَنِّعًا أَيْ: مُغَطِّيًا رَأْسَهُ.

(٣) السُفْرَة: زَادُ المُسَافِرِ.

(٤) الجِرَاب -بِالكَسْرِ - وِعَاءُ الزَّادِ.

(٥) النِّطَاق -بِالكَسْرِ - الحِزَامُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الوَسَطُ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيْهِ[١] ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيْتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ ثَقِفٌ[٢] لَقِنٌ[٣]، فَيُدْلِجُ[٤] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلاَّ وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً[٥] مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[٦]، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٧]، حَتَّى يَنْعِقَ[٨] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[٩]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ- قَدْ غَمَسَ حِلْفًا[١٠] فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ،وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ

(١) فَكَمَنَا فِيْهِ أَي: اخْتَفَيْنَا.

(٢) الثَّقِف: الحَاذِقُ.

(٣) اللَّقِنُ: السَّرِيْعُ الفَهْمِ.

(٤) فَيُدْلِجُ أَيْ: فَيَخْرُجُ.

(٥) المِنْحَة -بِالكَسْرِ- عَارِيَةُ ذَات الأَلْبَانِ؛ لِيُؤْخَذَ لَبَنُهَا، ثُمَّ تُرَدَّ هِيَ لِصَاحِبِهَا.

(٦) الرِّسْل -بِالكَسْرِ- اللَّبَنُ الطَّرِيُّ.

(٧) الرَّضِيف: اللَّبَنُ المَرْضُوف (أَيِ: الَّتِي وُضِعَتْ فِيْهِ الحِجَارَةُ المُحْمَاةُ بِالشَّمْسِ أَوِ النَّارِ؛ لِيَنْعَقِدَ وَتَزُولَ رَخَاوَتُهُ).

(٨) يَنْعِقَ بِهَا أَيْ: يَصِيحُ بِغَنَمِهِ.

(٩) الغَلَسُ: اخْتِلَاطُ ضِيَاءِ الصُّبْحِ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

(١٠) الحِلْفُ -بِالكَسْرِ- العَهْدُ بَيْنَ القَوْمِ، وَكَانُوا إِذَا تَحَالَفُوا غَمَسُوا أَيْمَانَهُمْ فِي دَمٍ، أَو طِيبٍ، أَوْ فِي شَيْءٍ يَكُونُ فِيْهِ تَلْوِيْثٌ، فَيَكُونُ ذَلِكَ تَأْكِيْدًا لِلحِلْفِ.

رَاحِلَتَيْهِمَا،وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ[(١)].

وَهَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَهُ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ، قَالَ: «نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ، أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!**»[(٢)].

وَهُنَا زِيَادَةُ فَائِدَةٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أُخِذَ عَلَيْنَا بِالرَّصَدِ[(٣)]، فَأَحْثَثْنَا لَيْلَتَنَا[(٤)] وَيَوْمَنَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ[(٥)]، ثُمَّ رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ، فَأَتَيْنَاهَا وَلَهَا شَيْءٌ مِنْ ظِلٍّ، قَالَ: فَفَرَشْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَرْوَةً مَعِي، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَه، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ قَدْ أَقْبَلَ فِي غُنَيْمَةٍ، يُرِيدُ مِنَ الصَّخْرَةِ مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟، فَقَالَ: أَنَا لِفُلَانٍ. فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ. قَالَ: فَحَلَبَ كُثْبَةً[(٦)] مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ[(٧)] مِنْ مَاءٍ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٣٨١).

(٣) الرَّصَد: الارْتِقَاب.

(٤) فَأَحْثَثْنَا أَيْ: أَسْرَعْنا السَّيْرَ.

(٥) الظَّهيرةُ: شِدَّةُ الحرِّ، وقائِمُها: قائمُ الظِّلِّ الَّذي لا يَزيدُ ولا يَنْقُصُ في رَأْيِ العَيْنِ، وذلك يكونُ مُنْتَصفَ النَّهارِ حِينَ اسْتِوَاءِ الشَّمْسِ.

(٦) كُثْبَة -بِالضَّمِّ- أَيْ: شَيْئًا قَلِيلاً.

(٧) إِدَاوَة: وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ.

عَلَيْهَا خِرْقَةٌ قَدْ رَوَّأْتُهَا[1] لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَ وَالطَّلَبُ فِي إِثْرِنَا»[2].

وَذِكْرَاكَ قَدْ طَافَتْ عَلَى البَدْوِ وَالحَضَرْ ... أَبُو بَكْرَ وَالشَّدْوُ الجَمِيلُ بِكَ ابْتَكَرْ

وَحَنَّتْ لَهُ الجَوْزَا، وَشَيَّعَهُ[3] القَمَرْ ... هُمَامٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَصْغَتْ لِفَضْلِهِ

تَرَدَّى رِدَاءً وَاسِعَ الْجَيْبِ وَاتَّزَرْ ... وَلَمَّا رَأَى المَجْدَ اسْتُعِيرَتْ ثِيَابُهُ

مَنَاقِبُهُ زَانَتْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ ... تَفَرَّدَ بِالعَلْيَاءِ عَنْ كُلِّ فَاضِلٍ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

حَتَّى ارْتَوَى مِنْ شَرْبَةِ المُخْتَارِ ... فَكَأَنَّمَا شَرِبَ النَّبِيُّ بِجَوْفِهِ

يَسْرِي بِفِيهِ فَهُوَ فِيهِ سَارِ ... حُبٌّ تَعَمَّقَ فِي الفُؤَادِ، فَصَارَ مَا

لِلهِ فِي الإِيسَارِ وَالإِعْسَارِ ... حُبٌّ أَتَى مِنْ نَبْضِ قَلْبٍ مُخْلِصٍ

قِصَّةُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عزك القدم فانطلقت ترجّيه ... خسيسًا من الجزاء حقيرًا

عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَه، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَة، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً[4] بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

(١) رَوَّأْتُهَا أَيْ: تَأَنَّيْتُ بها حتَّى صلحتْ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٠٤)، وَمُسْلِمٌ (٣٧٥٦).

(٣) شَيَّعَهُ: وَدَّعَهُ.

(٤) أَسْوِدَة أَيْ: أَشْخَاصًا.

قَالَ: سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ[1] بِزُجِّهِ[2] الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ[3]، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا[4] تُقَرِّبُ بِي[5]، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي[6] فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ[7]، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ.

فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ[8] يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ[9] سَاطِعٌ[10] فِي السَّمَاءِ مِثْلُ

(١) فَحَطَطْتُ أَيْ: أَمْكَنْتُ أَسْفَلَهُ.

(٢) الزُجُّ -بِالضَّمِّ- الحَدِيْدَةُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الرُّمْحِ.

(٣) لِئَلاَّ يَظْهَرُ بَرِيْقَهُ لِمَنْ بَعْدُ مِنْهُ؛ لأَنَّهُ كَرِهُ أَنْ يَتْبَعَهُ أَحدٌ، فَيَشْرَكَهُ فِي الجعَالَةِ.

(٤) فَرَفَعْتُهَا أَيْ: أَسْرَعْتُ بِهَا السَّيْرَ.

(٥) التَّقْرِيْبُ: أَنْ تَضَعَ الفَرَسُ يَدَيْهَا مَعًا، وَتَضَعَهُمَا مَعًا.

(٦) الكِنَانَةُ: وِعَاءُ السِّهَامِ.

(٧) الأَزْلاَمَ: السِّهَام الَّتِي لَا رِيْشَ لَهَا وَلَا نَصْلَ، كَانُوا يَكْتُبُونَ عَلَى بَعْضِهَا نَعَمْ، وَعَلَى بَعْضِهَا لَاَ، وَاحِدُهَا زَلَمٌ -بِفَتْحَتَيْنِ-.

(٨) سَاخَتْ: غَاصَتْ.

(٩) عُثَان -بِالضَّمِّ-: غُبَار.

(١٠) سَاطِع: مُنْتَشِر.

الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَه، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي- حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ- أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي[١] وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلاَّ أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[٢]، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ)[٣].

ضَاقَتْ قُوَى الشَّرِّ بِالحَقِّ الَّذِي ظَهَرَتْ ... آيَاتُهُ، وَتَنَزَّى[٤] الحِقْدُ وَالغَضَبُ
وَأَجْمَعُوا الأَمْرَ فِي سِرٍّ وَقَدْ جَعَلُوا ... لِقَاتِلِيْكَ نِيَاقًا دُونَهَا الذَّهَبُ
فِي كُلِّ نَفْسٍ أَثَارُوا الحِقْدَ، فَارْتَفَعَتْ ... كُلُّ السُّيُوفِ، وَأَنْتَ القَصْدُ وَالطَّلَبُ[٥]

وَقَالَ آخَرُ:

فَبَيْنَما هُوَ يَطْوِي البِيْدَ[٦] أَدْرَكَهُ ... رَكْضًا سُرَاقَةُ مِثْلَ القَشْعَمِ[٧] الضَّرِمِ[٨]

---

(١) فَلَمْ يَرْزَآنِي أَيْ: لَمْ يَنْقُصَانِي مِمَّا مَعِي شَيْئًا.
(٢) أَدِيمٍ: جلْد مَدْبُوغ.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٦).
(٤) تنَزَّى: توثَّبَ وتَسَرَّعَ.
(٥) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٨٣).
(٦) البِيْدُ: جَمْعُ بَيْدَاءَ، وَهِيَ الصَّحَرَاءُ.
(٧) القَشْعَمِ-كَجَعْفَرٍ-: الأَسْد.
(٨) الضَّرِم: الجَائِعُ.

حَـتَّى إِذَا مَـا دَنَـا[١] سَاخَ الجَوادُ[٢] بِهِ ... فِـي بُـرقَةٍ[٣] فَـهَوى لِلسَّـاقِ وَالقَـدَمِ
فَـصَاحَ مُبْتَهِـلًا يَرْجُـو الأَمَـانَ، وَلَـو ... مَضَـى عَلَـى عَزْمِـهِ لانْهَارَ فِي رَجَمِ[٤][٥]

وَقَالَ آخَرُ:

يـا طَرِيـدًا مَلَـئَ الدُّنيـا اسـمُهُ ... وغَـدا لحنًـا علـى كُلِّ الشِّـفاهْ
وغـدتْ سـيرَتُهُ أنشـودةً ... يتلقَّاهَـا رُواةٌ عَـنْ رُواهْ
لَيْـتَ شِـعري هـل درى مـن طَـاردًا ... عابـدُوا الَّـلاتِ وأَتبـاعُ مُنـاهْ
هـل درتْ مـن طاردَتـهُ أمَّـةٌ ... هُبَـلُ معبُودُهـا؟ شَـاهَتْ وشَـاهْ
طـاردتْ فـي الغَـارِ مـن بَوَأْهـا ... مَقْصِـدًا لا يَبْلُـغُ النَّجْـمُ مَـداهْ
طَـاردتْ فـي البِيـدا مَـنْ شَـادَ لهـا ... دِينُـه فـي الأرضِ جَاهًـا أيِّ جـاهْ
سُـؤددُ مـا لـي الـذُّرى مـا شَـادَهُ ... قَيْصَـرُ يومًـا ولا كِسـرَى بنـاهْ

---

(١) دَنَا: قَرُبَ.

(٢) الجَوَّاد: الفَرَس.

(٣) البُرْقَة -بِالضَّمِّ-: الأَرْضُ ذَاتُ حِجَارَةٍ مُخْتَلِفَةٍ الأَلْوَانُ.

(٤) الرَّجَم -بِالتَّحْرِيْك- القَبْر.

(٥) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي»(١١/ ٦٠٦).

كَيْفَ اسْتَقْبَلَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟

بِــأَبِي وَأُمِّــي أَنْــتَ حِيــنَ تَشَــرَفَتْ   بِــكَ هِجْــرَةٌ وَتَشَــرَفَ الأَنْصَــارُ![1]

يُحَدِّثُنا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ.

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ- أَيْ: بِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ أَوْ حِصْنٍ مُرْتَفِعٍ-،لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ -أَيْ: يَلْبَسُونَ البَيَاضَ- يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ -أَيْ حَظُّكُمْ- الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ،فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ»[2].

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١/ ٦٧٧).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٦٠).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ، وَسَعْدٌ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ »[1].

الجِذْعُ حَنَّ إِلَيْكَ وَهْوَ جَمَادُ أَفَلَا تَحِنُّ إِلَيْكُمُ الأَكْبَادُ؟!
وَحِجَارُ مَكَّةَ بِالنُّبُوَّةِ سَلَّمَتْ أَفَلَا يَطِيبُ لَنَا بِكَ الإِنْشَادُ؟![2]

نزولُ رسولِ اللّهِ ﷺ بقباءَ:

بطَيْبَةَ الطَّيبِ أَرْسَى الحَقُّ دَوْلَتَهُ فالكونُ في مَوْعِدٍ ثرٍّ مَعَ القَدَرِ

عَدَلَ النبيُّ ﷺ بهمْ ذاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ في بني عَمْرِو بن عَوفٍ[3] وَذَلِكَ يَوْمَ الأَثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أبو بَكرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أبو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ.

بِناءُ مَسْجِدِ قُبَاءَ:

لَبثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ أربعَ عَشْرَةَ لَيلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ[4].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٢٥).
(٢) «دِيوَانُ ابْنُ مَعْتُوق» (٢٠٨).
(٣) ومنازِلُهم بقباءَ، وهي على فرسَخٍ من المسجدِ النبويِّ بالمدينةِ. والفرسَخُ: يزيدُ على ٥ كم.
(٤) رواهُ البخاريُّ (٣٩٠٦).

هُنَا مِنْ قُبَا آثَارُ نُورِ الهُدى تُرْوَى   لِأَوَّلِ يَوْمٍ أَسَّسُوهُ على التَّقْوَى
سَقَى اللهُ عَهْدًا هَاجَرَ المُصْطَفَى بِهِ   وَأَنْصَارُهُ الأَنْصَارُ والطَّيْبَةُ الْمَأْوى[1]

نُزُولُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَارِ:

يَتَشَرَّفُ الإِنْسَانُ فِي أَخْوَالِهِ   وَمُحَمَّدٌ شَرُفَتْ بِهِ الأَخْوَالُ[2]

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقالَ ﷺ: «**أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**». فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ اللهِ»[3].

وعن أنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فأقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فيهم- أي: في بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ- أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ أَرْسَلَ إلى مَلَإِ بني النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأبو بَكْرٍ رِدْفَهُ وَمَلَأُ بني النَّجَّارِ حَوْلَهُ[4]، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبي اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ[5].

فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَنْزِلُ عَلَى بني النَّجَّارِ أَخْوَالِ عبدِ الْمُطَّلِبِ أُكرِمُهُمْ بِذَلِكَ**» فَصَعِدَ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ يا مُحَمَّدُ يا رَسُولَ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ[6]،

---

(١) قالَهُ: حمودُ البَعَادنيُّ – حفظَهُ الله-.

(٢) قَالَهُ مازِنٌ العَرْدِيُّ –حَفِظَهُ اللهُ-.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٠٩).

(٤) رواه البخاريُّ (٣٩٣٢)، مسلمٌ (٥٢٤).

(٥) رواه البخاريُّ (٣٩١١) واللفظُ له، ومسلمٌ (٥٢٤).

(٦) رواه البخاريُّ (٣٩١٧)، مسلمٌ (٢٠٠٩)، واللفظُ لَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟**»، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، فقَالَ ﷺ: «**فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا**»، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ[1].

سَمَّاهُمْ اللهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِمْ ... دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ[2] الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوا ... لِلنَّائِبَاتِ فَمَا خَامُوا[3] فما ضَجِرُوا[4]

وَقَالَ آخَرُ:

يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى، وَتَشَرَّفَتْ ... بِمَسِيْرِهِ الكُثْبَانُ[5] وَالأَحْجَارُ

يَا مَنْ تَتَوقُ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ ... شَمْسٌ، وَيَفْرَحُ أَنْ يَرَاهُ نَهَارُ

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ حِيْنَ تَشَرَّفَتْ ... بِكَ هِجْرَةٌ، وَتَشَرَّفَ الأَنْصَارُ[6]

وقال صِرْمَةُ بْنُ أبي أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ثوَى[7] في قُرَيش بِضْعَ عَشْرةً[8] حِجَّةً[9] ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيا[10]

---

(١) القَصَّةُ:الجيرُ المحروقُ.

(٢) العَوَانُ مِنَ الحُرُوبِ: الَّتِي قُوتِلَ فِيْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كَأَنَّهُمْ جعَلُوا الْأُوْلَى بِكْرًا.

(٣) خَامُوا: نَكَصُوا وَجَبُنُوا.

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧/ ٤٦).

(٥) الكُثْبَانُ: جَمْعُ كَثِيبٍ، وَهُو التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ.

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(١٢٩/ ١).

(٧) ثَوَى: أقام ومَكَثَ.

(٨) البِضْعُ - بالكَسْرِ-: مِنَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ.

(٩) الحِجَّة - بالكَسْرِ-: هي السَّنَةُ والعامُ هُنَا.

(١٠) مُوَاتيًا: أَيْ: مُوافِقًا.

وَيَعْـرِضُ فـي أهْـلِ المواسِـمِ نَفْسَـهُ فَـلَمْ يَـرَ مَـنْ يُـؤْوِي، وَلَـمْ يَـرَ داعِيَـا
فلـمَّا أتَـانَا أظْهَـرَ اللـهُ دِينَـهُ وأصْبَـحَ مَسْـرُورًا بِطَيْبَـةَ[١] رَاضِيَـا[٢]

---

(١) طَيْبة – بالفتح –: المدينة النَّبويَّة.

(٢) «الحماسة المغربية» (١/ ٩٧– ٩٨).

التَّكَيُّفُ فِي المَدِيْنَةِ

أُوَدِّعُ فِـيْكَ صَفْـوَ العَـيْشِ حَتَّـى   تَعُـودَ، فَيَـرجَعُ الأُنْـسُ المُقِيْـمُ[1]

وَاجَـهَ المُهَاجِـرُونَ إِلَـى المَدِيْنَـةِ صُعُوبَـةَ اخْتِـلافِ المُنَاخِ؛ فَالمَدِيْنَةُ بَلْدَةٌ زِرَاعِيَّةٌ، تُغَطِّي أَرَاضِيْهَا بَسَـاتِيْنُ النَّخِيْلِ، وَنِسْـبَةُ الرُّطُوبَةِ فِيْهَا أَعْلَى مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ أُصِيْبَ العَدِيْدُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ بِالحُمَّى، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلالٌ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ[2]، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ شَكْوَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**»[3].

وعنها - أيضًا- قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وُعِكَ[4] أَبُو بَكْرٍ وَبِلالٌ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟، وَيَا بِلالُ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُـلُّ امْـرِئٍ مُصَبَّـحٌ فِـي أَهْـلِهِ   وَالْـمَوْتُ أَدْنَـى مِـنْ شِـرَاكِ[5] نَعْلِـهِ

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي الفَضْلِ المِيْكَالِيِّ» (١٧٠).

(٢) وَبِيئَة أَيْ: وَخِيْمَةٌ تَكْثُرُ بِهَا الأَمْرَاضُ، لاَسِيَّمَا لِلْغُرَبَاءِ الَّذِيْنَ لَيْسُوا مُسْتَوْطِنِيْهَا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٢٦)، وَمُسْلِمٌ (١٣٧٦).

(٤) وُعِكَ: أَصَابَتْهُ الحُمَّى.

(٥) الشِّرَاكُ -بِالكَسْرِ- سَيْرُ النَّعْلِ.

وَكَانَ بِلالٌ إِذَا أَقْلَعَتِ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ[١]، وَيَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ[٢] وَجَلِيلُ؟[٣]

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ؟[٤] وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟[٥][٦]

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُه، فَقَالَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا، فَاجْعَلْهُ فِي الْجُحْفَةِ**»[٧].

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟[٨].

وَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دُعَاءَ نَبِيِّهِ، فَنَقَلَ وَبَاءَ المَدِينَةِ إِلَى الْجُحْفَةِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ - وَهِيَ الْجُحْفَةُ - فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا**»[٩].

(١) عَقِيرَتَهُ أَيْ: صَوْتَهُ.

(٢) الإِذْخِر- بِكَسْرِ الهَمْزَة والخَاء- حَشِيْشٌ طَيِّبُ الرِّيحِ.

(٣) الجَلِيلُ: نَبْتٌ يَكُونُ بِمَكَّةَ طَيِّبُ الرِّيحِ.

(٤) مَجَنَّة : مَوْضِع.

(٥) شَامَةٌ وَطَفِيلٌ: جَبَلَانِ.

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٨٩).

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩١٨).

(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩١٨).

(٩) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩١٨).

يَـا شَـوْقَ طَـيْـبَةَ والبُشْـرَى تُظَلِّلُهَـا مَـا مِثْـلُ مَـا ارْتَقَبَـتْ فِـي الدَّهْرِ مُرْتَقَبُ
بَـدْرٌ بَـدَا مِـنَ ثَـنِيَّاتِ الـوَدَاعِ[1] لَهَـا إِلاَّ لَـهُ لاَ يَلِيْـقُ الشَّـوْقُ وَالطَّـرَبُ
كَـأَنَّ تُـرْبَتَـهَا تِـبْرًا[2] قَـدْ انْـقَلَبَتْ كَأَنَّمَـا فِـي ثَرَاهَـا أَمْسَـتِ الشُّـهُبُ[3]

---

(١) الثَّنِيَّة: الطَّرِيقُ المُنْعَطِفُ عِنْدَ الجَبَلِ، وثَنِيَّةُ الوداعِ: هِيَ جهَةُ المُسَافِرُ إِلَى تَبُوكَ، أَوِ القَادِمِ مِنْ تَبُوكَ.
(٢) التِّبْر – بِالكَسْرِ – الذَّهَب.
(٣) «مُختَارَاتٌ مِنْ أَجْمَل الشِّعْرِ في مَدْحِ الرَّسُولِ» (٨٤).

طَابَتِ المَدِيْنَةُ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ

لَـوْلاَ انْتِـقَالُ مُحَمَّـدٍ عَـنْ قَـوْمِهِ   مَـا شَـارَكَتْ فِـي الفَخْـرِ مَكَّـةَ يَثْرِبُ[١]

هَا هِيَ المَدِيْنَةُ قَدْ طَابَتْ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمَّاهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَابَةَ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ**»[٢].

وَعَـنْ فَاطِمَـةَ بِنْـتِ قَيْـسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَـنْ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ فِـي قِصَّـةِ حَدِيْـثِ الجَسَّاسَـةِ، وَفِـي آخِـرِهِ: قَـالَ - أَيِ الدَّجَـالُ -: «وَإِنِّـي مُخْبِرُكُـمْ عَنِّـي، إِنِّـي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا، اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا[٣]، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ -: «**هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ**»[٤].

إذا لـم أطـبْ فـي طيـة عِنْـدِ طيـبٍ   بِـهِ طيـبةُ طابَـتْ فأيـنَ أطيـبُ

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ حَيُّوسٍ» (١٤٩).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٨٥).

(٣) صَلْتًا أَيْ: مَسْلُولاً.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

وَمِنْ جَمِيْلِ مَا قِيْلَ عَلَى لِسَانِ المَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ:

أَنَـا الجَمِيْلَـةُ، مَـنْ فِـي الحُسْـنِ يَقْرَبُنِي ... وَأَشْرَفُ الخَلْقِ وَسْطَ القَلْبِ قَدْ نَزَلاَ؟!

لَـهُ بِأَرْضِـي أَفْنَـانٌ مُبَـارَكَةٌ ... وَمِـنْ زُلاَلِ يَنَابِيعِـي قَـدِ انْـتَهَلاَ

يَـضُوعُ وَجْهِـي حُسْنًا لاَ حُـدُودَ لَـهُ ... وَحَـسْبُ وَجْهِـي أَضْحَـى لِلسَّـنَا حُلَلَا

بِنَاءُ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ:

فَـبُورِكَ مِـنْ سَـفْحٍ، وَبُـورِكَ مَسْجِدٌ ... يَلُـوذُ بِـهِ أَعْرَابُـهَا وَحُضُورُهَـا[1]

قَالَ عُرْوَةُ فِي حَدِيْثِهِ الطَّوِيْلِ: ... ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاس، حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا[2] لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ، غُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «**هَذَا -إِنْ شَاءَ اللهُ - الْمَنْزِلُ**».

ثُمَّ دَعَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْغُلاَمَيْنِ، فَسَـاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ؛ لِيَتَّخِذَهُ مَسْـجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُـولَ اللهِ،فَأَبَى رَسُـولُ اللهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً، حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ - وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ -:

هَـذَا الْحِـمَالُ لَا حِمَـالَ خَيْـبَرْ ... هَـذَا أَبَـرُّ رَبَّـنَـا وَأَطْـهَـرْ[3]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٦٩).

(٢) المِرْبَدُ -بِالكَسْرِ- المَوْضِعُ الَّذِي يُجَفَّفُ فِيهِ التَّمْرُ.

(٣) أَيْ: هَذَا المَحْمُولُ مِنَ اللَّبِنِ أَبَرُّ عِنْدَ اللهِ وَأَدْوَمُ نَفْعًا، وَأَشَدُّ طَهَارَةً مِمَّا يُحْمَلُ مِنْ خَيْبَرَ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّبِيْبِ.

وَيَقُولُ:

اللـهُمَّ إِنَّ الْأَجْـرَ أَجْـرُ الْآخِـرَهْ فَـارْحَمِ الْأَنْصَـارَ وَالْمُـهَاجِرَهْ(١)

وَعِنْدَ أَنَسٍ -بِلَفْظٍ آخَرَ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «**يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي**(٢) **بِحَائِطِكُمْ هَذَا**».

قَالُوا: لَا، وَاللهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ.

قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: كَانَتْ فِيهِ نَخْلٌ، وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَخِرَبٌ(٣)، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، وَبِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، قَالَ: فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ(٤) حِجَارَةً.

قَالَ: قَالَ: جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ(٥)، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ يَقُولُونَ:

اللـهُمَّ إِنَّـهُ لَا خَيْـرَ إِلَّا خَيْـرُ الْآخِـرَهْ فَانْصُـرِ الْأَنْصَـارَ وَالْمُـهَاجِرَهْ(٦)

صِفَةُ مَسْجِدِ النبيِّ ﷺ:

وهـــناكَ أَزْكـــى مـــسجدٍ أزكى البريَّـةِ قـد مشى لَـهْ

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان الْمَسْجِدُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٦٠).

(٢) ثَامِنُونِي أَيْ: قَرِّروا مَعِيَ ثَمَنَهُ، وَبِيْعُونِيْهِ بِالثَّمَنِ.

(٣) خِرَب: مَا تَخَرَّبَ مِنَ البِنَاءِ.

(٤) العِضَادَة -بِالكَسْرِ- جَانِبُ البَاب.

(٥) يَرْتَجِزُونَ: يُنْشِدُونَ الأَرَاجِيزَ تَنْشِيطًا لِنُفُوسِهِمْ؛ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِمُ العَمَلُ.

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧١٧)، ومُسْلِمٌ (٥٢٤).

ﷺ مَبْنِيًّا باللَّبنِ وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ.

فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أبو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ وَبَنَاهُ عَلَى بنيَانِهِ في عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بالَّلبنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمُدُهُ خَشَبًّا ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ(١) وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بالسَّاجِ(٢)(٣).

---

(١) السَاجُ: نوعٌ من الخَشَبِ يُؤتَى به من الهِنْدِ.

وفعُلُ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يقتضي الزخرفةَ إنما هو قامَ بتحسينِ المسجدِ فَقَطْ، وإلا فزخرفَةُ المساجِدِ وتشييدُها والتباهي بها قد أتى النهيُ عنه من قِبَلِ النبيِّ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ.

ويكفينا قولُ النبيِّ ﷺ فيما رواه أبو داودَ (٤٤٨)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ: «**ما أُمِرْتُ بتشييدِ المساجِدِ**» قال ابنُ عباسٍ: لتُزخرِفُنَّها كما زَخْرَفَتْ اليهودُ والنَّصارى.

(٢) رواهُ البخاريُّ (٤٤٦).

(٣) العرصةُ: أي الساحةُ، أي أقام بساحةِ المعركةِ.

المُؤَاخَاةُ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ

فَيَا عَيْنُ، قَرِّي بِالمُنَى بَيْنَ أُخْوَةٍ أَصَبْتُ بِهِمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ذُخْرَا(١)

لَقَدْ وَضَعَتِ الفَتْرَةُ الأُوْلَى مِنْ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المَدِيْنَةِ كُلًّا مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ أَمَامَ مَسْئُولِيَّةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الأُخُوَّةُ أَقْوَى فِي حَقِيْقَتِهَا مِنْ أُخُوَّةِ الرَّحِمِ، وَكَانَ الأَنْصَارُ عَلَى مُسْتَوىً عَالٍ مِنَ المَسْئُولِيَّةِ، فَوَاسَوْا إِخْوَانَهُمُ المُهَاجِرِيْنَ، وَآثَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا.

لَقَدْ أحرز الأنصارُ مجدًا مؤثَّلًا وفازوا بِخَصْلِ السَّبق والمنزل الأسْنَى
دنوا وأفادوا واستفادوا وأَقْبلوا على حِفْظِ ما يَبْقَى وجادوا بمَا يَفْنَى
وماذا يَقُولُ النَّاسُ في وصفِ مَعْشَرٍ عَلَيْهِم رسُول الله بالْخَيْرِ قَدْ أثنى(٢)

قُطُوفٌ مِنَ المُؤَاخَاةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ. قَالَ: لاَ. فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمَئُونَةَ(٣) وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ. قَالُوا: «**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**»(٤).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه وَآخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ -وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ-، فَقَالَ سَعْدٌ:

(١) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْمُ اليَازِجِيِّ» (٥٤).

(٢) «المقتفى من سيرة المصطفى» (٧١).

(٣) أَيْ: اكْفُونَا تَعَبَ القِيَامِ بِتَأْبِيرِ النَّخْلِ، وَسُقْيِهَا، وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صَلاحُهَا.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٨٢).

قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تزَوَّجْتَهَا.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ. فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ[١] شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ[٢]، فَلَمْ؛ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ[٣] مِنْ صُفْرَةٍ[٤]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**»[٥]، قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «**مَا سُقْتَ فِيهَا؟**» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ -أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ- فَقَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[٦].

آخى ابنُ عَبْدِ اللهِ بَيْنَ مَعَاشِرٍ ... يَتَنَاحَرُونَ تَنَاحُرَ الأَخْيَافِ
لَانَتْ قَنَاتُهُمو لِدَعْوَتِهِ وَمَا ... لَانَتْ قَنَاتُهُمُو لِغَمْزِ ثقافِ
وَلَقَدْ يَرُوضُ الأُسدَ رائضُهَا وَلَا ... يَتَغَيَّر الطَّبْعُ الغَلِيظُ الجَافِي
هَذا هُو الإِعْجَازُ لا بَحْرٌ ولا ... بَدْرٌ قَدِ انشقَّا إلى أنْصَافِ
آي مِنَ الذِّكْرِ الحكِيمِ أتى بِهَا ... فَإِذَا القلوبُ تلينُ بَعْدَ جَفَافِ[٧]

وَلَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مُنْفَرِدًا فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، بَلْ كَانَ هَذَا شَأْنَ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ، حَتَّى وَصَلَتِ المُؤَاخَاةُ إِلَى دَرَجَةِ أَنْ يَتَوَارَثَ المُتَآخِيَانِ،

---

(١) أَفْضَلَ أَيْ: رَبِحَ.

(٢) الأَقِط: اللَّبَنُ المُحَمضُ يُجَمَّدُ حَتَّى يَسْتَحْجِرَ، وَيُطْبَخَ أَوْ يُطْبَخ بِهِ.

(٣) وَضَرٌ أَيْ: لَطْخٌ.

(٤) أَيْ صُفْرَةُ خَلُوقٍ، وَالخَلُوقُ: طِيبٌ يُصنَعُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ.

(٥) مَهْيَمْ: كَلِمَة اسْتِفْهَامٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى السُّكُونِ، مَعْنَاهَا: مَا هَذَا؟، وَهِيَ كَلِمَةٍ لِأَهْلِ اليَمَنِ خَاصَّةً.

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٨١) وَمُسْلِمٌ (١٤٢٧).

(٧) مختارات من أجمل الشعر (٤٤).

ثُمَّ نُسِخَ هَذَا التَّوَارُثُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٦].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا نِصْفُهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَنِصْفُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، آخَى بَيْنَهُمْ عَلَى الْمُوَاسَاةِ، يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ إِلَى حِينِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٦]. رَدَّ التَّوَارُثَ إِلَى الرَّحِمِ دُونَ عَقْدِ الْأُخُوَّةِ»[١].

فَأَصْبَحُوا فِي إِخَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ ... عَلَى الزَّمَانِ وَعِزٍّ غَيْرِ مُنْهَدِمِ
فَاسْتَحْكَمَ الدِّيْنِ، وَاشْتَدَّتِ دَعَائِمُهُ ... حَتَّى غَدَا وَاضِحَ العِرْنِينِ[٢] ذَا شَمَمِ[٣]
وَأَصْبَحَ النَّاسُ إِخْوَانًا، وَعَمَّهُمُ ... فَضْلٌ مِنَ اللهِ أَحْيَاهُمْ مِنَ العَدَمِ[٤]

دخولُ النبيِّ ﷺ بعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

صِدِّيقَةٌ وابْنَةُ الصِّدِّيْقِ لَيْسَ لَهَا ... مِنْ مُشْبِهٍ في الصَّبَايَا في مَزَايَاهَا

فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنا بنتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا في بني الْحَارِثِ بني خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعْرِي[٥] فَوَفَى

(١) «نِعْمَةُ الْأُخُوَّة»، لِلكَاتِب (٥).

(٢) العِرْنِينِ -بِالكَسْرِ- الأَنْفُ كُلَّه، أَوْ مَا صَلُبَ مِنْ عَظْمِهِ.

(٣) الشَّمَم -بِفَتْحَتَيْنِ- ارْتِفَاع قَصَبَةَ الأَنْفِ.

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(١٢/ ٦٠٦).

(٥) فوفَى أي: كَثُرَ. قال ابنُ حَجَرٍ في «الفتحِ» ٧/ ٢٦٥: وفي الكلامِ حَذْفٌ تقديرُهُ ثم فَصَلْتُ من الوعْكِ فتربَّى شعري فَكَثُرَ، وقولها: (جميمةً) بالجيم مُصَغَّرُ الجُمةِ بالضَّمِّ وهي مجمعُ شَعْرِ الناصيةِ، ويُقالُ للشعرِ إذا سَقَطَ عن المنكبين جُمَّةٌ، وإذا كان إلى شَحْمَةِ الأُذُنِ وَفْرَةٌ. اهـ

جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أَمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ، حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ،فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ(١) فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي(٢) إِلاَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنتُ تِسْعِ سِنِينَ(٣).

أَتَى بِصُورَتِهَا جِبْرِيلُ بَاهِرَةً ... فِي قِطْعَةٍ مِنْ حَرِيرٍ طَابَ مَرْآهَا
حَلِيْلَةٌ لِرَسُولِ اللهِ مُؤْمِنَةٌ ... زَكِيَّةٌ بِسُلَافِ الوَحْيِ غَذَّاهَا

الإِذْنُ بِالجِهَادِ:

أَفَيَطْمَعُ النُّوَّامُ مِلْءَ عُيُونِهِمْ ... أَنْ يُمْلِكُوا الدُّنْيَا بِغَيْرِ جِهَادِ؟!(٤)

لَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالمَدِيْنَةِ بَيْنَ أَظْهُرِ الأَنْصَارِ، وَتَكَفَّلُوا بِنَصْرِهِ، وَمَنْعِهِ مِنَ الأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ، رَمَتْهُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَتَعَرَّضُوا لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

حِيْنَهَا أَذِنَ اللهُ ﷻ لِلمُسْلِمِينَ فِي الجِهَادِ فِي سُورَةِ الحَجِّ -وَهِيَ مَكِّيَّةٌ- فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحَجُّ: ٣٩].

(١) قال ابنُ حَجرٍ: (على خيرِ طائرٍ) أي على خيرِ حَظٍّ ونصيبٍ.
(٢) قال ابنُ حَجَرٍ: (فَلَمْ يَرُعْنِي) بضَمِّ الراءِ وسكونِ العَيْنِ أي لم يُفْزِعْني شيءٌ إلا دخولُهُ عليَّ.
(٣) رواهُ البخاريُّ (٣٨٩٤)، ومسلمٌ (١٤٢٢).
(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٨٣٧).

ثُمَّ لَمَا صَارُوا إِلَى المَدِيْنَةِ، وَصَارَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ وَعَضُدٌ، كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجِهَادَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

[البَقَرَةُ: ٢١٦]

وَلَمَّا نَزَلَ الإِذْنُ بِالجِهَادِ، رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبْسُطَ سَيْطَرَتَهُ عَلَى الطَّرِيْقِ الرَّئِيْسِ الَّذِي تَسْلُكُهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ البُعُوثَ وَاحِدَةٌ تِلْوَ الأُخْرَى إِلَى هَذَا الطَّرِيْقِ.

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:

وَإِذَا رَأَتْكَ الشُّهْبُ مُزْمِعَ غَزْوَةٍ ... وَدَّتْ جَمِيْعًا أَنَّهَا لَكَ جَحْفَلُ[1]

كَانَتْ أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هِيَ غَزْوَةُ الأَبْوَاءِ.

قَالَ مُحَمَّد بْنُ إِسْحَاقَ: «أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ الأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطَ، ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ»[2].

وَيَذْكُرُ أَهْلَ السِّيَرِ: أَنَّ تِلْكَ الغَزَوَاتِ الثَّلَاثَ كَانَتْ أَشْبَهَ بِالدَّوْرِيَّاتِ الاسْتِطْلَاعِيَّةِ بَيْنَ يَدَي الحَرْبِ.

هَذَا وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ الجِهَادَ عَلَى ... رَسُولِهِ لِيَبُثَّ الدِّينَ فِي الأُمَمِ
فَكَانَ أَوَّلُ غَزْوٍ سَارَ فِيْهِ إِلَى ... وَدَّانَ ثُمَّ أَتَى مِنْ غَيْرِ مُصْطَدَمِ
وَغَزْوَةٌ سَارَ فِيْهَا المُصْطَفَى قُدُمًا ... إِلَى بُوَاطٍ بِجَمْعٍ سَاطِعِ القَتَمِ
وَمِثْلَهَا يَمَّمَت ذَاتَ العُشَيْرَةِ فِي ... جَيْشٍ لُهَامٍ كَمَوجِ البَحْرِ مُلتَطِمِ[3]

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٢/ ٣)، وَالجَحْفَلُ: الجَيْشُ الكَبِيْرِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٤٩).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٣/ ٦٠٦)، وَالقَتَم -بِفَتْحَتَيْنِ-: الغُبَار، وَجَيْشٍ لُهَام: كَثِيْرِ يَلْتَهِمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَغْتَمِرُ مَنْ دَخَلَ فِيْهِ (أَيْ: يُغَيِّبُهُ وَيَسْتَفْرِقُهُ).

تَحْوِيلُ القِبْلَةِ:

وَحُوِّلَتْ قِبْلَةُ الإِسْلَامِ وَقْتَئِذٍ عَنْ وِجْهَةِ القُدْسِ نَحْوَ البَيْتِ ذِي العِظَمِ(١)

كَانَتْ القِبْلَةُ أَوَّلَ الأَمْرِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى، فَأَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البَقَرَةُ: ١٤٤].

فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ - مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا-، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ. فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَه، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ! فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ. وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ. فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ(٢).

وَأَمَّا أَهْلُ قُبَاءٍ فَلَمْ يَعْلَمُوا بِتَحْوِيلِ القِبْلَةِ إِلَّا فِي صَلَاةِ الفَجْرِ.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٤/ ٦٠٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠).

الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ»[١].

مُـسْتَقْبِلَ الكَعْبَـةِ العُظْمَـى لَـهُ طَـرَبٌ   حَيْـثُ السُّـتُورُ وَتَمْجِيْـدٌ وَتَطْمِيْـرُ[٢]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٩٢) وَمُسْلِمٌ (١١٢٦).

(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ المَصْرِيِّ» (٧٣٣) وَالتَّطْمِيْرُ: إِرْخَاءُ السِّتْرِ.

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى[١]

هَلْ تَسَاءَلُو الشَّرْقَ عَنْ بَدْرٍ وَمَا صَنَعَتْ عَزَائِمُ الْجُنْدِ فِي الْهَيْجَا بِوَادِينَا؟!

هِيَ الوَاقِعَةُ العَظِيْمَةُ الَّتِي فَرَّقَ اللهُ فِيْهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَأَعَزَّ الإِسْلاَمَ، وَدَفَعَ الكُفْرَ وَأَهْلَه، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ عِيرًا[٢] مُقْبِلَةً مِنَ الشَّامِ صُحْبَةَ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ، فِي ثَلاثِيْنَ أَوْ أَرْبَعِيْنَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَهِيَ عِيْرٌ عَظِيْمَةٌ، تَحْمِلُ أَمْوَالًا جَزِيْلَةً لِقُرَيْشٍ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ لِلخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا بِالنُّهُوضِ، وَلَمْ يَحْتَفِلْ لَهَا احْتِفَالًا كَثِيْرًا، إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فِي ثَلاثِمَائَةٍ، وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِيْنَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَلَمَّا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ[٣] رَدَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى المَدِيْنَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ الخَيْلِ سِوَى فَرَسِ الزُّبَيْرِ،وَفَرَسِ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ الكِنْدِيِّ، وَمِنَ الإِبِلِ سَبْعُونَ بَعِيْرًا، يَعْتَقِبُ الرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَأَكْثَرُ عَلَى البَعِيْرِ الوَاحِدِ»[٤].

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ: كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ[٥] رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ عُقْبَةُ[٦]

---

(١) بَدْرٌ تَبْعَدُ عَنِ المدينةِ بنحو (١٦٠) كيلو مترًا.

(٢) العِيْر -بالكَسْرِ- الإِبْلُ تَحْمِلُ المِيْرَةَ (أَيِ: الطَّعَامَ وَالذَّخِيْرَةَ)، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى كُلِّ قَافِلَةٍ.

(٣) الرَّوْحَاء: قَرِيْبَة مِنَ المَدِيْنَةِ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ؛لأَنَّها ذَات رَاحَةٍ.

(٤) «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» (٨٩-٩٠).

(٥) الزَّمِيْل: الصَّاحِبُ الَّذِي يَرْكَبُ مَعَك عَلَى بَعِيْرٍ وَاحِدٍ.

(٦) العُقْبَة -بِالضَّمِّ- النَّوْبَة.

رَسُولُ اللهِ ﷺ فقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، - يظلُّ راكبًا - فَقَالَ ﷺ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا**»(١).

أبو سفيان يرسل لقريش يطلب منها النفير:

وَأَمَّا أبو سفيان، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَصْدَهُ إِيَّاهُ فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرُو إِلَى مَكَّةَ مُسْتَصْرِخًا لِقُرَيْشٍ بِالنَّفِيرِ إِلَى عِيرِهِمْ؛ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَبَلَغَ الصَّرِيخُ أَهْلَ مَكَّةَ، فَنَهَضُوا مُسْرِعِينَ وَأَوْعَبُوا فِي الْخُرُوجِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ أَحَدٌ سِوَى أبي لهب، فَإِنَّهُ عَوَّضَ عَنْهُ رَجُلًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَحَشَدُوا فِيمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ أَحَدٌ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ إِلَّا بَنِي عَدِيٍّ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٤٧].

وَأَقْبَلُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، تُحَادُّهُ وَتُحَادُّ رَسُولَهُ**»، وَجَاءُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، وَعَلَى حَمِيَّةٍ، وَغَضَبٍ، وَحَنَقٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، لِمَا يُرِيدُونَ مِنْ أَخْذِ عِيرِهِمْ، وَقَتْلِ مَنْ فِيهَا، وَقَدْ أَصَابُوا بِالْأَمْسِ عَمْرُو بْنَ الحَضْرَمِي، وَالْعِيرَ الَّتِي كَانَتْ مَعَه، فَجَمَعَهُمُ اللهُ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الْأَنْفَالُ: ٤٢].

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤١١و٤١٨ و٤٢٢و٤٢٤)، وَالحَاكِمُ (٢٠-٣٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٢٥٧)، وَشَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد» (٨١٣).

أرسل أبو سفيان لقريش يطلب منها الرجوع:

فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بدرٍ وَخَفَضَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلحِقَ بِسَاحِلِ البَحْرِ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ نَجَا، وَأَحْرَزَ العِيْرَ، كَتَبَ إِلَى قُرَيْشٍ: أَنِ ارْجِعُوا؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُم لِتُحْرِزُوا عِيْرَكُمْ، فَأَتَاهُمُ الخَبَرُ وَهُمْ بِالجُحْفَةِ، فَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَقْدَمَ بَدْرًا، فَنُقِيمَ بِهَا، وَنُطْعِمَ مِنْ حَضَرَنَا مِنَ العَرَبِ، وَتَخَافُنَا العَرَبُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَشَارَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ عَلَيْهِم بِالرُّجُوعِ، فَعَصَوْهُ، فَرَجَعَ هُوَ وَبَنُو زُهْرَةَ، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا زُهْرِيٌّ، فَاغْتَبطَتْ بَنُو زُهْرَةَ بَعْدُ بِرَأْيِ الأَخْنَسِ؛ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مُطَاعًا مُعَظَّمًا»[1].

سير جيش المسلمين إلى بدر:

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهَا فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ: رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ إِلَيْهَا، وَأَمَّا الْمَوْلَى فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَاكَ ضَرَبُوهُ حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**كَمِ الْقَوْمُ؟**»، فَقَالَ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنْ يُخْبِرَهُمْ كَمْ هُمْ، فَأَبَى، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ؟**»، فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ، وَتَبِعَهَا**».

ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ،فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ[2]

---

(١) «زَادُ المِعَادِ» (٣/ ١٥٤) بِاخْتِصَارٍ.

(٢) الْحَجَف: التُّرُوسُ مِنْ جُلُودٍ، وَاحِدَتُهَا: حَجَفَةٌ.

نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ ﷻ وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الفِئَةُ فَلا تُعْبَدْ**»، قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا أَنْ دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَلِيُّ، نَادِ لِي حَمْزَةَ وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ وَمَاذا يَقُولُ لَهُمْ؟**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنْ يَكُ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ»، فَجَاءَ حَمْزَة، فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ، لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ، يَا قَوْمُ، اعْصِبُوهَا اللَّوْمَ بِرَأْسِي وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ، فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا، واللهِ لَوْ غَيْرُكَ قَالَ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ[١]، قَدْ مُلِئَتْ رِئَتُكَ وَجَوْفُكَ رُعْبًا، فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ[٢]، سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا أَجْبَنُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ، فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**».

---

(١) لَأَعْضَضْتُهُ أَيْ: لَقُلْتُ لَهُ: اعْضُضْ ذَكَرَك.

(٢) الاسْت: العَجزُ وَالمُؤَخِّرَة، وَمُصَفِّرَ اسْتِهِ: قِيلَ مِنَ الصَّفِيرِ أَيْ: ضَرَّاطَ نَسَبَهُ إِلَى الجُبْنِ وَالنَحورِ، وَقِيلَ مِنَ الصُّفْرَةِ، يَعْنُونَ أَنَّهُ مَأْبُونٌ يُزَعْفِرُ اسْتَهُ.

فَقَتَلَ اللهُ -تَعَالَى - عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَي رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ.

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا -وَاللهِ- مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ[١]، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ[٢]، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ. فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: «**اسْكُتْ لَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**».

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأُسِرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ»[٣].

«ثُمَّ حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ، وَمُنَاشَدَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ الصِّدِّيقُ، وَقَالَ: بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ»[٤].

يُشِيرُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ**

---

(١) الْأَجْلَح: الَّذِي انْحَسَرَ الشَّعْر عَنْ جَانِبَي رَأْسِهِ.

(٢) الْأَبْلَق: الَّذِي بِهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١/ ٣٠-٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٦٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيح أَبِي دَاوُدَ» (٢٣٣١).

(٤) «زَادُ الْمِعَادِ» (٣/ ١٨٠-١٨١) بِاخْتِصَارٍ.

تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القَمَر: ٤٥][(١)].

مقتلُ عدو الله أبي جهل:

جَاءَ نَصْرُ اللهِ ﷻ، وَأَنْزَلَ اللهُ جُنْدَهُ، وَأَيَّدَ رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِيْنَ، وَمَنَحَهُمْ أَكْتَافَ المُشْـرِكِيْنَ أَسْـرًا وَقَتْلًا، وَقُتِلَ زُعَمَاءُ المُشْـرِكِيْنَ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، قَتَلَهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وَهُمَا غُلَامَانِ لاَ يَعْرِفَانِهِ، حَتَّى دَلَّهُمَا عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَعَـنْ عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ بْـنِ عَـوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّـهُ قَـالَ: بَيْنَـا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟.

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُـبُّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا.

قَـالَ: فَتَعَجَّبْـتُ لِذَلِـكَ، فَغَمَزَنِـي الْآخَـرُ، فَقَـالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَـبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟، هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ.

فَقَـالَ: «**أَيُّكُمَـا قَتَلَـهُ؟**» فَقَـالَ كُلُّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَـا: أَنَـا قَتَلْتُـهُ، فَقَـالَ: «**هَـلْ**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٥٣).

مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ إِلَى السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ: مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ»[١].

الزبيرُ يَقْتُلُ عُبيدةَ بنَ سعيدٍ بنِ العاصِ:

مطاعينٌ في الهيجا مغاويرُ في الوغى   وفائقُهُمْ معلومةٌ في الملاحمِ

عن الزُّبَيْرِ قال: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بنَ سَعِيدِ بنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ[٢] لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أبو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَقَالَ: أَنا أبو ذاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ[٣] فَطَعَنْتُهُ في عَيْنِهِ فَمَاتَ[٤].

فَمَا انصرفت حَتَّى أفاءت رماحهم   لأعدائهم في الْحَرْبِ سمًا مقشبَا

مغاوير لا تنمى طريدة خيلهم   إذْ أَوهن الذعر الجبان المركبا

وقال آخر:

وَيَمَّمَ المُصطَفى بَدْرًا فَلاحَ لَهُ   بَدرٌ مِنَ النَّصْرِ جَلَّى ظُلْمَةَ الوَخَمِ

يَومٌ تَبَسَّمَ فِيْهِ الدِّيْنُ وَانهَمَلَتْ   عَلَى الضَّلَالِ عُيُونُ الشِّرْكِ بِالسَّجَمِ[٥][٦]

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٨٨)، وَمُسْلِمٌ (١٧٥٢).

(٢) مدجج: أي مغطى بالسلاحِ ولا يظهرُ منه شيءٌ.

(٣) العنزةُ: الحَرَبةُ الصغيرةُ.

(٤) رواهُ البخاريُّ (٣٩٩٨).

(٥) السَّجَم: مَاءُ السَّمَاءِ، عَلَى الاسْتِعَارَةِ.

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٣/ ٦٠٦).

مَقتَلُ عَدُوِّ اللَّهِ أُمَيَّةَ بنُ خَلَفٍ:

فمـا أحسـنت حـق الوفـاء مسـرتي ... ولكـن عسـاها أحسـنت عنـدي العذرا

عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بنُ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِهِ[١] بِالْمَدِينَةِ فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لاَ أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبْنِي باسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَاتَبْتُهُ عبدُ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إلى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأَبْصَرَهُ بِلاَلٌ فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحِقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ فَبَرَكَ فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَه فَتَخَلَّلُوهُ بالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوُ وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ[٢].

حكاية قتلى المشركين:

لـو ينطقـون لقالـوا كُلُّنـا جِيَـفٌ ... فـي ظلمـةِ القبـرِ لا يرجـون إصباحـا

أَمَرَ -رسول الله ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخبثٍ - وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيالٍ-، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ براحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَى الرَّكِيِّ[٣] فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يا فُلاَنُ بن

(١) الصاغيةُ: بصادٍ مهملةٍ وغينٍ معجمةٍ خاصَّةُ الرجُلِ، مأخوذٌ من صاغَ إليه إذا مالَ، قال الأصمعيُّ: صاغيةُ الرجُلِ كُلُّ ما يميلُ إليه، ويُطْلَقُ على الأهلِ والمالِ. ا.ه «فتحُ الباري» ٤/ ٥٦١.

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٣٠١).

(٣) أي: البئرُ.

فُلَانٍ، وَيَا فُلانُ بن فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُم أَنكُمْ أَطَعْتُمْ الله وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنا رَبُّنَا حقًّا، فَهَلَ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْ رَبُّكُمْ حَقًّا» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا رَوْحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**»، قَالَ قَتادَةُ: أَحْيَاهُمْ الله حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبيخًا وَتَصْغِيرًا وَنقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا[1].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَبْلَى رَسُولَهُ ... بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ ... فَلَاقَوْا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
ثَوَى مِنْهُمُ فِي بِئْرِ بَدْرٍ عِصَابَةٌ ... ذَوُو نَجَدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَحْلِ[2]
فَأَضْحَوْا لَدَى دَارِ الْجَحِيمِ بِمَنْزِلٍ ... عَنِ البَغْيِ وَالْعُدْوَانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ[3]

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه:

قضى يومَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِي مَعْشَرًا ... بَغَوا وسبيلُ البغي بالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ عُرِيَتْ بيضٌ خِفَافٌ كأَنَّها ... مَقَابيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيكَ شَاهِرُ
فَأَمْسَوا وقُودَ النَّار في مُسْتَقَرِّهَا ... وَكُلُّ كَفُورٍ في جَهَنَّمَ صَائِرُ
وَكَانَ رسولُ الله قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا ... فَوَلَّوا وَقَالُوا: إِنَّما أنتَ سَاحِرُ
لأَمْرٍ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ ... وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ زاجِرُ[4]

---

(١) رواه البُخَاريُّ (٣٩٧٦)، ومسلمٌ (٢٨٧٤).
(٢) المَحْل: الجُوعُ الشَّدِيْدِ وَشِدَّة القَحطِ.
(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيّ» (١١/ ١٩٨).
(٤) «مجموعة القصائد الزهديات» (٢/ ٣٩٣).

قِتَالُ المَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ

كَتَائِبُ اللهِ تَرْعَاهَا مَلائِكَةٌ   تَسِيرُ مَا بَيْنَ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ

وَمِنَ الثَّابِتِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَدَّ المُسْلِمِينَ بِالمَلائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٢٣-١٢٦].

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأَنْفَالُ: ٩-١٠].

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأَنْفَالُ: ١٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:

«اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ

الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ»، فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴿٩﴾﴾ [الأَنْفَالُ: ٩]. فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلاَئِكَةِ .

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ [١]، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ . فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : «**صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ** » . فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ [٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَفَقَ[٣] رَسُولُ اللهِ ﷺ خَفْقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ[٤]، ثُمَّ انْتَبَهَ، فَقَالَ: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَةٍ**[٥]**، آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسِهِ، يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ**[٦]**، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ وَعِدَتُهُ**»[٧].

---

(١) حَيْزُوم: اسْمُ فَرَسِ المَلَكِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٦٣).

(٣) خَفَقَ خَفْقَةً أَيْ: نَامَ نَوْمًا يَسِيرًا.

(٤) الْعَرِيش: خَيْمَةٌ تُتَّخَذ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ.

(٥) الاعْتِجَار بِالعَمَامَة: هُوَ أَنْ تَلُفَّهَا عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرُدَّ طَرَفَهَا عَلَى وَجْهِهِ، وَلَا يَعْمَل مِنْهَا شَيْئًا تَحْتَ ذَقْنِهِ.

(٦) النَّقْعُ: المَاءُ المُتَجَمِّعُ فِي الغَدِيرِ.

(٧) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْن إِسْحَاق، انْظُرْ: «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» (٣/ ٢٨٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رحمه الله فِي =

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ ... جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ[١]

وَقَالَ أَحْمَدُ مُحَرَّم رَحِمَهُ اللهُ:

مَضَى البَأْسُ بَدْرِيَّ المَشَاهِدِ تَرْتَمِي ... أَعَاصِيْرُهُ نَارًا، وَتَغْلِي مَرَاجِلُهْ[٢]

وَضَجَّ رَسُولُ اللهِ يَدْعُو إِلَهَهُ ... فَيَالَكَ مِنْ جُنْدٍ طَوَى الجَوَّ جَافِلُهْ[٣]

تَنَزَّلَ يُزْجِي النَّصْرَ تَنْسَابُ مِنْ عَلٍ ... شَآبِيبُهُ[٤] نُورًا، وَيَنْهَلُّ وَابِلُهْ[٥]

أَحَيْزُومُ أَقْدِمْ، إِنَّهُ الجِدُّ لَنْ يَرَى ... سِوَاهُ عَدُوٌّ كَاذِبُ البَأْسِ هَازِلُهْ

هُوَ اللهُ يَحْمِي دِيْنَهُ وَيُعِزُّهُ ... فَمَنْ ذَا يُنَاوِيهِ؟، وَمَنْ ذَا يُصَاوِلُهْ؟

تَمَزَّقَ جَيْشُ الكُفْرِ، وَانْحَلَّ عِقْدُهُ ... فَخَابَتْ أَمَانِيْهِ، وَأَعْيَتْ وَسَائِلُهْ[٦]

وَقَالَ آخَرُ:

يَا سَقَى اللهُ بِالحِمَى أَهَلَ بَدْرٍ ... كَمْ بِهِ بَيْنَ حَيِّهِمْ مِنْ شَهِيْدِ

هَلْ نَسِيمُ الْصَّبَا عَلَى نَارِهِمْ مَرَّ ... فَفِيْهِ أَشُمُّ أَنْفَاسَ عُودِ[٧]

= حَاشِيَةِ «فِقْهُ السِّيْرَةِ» (٢٤٣).

(١) «العُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ» (٢/ ١٤٤).

(٢) المَرَاجِل: جَمْعُ مِرْجِلِ -بِالكَسْرِ- هُوَ القِدْر الكَبِيْرَة مِنَ النُّحَاسِ.

(٣) الجَافِل: الكَثِيْرُ السَّرِيْع.

(٤) الشَّآبِيب: جَمْعُ شُؤْبُوبٍ، وَهُوَ الدُّفْعَةُ الشَّدِيْدَة مِنَ المَطَرِ.

(٥) الوَابِلُ: أَقْوَى المَطَرِ وَأَضْخَمُهُ قَطْرًا.

(٦) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٢٥).

(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩١/ ٣٧٢).

عَدَدُ القتلى والأسرى من المشركين في معركة بَدْرٍ:

فَافْخَرْ بما أعطاكَ رَبَّك إنَّه   فَخَرٌ سيبقى في الزمانِ مُسَطَّرَا

عَنِ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وكان النَّبي ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا(١).

أُسارى بَدْرٍ:

وسَادوا أُسارى كُلِّ خَلْقٍ مُذَمَّمٍ   وفاز شجاعٌ بالغنائمِ دارعُ

عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**ما تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَالأبو بَكْرٍ: يَا نَبي الله هُمْ بنو الْعَمِّ والْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فتكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّاب؟**»، قُلْتُ: لَا وَاللهِ يا رَسُولَ الله مَا أرَى الَّذِي رَأَى أبو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فيَضرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ الله ﷺ مَا قَالَ أبو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ وَأبو بَكْرٍ قَاعِدَيْن يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاء بَكَيتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخذِهِمْ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبيِّ اللهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ

(١) رواه البخاريُّ (٣٩٨٦).

﴿يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [الأنفال: ٦٧- ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ(١).

فَفَدَى النبيُّ ﷺ الأُسارى بمالٍ.

وجاء في بعضِ الرواياتِ أَنَّ قَدْرَ الفِدْيةِ كان أربعةَ آلافِ دِرْهَمٍ(٢).

وعن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رِجالًا مِنَ الْأَنْصارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، قَالَ: وَاللهِ لَا تَدْرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا(٣).

وقال النَّبيُّ ﷺ في أُسَارَى بَدْرٍ: «**لَوْ كَانَ الْمُطعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**»(٤)(٥).

فضائلُ مَنْ شَهِدَ بدرًا من الصحابةِ والملائكةِ:

فضائلُ لا تَخْفَى على ذي خبرةٍ وهل لضِياءِ الصُّبحِ عن ناظرٍ خفا

عَنْ رِفَاعَة بن رَافِع الزُّرَقِيِّ - وهو مِنْ أَهْل بَدْرٍ- قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» - أَوْ

(١) رواهُ مسلمٌ (١٧٦٣).

(٢) «مجمعُ الزوائدِ» ٦/ ٩٠، وقال الهيثميُّ: رواهُ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» و«الأوسطِ» ورجالُهُ رجالُ الصحيحِ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٤٠١٨).

(٤) رواه البخاريُّ (٤٠٢٤).

(٥) قال النبيُّ ﷺ ذلك وفاءً للمُطْعِمِ؛ فالمطعمُ كان مِمَّنْ مَزَّقُوا صحيفةَ قريشٍ الجائرةَ وأخرجوا النبيَّ ﷺ من شِعْبِ أبي طالبٍ، وأيضًا هو الذي أدخلَ النبيَّ ﷺ مَكَّةَ في جوارِهِ بعد عودتِهِ من الطائفِ.

كَلِمَةً نَحْوَهَا- قَالَ: وَكذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ[١].

وقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِعُمَرَبنِ الخطابِ لما قَالَ للنبيِّ ﷺ في قصةِ حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢].

وجاءَ عبدٌ لِحَاطِبٍ يَشْكُو حَاطِبًا للنبيِّ ﷺ وقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ**»[٣].

وأُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ حارثةُ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلى النَّبيِّ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكِ أَوَهَبِلْتِ أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**»[٤].

هاجرتْ زينبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

عفيفةُ النفسِ إلا عن تزيدها   من الفضائل ما ك الجديدانِ

بعد غزوةِ بدرٍ بشهرٍ هاجَرَتْ زينبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاء

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٩٩٢).
(٢) رواهُ البخاريُّ (٣٩٨٣)، مسلمٌ (٢٤٩٤).
(٣) رواه مسلمٌ (٢٤٩٥).
(٤) رواه البخاريُّ (٣٩٨٢).

أبي الْعَاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا**»، قَالُوا: نَعَمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخَذَ عَلَيْهِ، أَوْ وَعَدَهُ، أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ(١).

وفيها يقولُ أبو العاصِ لما كان بالشامِ تاجرًا:

ذَكَرْتُ زينبَ لَمَّا يَمَّمَتْ أضمًا … فقلتُ سُقيا لشخصٍ يسكُنُ الحَرَما

بنتُ الأمينِ جزاها اللهُ صالحةً … وكُلُّ بَعْلٍ سَيُثْني بالذي عَلِمَا

زواجُ النبيِّ ﷺ من حَفْصَةَ رضي الله عنها

خلاصة العطر تزهى من تحيتها … خلاصة الطهر والآداب والخفرِ

تَزَوَّجَ النبيُّ ﷺ حفصةَ بنتَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنهما، في شعبانَ من السنةِ الثالثةِ للهجرةِ، بعد أن انْقَضَتْ عِدَّتُها من زوجِها خُنَيسِ بنِ حُذافةَ السهميِّ رضي الله عنه وكان تُوُفِّيَ عنها بعد بَدْرٍ.

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجَهُ أحمدُ في المسندِ (٤٣/ ٣٨١)، وأبو داودَ رقم (٢٦٩٢) قال الألبانيُّ في صحيحِ أبي داودَ ٢/ ٥١٢ رقم (٢٣٤١): «حَسَنٌ».

وقد أثنى النبيُّ ﷺ على مصاهرةِ أبي العاصِ، فقد أخرجَ البخاريُّ (٣١٢٩) من حديثِ المُسَوَّرِ (سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وذكَرَ صِهْرًا له من بني عبدِ شَمْسٍ فأثنى عليه في مصاهرتِهِ فَأَحْسَنَ، قال: «حَدَّثني فَصَدَقَني، وَوَعَدَني فَوَفَى لي»، رواهُ البخاريُّ، قال الحافظُ في الفتحِ (٧/ ٨٥): «وقد أُسِرَ أبو العاصِ ببدرٍ مع المشركين وَفَدَتْهُ زينبُ فَشَرَطَ عليه النبيُّ ﷺ أَنْ يُرْسِلَهَا إليه فَوَفَى له بذلك، فهذا معنى قولِهِ في آخرِ الحديثِ (وَعَدَني فوفَى لي).

فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَبنتَ عُمَرَ فَصَمَتَ أبو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقِيَنِي أبو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عليهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَها رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ فَلَقِيَنِي أبو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعمْ، قَالَ أبو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَم أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ الله ﷺ قَبِلْتُهَا[١].

تَزَوُّجُ رسولِ اللهِ ﷺ زينبَ بنتِ خُزَيْمَةَ أُمِّ المساكينِ رضي الله عنها

وكريمـةُ الأنسـابِ طاهـرةُ الـذُّرى   سـكنتْ مـن العليـاءِ أسـمى مَنْزِلِ

كانَتْ زينبُ بنتُ خزيمةَ رضي الله عنها تَحْتَ عبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ، وقيلَ: كانَتْ تحتَ الطُّفَيلِ بنِ الحارثِ، ثم خَلَفَ عليها أخوه عبيدةُ بنُ الحارثِ، فَقُتِلَ عنها بِبَدْرٍ، فَخَطَبَها رسولُ اللهِ ﷺ، وتزوَّجَها في رمضانَ سَنَةَ ثلاثٍ، ثم لم تَلْبَثْ إلا شهرَينِ أو ثلاثةً، وماتَتْ وقيل: ثمانيةَ أَشْهُرٍ.

وكانت تُسمَّى أُمَّ المساكينِ؛ لأنها كانَتْ تُطْعِمُهم، وتَتَصَدَّقُ عليهم[٢].

---

(١) رواه البخاريُّ (٥١٢٢).

(٢) «الإصابةُ» (٢/ ٢٥٢).

زواجُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ من فاطمةَ رضي الله عنها:

أفاطِمُ قد أَبليتِ في نصرِ أحمدٍ ... وَمَرْضَاةِ رَبٍّ بالعِبَادِ رَحِيمِ

تزوجَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ من فاطمةَ رضي الله عنها في السنةِ الأولى من الهجرةِ، وبنى بها في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ، في شهرِ شوالَ بعد وَقْعَةِ بَدْرٍ[1].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما فَاطِمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنِ بِي، (أُرِيدُ أَنْ أَدْخُلَ بفاطمة) قَالَ: أَعْطِهَا شَيْئًا، قُلْتُ: مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ؟ (قيمتُهُ أربُعمائةِ دِرْهَمٍ) قُلْتُ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ[3].

وعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا، مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ، أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ، أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَّاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي[4].

وكان عُمْرُ فاطمةَ رضي الله عنها يومَ بنى بها عَلِيٌّ رضي الله عنهما ثمانَ عَشَرَةَ سنةً، وعُمْرُ عليٍّ رضي الله عنه يؤمَئِذٍ خَمْسٌ وعشرون سنةً.

---

(١) (الطبقاتُ الكبرى؛ لابنِ سَعْدٍ ٨/ ١٨).

(٢) أخرجَهُ النسائيُّ (٦/ ٦٢) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ النسائيِّ» (١٤١٢) والوادعيُّ في «الصحيح المُسْنَدِ» (١٤٨).

(٣) أخرجَهُ النَّسَائِيُّ ٦/ ١٢٩، وفي «الكبرى» ٥٥٤١ وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي داود» (٢١١٧) والوادعيُّ في «الصحيحِ المُسْنَدِ» (٦٨٨).

(٤) رواه البخاريُّ (٣٠٩١)، ومسلمٌ (١٩٧٩).

وَوَلَدَتْ فاطمةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لابْنِ عَمِّها عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الذكورِ: الحَسَنَ والحسينَ ومُحْسِنَ ومن الإناثِ أُمَّ كلثومَ وزَيْنَبَ.

ما جاء في فضلِ فاطمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

فضائلُ أعلاها أبوها فلمْ يدعْ لذي شرفٍ فيها وإن عز مَدْخَلا

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّ أَزوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْده لم يُغَادِرْ مِنْهُنْ وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخَطِيءُ مَشيتُهَا من مشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا وَقَالَ: «مَرْحَبًا بابْنَتي» ثمَّ أَجْلِسَهَا عَنْ يَمِينِه - أو عَنْ شِمَالِهِ-، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بكاءً شَديدًا، فَلَمَّا رأى جَزَعها سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ من بَينِ نِسَائِهِ بالسرارِ، ثمَّ أَنتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلتهَا: مَا قَالَ لَك رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِي على رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بمَا لي لَكِ من الْحَقِّ لما حَدَّثتِني مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فنعمْ: أما حِينما سَارَّنِي فِي الْمرةِ الأولى فَأَخْبرنِي «أَن جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سنةٍ، مرَّةً أَو مرَّتَينِ، وَأَنه عارَضَهُ الْآنَ مرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أرى الْأَجَلَ إِلَّا قد اقْتربَ، فاتَّقِي اللهَ واصْبِري، فَإِنَّهُ نعمَ السلفُ أَنا لَك». فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أما تَرْضينَ أَن تَكُونِي سيدةَ نسَاءِ الْمُؤمنِينَ، أَو سيدةَ نساءِ هَذِه الْأمةِ؟»» قَالَت: فَضَحكْتُ ضَحِكي الَّذِي رَأَيْتَ[١]. وفي أخرى: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساءِ أهلِ الجنةِ وأَنَّكِ أولُ أهلي لحوقًا بي». فضحكْتُ[٢] وتوفيِّتْ بعد أبيها

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٤) ومسلم (٢٤٥٠/ ٩٨)، واللفظ له.

(٢) البخاري (٣٦٢٤).

بنحوِ ستةِ أشهرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

توفِّيَت فاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليلةَ الثلاثاءِ، لثلاثٍ خَلَوْنَ من شهرِ رمضان سنةَ إحدى عشرةَ، وهي ابنةُ تسعٍ وعشرين سنةً أو نحوِها؛[1] وكان موتُها بعد أبيها ﷺ بستةِ أشهرٍ على الصحيحِ.

فَفَضْلُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ كَمْ صَدَحَتْ   فَيْهِ بِأَمْتَعِ أَلْفَاظٍ وَأَوْفَاهَا
عَفَافُهَا سَمْتُهَا مَا قَالَ وَالِدُهَا   عَنْهَا شَمَائِلُهَا الْكُبْرَى وَتَقْوَاهَا[2]

---

(١) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٨/ ٢٣).

(٢) انظر: حبيبات المصطفى للكاتب (١٢٢).

قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ

عَلَـيْكَ حَـزْمٌ وَأَمْـرٌ نَافِـذٌ وَعَلَـى رَيْـبِ الحَـوَادِثِ تَسْـلِيْمٌ وَإِذْعَـانُ[١]

كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيُّ أَبُوهُ عَرَبِيٌّ مِنْ طَيِّءٍ، وَأُمُّهُ عَقِيْلَةٌ بِنْتُ أَبِي الحُقَيْـقِ مِـنْ بَنِـي النَّضِيْـرِ، الَّذِيْـنَ حَالَفَهُـمْ الأَبُ، وَتَـزَوَّجَ مِنْهُـمْ، وَكَانَ كَعْـبٌ شَاعِرًا، يُنَاصِبُ الإِسْلَامَ العِدَاءَ[٢]، وَقَد غَاظَهُ انْتِصَارُ المُسْلِمِيْنَ بِبَدْرٍ، وَسَاءَهُ الأَمْرُ، فَزَارَ مَكَّةَ، وَكَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ[٣].

فَعَنْ عَمْرٍو، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ: قُلْ. فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَـأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسَتَسْـلِفُكَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ لَتَملُّنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا. قَالَ: نَعَمْ. ارْهَنُونِي. قُلْتُ: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَـالَ: ارْهَنُونِـي نِسَـاءَكُمْ. فَقَالُـوا: كَيْـفَ نَرْهَنُـكَ نِسَـاءَنَا؟، وَأَنْـتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا؟، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رَهْنٌ بِوَسْـقٍ أَوْ وَسْـقَيْنِ. هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ- قَالَ:

(١) «دِيْوَانُ ابْنُ سَهْلٍ الأَنْدَلُسِيِّ» (١٤٩).

(٢) انْظُرْ: «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٥٦٤)، وَ«فَتْحُ البَارِيِّ» (٧/ ٣٣٧).

(٣) (صَحِيْـحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُـو دَاوُدَ (٣٠٠٠)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِـلِ» (٣/ ١٩٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٥٩٣).

سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلَاحَ- فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ لَيْلًا، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ- وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ- فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو. قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلِمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسَلَّمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ -.

قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو؟ قَالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ. قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ - قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشُمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ.

وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ. فَنَزَلَ إِلَيهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيِّبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا. أَيْ أَطْيَبَ. وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ عَمْرٌو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ دُونَكُمْ. فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ[(١)].

سَهْمُ الْفُؤَادِ ذَكَاؤُهُ مَا مِثْلُهُ ... عِنْدَ الْعَزِيْمَةِ فِي الْأَنَامِ ذَكَاءُ[(٢)]

وَقَالَ آخَرُ:

لَمَّا تَمَرَدْتَ أَتَاكَ خَمْسَةٌ ... أَسْيَافُهُمْ غَيْرُ الطَّلا لَم تَعْرِفِ

خَلَوكَ إِذْ عَرَّجْتَ عَنْ طَرِقِ الْهُدَى ... حَلَفَ الرَّدَى يَا كَعْبَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠١).

(٢) «الْأَذْكِيَاءُ» (١٢).

إِجْلَاءُ بَنِي قَيْنُقَاعَ

وَلَـفَّ بِالجَـيْشِ حَيَّيْ قَيْنُقَـاعَ بِمَـا جَنَـوا فَتَعْسًـا لَهُـم مِـنْ مَعْشَـرٍ قَـزَمِ [١]

نَقَضَ بَنُو قَيْنُقَاعَ - أَحَدُ طَوَائِفِ اليَهُودِ بِالْمَدِينَةِ- الْعَهْدَ، وَكَانُوا تُجَّارًا وَصَاغَةً، وَكَانُوا نَحْو السَّبْعَمِائَةِ مُقَاتِلٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحِصَارِهِم، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِيْنَةِ بِشِيْرَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ ﷺ.

فَشَفَعَ فِيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَ الخَزْرَجِ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، فَشَفَعَهُ فِيْهِمْ بَعْدَمَا أَلَحَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانُوا فِي طَرَفِ المَدِيْنَة»[٢].

فَعَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ»[٣].

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (١٤/ ٦٠٦).

(٢) «الفُصُولُ» (١١١).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٢٨)، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٦).

ردُّوا بني قينقاع الأمر الذي نزلا ... هيهات هيهات أمس خطبكم جللا
نقضتم العهد معقودًا على دخل ... لعاقد ما نوى غشًّا ولا دخلا
ما زال شيطانكم بالغيظ يقدحه ... بين الجوانح حتى شب واشتعلا[1]

---

(١) «دِيْوَانُ مَجْدُ الإِسْلاَمِ» لأَحْمَدَ مُحَرَّمٍ (٨٢).

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيْرِ

ثُـمَّ اشْـرَأَبَّتْ لِخَفْـرِ العَهْـدِ مِـنْ سَـفَهٍ بَنُـو النَّضِيْـرِ؛ فَأَجْلاهُـمْ عَـنْ الأُطُـمِ(١)

سَبَبُ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيْرِ هُوَ مُحَاوَلَتُهُمْ قَتْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ(٢) وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ: وَهِيَ الْخَلاخِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ اجْتَمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلاثِينَ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلاثُونَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّكُمْ وَاللهِ لا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونَنِي عَلَيْهِ**»، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلاءِ، فَجَلَتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلامِي» (١٥/ ٦٠٦)، وَ اشْرَأَبَّتْ: رَفَعَتْ رَأْسَهَا. والخَفَر: نَقْضُ العَهْدِ.

(٢) الْحَلْقَة: -بِإِسْكَانِ اللامِ- الدِّرعِ؛ لأَنَّهَا حِلَقٌ مُسَلْسَلَة.

أَقَلَّتِ[1] الإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا.

فَكَانَ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحَشْرُ: ٦]، يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ[2].

رويد يهود هل لها في حصونها — من البأس إلا ما تظن السلاحفُ

يظنون أن لن ينسف اللهُ ما بنوا — ولن يثبتَ البنيانُ واللهُ ناسفُ

سيلقون بؤسًا بعد أمنٍ ونعمةٍ — فلا العيشُ فياحٌ ولا الظلُّ وارفُ[3]

(١) أقلَّتْ: حَمَلَتْ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٠٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي«صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٥٩٥).

(٣) «دِيْوَانُ مَجْدُ الإِسْلاَمِ» لأَحْمَدَ مُحَرَّمٍ (٥٥).

غَزْوَةُ أُحُدٍ

جِهَادٌ لَـهُ فِـي سَـاحَةِ المَجْـدِ والعُـلَا مَوَاقِـفُ تَبْقَـى وَاضِحَـاتِ المَعَالِـمِ[١]

١- سَبَبُ التَّسْمِيَةِ:

سُمِّيَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ بِاسْمِ الجَبَلِ الَّذِي وَقَعَتْ عِنْدَهُ، وَيَقَعُ شَمَالَ المَدِيْنَةِ، وَيَبْعُدُ عَنِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَمْسَةَ أَكْيَالٍ وَنِصْفَ الكَيْلِ[٢]، وَيُقَابِلُهُ مِنْ جِهَةِ الجَنُوبِ جَبَلٌ صَغِيْرٌ يُسَمَّى: «عَيْنَيْنِ»، وَهُوَ الَّذِي عُرِفَ بَعْدَ المَعْرَكَةِ بِجَبَلِ الرُّمَاةِ، وَبَيْنَ الجَبَلَيْنِ وَادٍ، عُرِفَ بِوَادِي قَنَاةٍ.

٢- سَبَبُهَا:

أَمَّا سَبَبُ غَزْوَةُ أُحُدٍ هُوَ مَا أُصِيبَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي عُظَمَائِهَا وَأَئِمَّةِ الكُفْرِ فِيْهَا، يَوْمَ بَدْرٍ، فَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ وَقُلُوبُهُمْ تَغْلِي حِقْدًا وَحَنَقًا وَغَيْظًا عَلَى المُسْلِمِيْنَ، فَعَبَّأَتْ قُوَّتِهَا، وَاسْتَعَانَتْ بِحُلَفَائِهَا، وَخَرَجَتْ فِي ثَلاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَوَافَتْ مَشَارِفَ المَدِيْنَةِ بَعْدَ سَنَةٍ وَشَهْرٍ تَقْرِيْبًا مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ عَلَى الصَّحِيْحِ.

٣- رَأي النَّبيُّ ﷺ رؤيا مناميَّةً قبلَ عِلْمِهِ بقدومِ المُشْرِكين:

وقد رَأى النَّبيُّ ﷺ رؤيا مناميَّةً قبلَ عِلْمِهِ بقدومِ المشركين، وقَصَّها على أصحابِهِ - رضوانُ اللهِ عليهم- فقَالَ ﷺ: «رَأَيْتُ في رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٩٧).

(٢) الكَيْلُ: مُصْطَلَح أَطْلَقَهُ المَجْمَعُ العِلْمِيُّ بِدِمَشْق عَلَى الكِيْلُو مِترٍ.

فَانْقَطَعَ صَدْرُه فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ ممَّا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللهُ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ» أي: هم المؤمنون الذين قُتِلُوا يومَ أُحُد. وفي روايةٍ: «وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَاوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ»[1].

٤- الاسْتِعْدَادُ لَهَا:

لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُرُوجِ قُرَيْشٍ، خَرَجَ لِمُلاقَاتِهِمْ فِي أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيْقِ، انْسَحَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بِثُلُثِ الجَيْشِ، ثَلاثِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَكَانَ انْسِحَابُهُمْ أَوَّلَ فَائِدَةٍ مِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الغَزْوَة، وَهُوَ تَمْيْزُ الْمُنَافِقِيْنَ، وَالفَصْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٦٦-١٦٧].

٥- تَنْظِيمُ الجَيْشِ:

وَشَهِدْتُ نُورَ اللهِ لَيْسَ بِآفِلٍ والدِّيْنُ والدُّنْيَا عَلَى تَرْتِيْبِ[2]

تَقَدَّمَ الجَيْشُ الإسْلَامِيُّ إِلَى مَيْدَانِ أُحُدٍ، وَاتَّخَذَ مَوَاقِعَهُ بِمُوجَبِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، نَظَّمَ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ صُفُوفَ جَيْشِهِ، جَاعِلًا ظُهُورَهُمْ إِلَى جَبَلِ أُحُدٍ، وَوُجُوهَهُمْ تَسْتَقْبِلُ المَدِيْنَةَ، وَجَعَلَ خَمْسِينَ مِنْ الرُّمَاةِ بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٠٨١)، ومسلمٌ (٢٢٧٢).

(٢) «دِيْوَانُ لِسَانُ الدِّيْن الخَطِيْبِ» (٦٩).

جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَوْقَ جَبَلِ عَيْنَيْنِ المُقَابِلِ لِأُحُدٍ؛ لِحِمَايَةِ المُسْلِمِيْنَ مِنِ التِفَافِ خَيَّالَةِ المُشْرِكِيْنَ عَلَيْهِمْ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِ بِلِزُوم أَمَاكِنِهِمْ بِقَوْلِهِ - كَمَا فِي حَدِيْثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»(١).

وَبِذَلِكَ سَيْطَرَ المُسْلِمُونَ عَلَى المُرْتَفَعَاتِ، تَارِكِيْنَ الوَادِي لِجَيْشِ قُرَيْشٍ الَّذِي تَقَدَّمَ وَهُوَ يُوَاجِهُ أُحُدًا، وَظَهْرُهُ إِلَى المَدِيْنَةِ، وَظَاهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، وَأَعْطَى اللِّوَاءَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى المُجَنِّبَتَيْنِ(٢): الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَعَلَى المُجَنِّبَةِ الأُخْرَى المُنْذِرَ بْنُ عَمْرٍو.

٦- الْتِقَاءُ الصَّفَّيْنِ:

وَلَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ فَرَّقَ بَيْنَنَا ... بَرِيْقُ ضِرَابِ البِيْضِ وَالأَسَلُ السُّمْرُ(٣)

تَعَبَّأَتْ قُرَيْشٌ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ، وَعَلَى المَيْسَرَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، وَالْتَقَى الصَّفَّانِ، وَبَدَأَ القِتَالُ بِانْتِصَارٍ سَاحِقٍ لِلمُسْلِمِيْنَ، لَوْلاَ مُخَالَفَةُ الرُّمَاةِ، لَمْ تَقُمْ لِلمُشْرِكِيْنَ قَائِمَةٌ.

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَتْ الدَّوْلَةُ أَوَّلَ النَّهَارِ لِلمُسْلِمِيْنَ عَلَى الكُفَّارِ، فَانْهَزَمُوا رَاجِعِيْنَ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى نِسَائِهِمْ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٧).

(٢) المُجَنِّبَتَيْنِ: جَنَاحَا الجَيْش: المَيْمَنَةُ وَالمَيْسَرَةُ، أَيْ: كَتِيْبَتَانِ مِنَ الخَيْلِ أَخَذَتَا جَانِبَيِ الطَّرِيْقِ.

(٣) «دِيْوَانُ ابْنُ المُعْتَزِّ» (٦٩)، وَالبَيْض: جَمْعُ بَيْضَةٍ، وَهِيَ الخُوذَةِ مِنَ الحَدِيْدِ تُجْعَلُ عَلَى الرَّأْس. وَالأَسْل - بِفَتْحَتَيْنِ - الرِّمَاح.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الرُّمَاةُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ قَالُوا: يَاقَوْمُ، الغَنِيْمَةَ الغَنِيْمَةَ، فَذَكَّرَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ تَقْدِيْمُ[١] رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَظَنُّوا أَنْ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِيْنَ رَجْعَةٌ وَأَنَّهُمْ لاَ تَقُومُ لَهُمْ قَائِمَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَذَهَبُوا فِي طَلَبِ الغَنِيْمَةِ»[٢].

٧- انْقِلاَبُ المُشْرِكِيْنَ عَلَى المُسْلِمِيْنَ:

قَوْمٌ لهمْ فِي الوَغَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِم حُسْنُ ابْتِلَاءٍ، وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْتِيْلُ[٣]

لَمَّا تَرَكَ الرُّمَاةُ مَوْقِعَهُمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ بِحِفْظِهِ حِيْنَ قَالَ لَهُمْ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»[٤].

لَكِنَّهُمْ خَالَفُوا، فَوَجَدَ المُشْرِكُونَ أَنَّ تِلْكَ الثَّغْرَةَ قَدْ خَلَتْ مِنَ الرُّمَاةِ، فَجَاوَزُوهَا وَتَمَكَّنُوا، وَأَقْبَلَ آخِرُهُمْ، فَكَانَ مَا أَرَادَ اللهُ كَوْنَهُ، فَاسْتُشْهِدَ مَنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشَّهَادَةِ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ، وَتَوَلَّى أَكْثَرُهُمْ.

وَخَلَصَ المُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجُرِحَ وَجْهُهُ الكَرِيْمُ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ اليُمْنَى السُّفْلَى بِحَجَرٍ، حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ، وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الحُفَرِ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَنَشَبَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حِلَقِ

---

(١) تَقْدِيْمُ: يُرِيْدُ بِهِ عَهْدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ بِعَدَمِ النُّزُولِ مَهْمَا كَانَتْ نَتِيْجَةُ الحَرْبِ.

(٢) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيْرٍ (١٤٧).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٦٤).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٧).

المِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ ﷺ، فَانْتَزَعَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١].

فِـي كُلِّ بَلْـوَى تُصِيـبُ الْمَـرْءَ عَافِيَـةٌ   إِلَّا الْبَـلاءُ الَّـذِي يُدْنِـي مِـنَ النَّـارِ
ذَاكَ الْـبَلاءُ الَّـذِي مَـا فِـيْهِ عَافِـيْةٌ   مِـنَ العَـذَابِ، وَلَا سِـتْرٌ مِـنَ العَـارِ[٢]

٨- دِفَاعُ الصَّحَابَةِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ:

يَـسْتَـعْرِضُونَ المَنَايَـا فِـي كَتَائِبِهِـمْ   جَحَاجِـحٌ مِـنْ أُسُـودِ اللـهِ أَبْطَـالُ[٣]

أَدْرَكَ المُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَحَالَ دُوْنَهُ نَفَرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ نَحو مِنْ عَشَرَةٍ، فَقُتِلُوا[٤]، ثُمَّ جَالَدَهُمْ طَلْحَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ ﷺ[٥].

وَرَمَى سَعْدُ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَمْيًا مُسَدَّدًا مُنْكِئًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[٦].

وَوَقَى طَلْحَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِيَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى شُلَّتْ[٧]،وَانْهَزَمَ النَّاسُ عَنْهُ،وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ[٨]،بِحَجْفَةٍ لَهُ[٩]،وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيْدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجُعْبَةٍ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩١١)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٠).

(٢) «الأَمَالِي فِي لُغَةِ العَرَبِ» (٢/ ٩٦).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤٧٠)، وَ جَحَاجِحُ: جَمْعُ جَحْجَاجٍ: وَهُوالسَّيِّدُ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٩).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٣).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٤١٢).

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٣).

(٨) مُجَوِّب: مُتَرِّس.

(٩) الجَحْفَة – بِفَتْحَتَيْنِ –: تُرْس صَغِير يُطَارَقُ بَيْنَ جِلْدَيْنِ (أَيْ: يُجْعَلُ احَدهُمَا فَوْقَ الآخَر).

مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ. قَالَ: «وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لا تُشْرِفْ[1]، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ»[2].

عبادُ ليلٍ إذا جنَّ الظلام بهم كم عابدٍ دمعه في الخد أجراهُ
وأُسدُ غاب إذا نادى الجهاد بهم هبَّوا إلى الموت يستجدون لقياهُ

٩- جبريلُ وميكائيلُ ينزِلانِ للدفاعِ عن النبيِّ ﷺ:

ميكالُ معكم وجبريلُ كلاهما مددٌ لنصرِكَ مِنْ عزيزٍ قادرٍ

لمَّا حَدَثَ هذا للنبيِّ ﷺ وكادَ المشركون أن يَقْتُلُوه، وقد تكَفَّلَ اللهُ – تعالى– بِعِصْمَتِهِ منَ الناسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] أنزلَ اللهُ – تعالى– جبريلَ وميكائيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُدافعانِ عن النبيِّ ﷺ ويمنعانِهِ من المشركين.

عَنْ سَعْد بنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد رَأَيْتُ يومَ أُحُدٍ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ وعن يسارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيهِمَا ثِيَابٌ بيضٌ، يقاتلان عنه كَأَشَدِّ القتالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ – يعني جبريلَ وميكائيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[3].

١٠- دَوْرُ النساءِ في المعركةِ:

فلو كان النساءُ كَمَنْ ذَكَرْنا لَفُضِّلَتْ النساءُ على الرجالِ

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بنتَ أبي بَكرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ

(١) لَا تَشَرَّفْ أَيْ: لَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ لِتَنْظُرَ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٤)، وَمُسْلِمٌ (١٨١١).

(٣) رواه البخاريُّ (٥٨٢٦)، ومسلمٌ (٢٣٠٦).

أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا[١] تُنقِزَانِ الْقِرَبَ[٢] عَلَى مُتُونِهِمَا[٣] تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ[٤].

وقَالَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: إِنَّ أُمَّ سَـلِيطٍ كَانَتْ تُزْفِرُ لَهم[٥] الْقِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ[٦].

١١- انْسِحَابُ الْمُسْلِمِيْنَ:

وَأَنَّــكَ فَيْـضٌ ذُو سِجَـالٍ غَزِيـرَةٍ   يَنَـالُ الْأَعَـادِي نَـفْعَهَا وَالْأَقَـارِبُ[٧]

أَصْبَحَ الْمُسْـلِمُونَ فِي أَمْرٍ مَرِيْجٍ، فَصَرَخَ إِبْلِيْسُ -لَعَنْهُ اللهُ-: أَيْ عِبَادِ اللهِ، أُخْرَاكُمْ[٨]، فَرَجَعَتْ أُوْلَاهُمْ، فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ[٩].

وَبَعْدَهَا بَدَأَ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ بِالانْسِحَابِ نَحْوَ شِعَابِ أُحُدٍ، وَلَحِقَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى صَعِدَ فِي أَحَدِ شِعَابِهِ، وَتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ صَدِّ الْمُشْرِكِيْنَ عَنْهُ ﷺ.

وَمَـا ابْتَـلَاهُمْ لِإِعْنَـاتٍ وَلَا عَبَـثٍ   وَلَا لِجَهْـلٍ بِمَـا يَطْـويْه إِبْطَـانُ
لَـكِـنْ لِيُثْبِتَ فِي الْأَعْنَـاقِ حُجَّتَـهُ   وَيُحْسِـنُ العَفْـوَ، والرَّحمَـنُ رَحْمَانُ[١٠]

---

(١) خَدَمُ سوقِهما: أي الخلاخيلُ.

(٢) تُنْقِزان: النقزُ: الوَثْبُ والقَفْزُ، كنايةً عن سرعةِ السيرِ.

(٣) مَتْنُ الشيءِ: أعلاه، يُقالُ: مَتْنُ الجَبَلِ أي أعلاهُ.

(٤) رواه البخاريُّ (٤٠٦٤)، ومسلمٌ (١٨١١).

(٥) تُزفِرُ: أي تَحْمِلُ.

(٦) رواهُ البخاريُّ (٤٠٧١).

(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٣٣).

(٨) أُخْرَاكُمْ أَيْ: اقْتُلُوا أَوِ انْصُرُوا أَخِرَاكُمْ.

(٩) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٦٥).

(١٠) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٥/ ٢٢٩)، وَالإِعْنَات: الإِيْقَاعُ فِي الهَلَاكِ والمَشَقَّةِ.

١٢- نُزُولُ النُّعَاسِ:

فَلَـمَّا انْجَـلَى عَنْـهُ النُّعَـاسُ كَأَنَّـهُ هِـلالٌ سَـرَتْ عَنْـهُ الغُيُـومُ سَـوَارِيَا[١]

كَانَ المُسْلِمُونَ مُغْتَمِّيْنَ لِمَا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلِمَا أَصَابَهُمْ؛ فَأَنْزَلَ اللـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِـمْ النُّعَـاسَ، فَنَامُـوا يَسِـيْرًا، ثُـمَّ أَفَاقُـوا، وَقَـدْ زَالَ عَنْهُمْ الخَوْفُ، وَامْتَلأَتْ نُفُوسُهُمْ طُمَأْنِيْنَةً.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٥٤].

وَالطَّائِفَةُ الَّتِي أَهَمَّتَهَا نَفْسُهَا هُمُ المُنَافِقُونَ.

وَلاَ شَـكَّ أَنَّ النُّعَاسَ أَعَادَ لِلمُسْـلِمِيْنَ بَعْضَ طَاقَتِهِمْ، وَنَشَّـطَهُمْ لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ خِلاَلَ الانْسِحَابِ.

قَالَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ»[٢].

أُولَـئِكَ قَـوْمٌ شَـيَّدَ اللَـهُ فَخْرَهُـم فَـمَا فَوْقَهُـم فَخْـرٌ وَإِن عَظُـمَ الفَخْـرُ
أُنَـاسٌ إِذَا مَـا الـدَّهْرُ أَظْلَـمَ وَجْهُـهُ فَـأَيْدِيهُمُ بِـيْضٌ وَأَوجُهُهُـمْ زُهْـرُ[٣]

١٣- فَشَلُ المُشْرِكِيْنَ فِي حَسْمِ المَعْرَكَةِ:

وَيُـسْرٌ حَسَـمْتَ العُسْـرَ عَـنْهُمْ بِصُنْعِهِ كَـمَا حَسَـمَ الإِسْـلاَمُ مَا صَنَعَ الكُفْرُ[٤]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٩/ ١٣٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٨).

(٣) «أَمَالِي القَالِي» (١/ ٥٤).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧/ ٣٠٣).

فَشِلَ الْمُشْرِكُونَ فِي إِنْهَاءِ الْمَعْرَكَةِ بِنَصْرٍ حَاسِمٍ، وَتَعِبُوا مِنْ طُولِهَا، وَمِنْ جَلادَةِ الْمُسْلِمِيْنَ، فَكَفُّوا عَنْ مُطَارَدَتِهِمْ فِي شِعَابِ أُحُدٍ، وَلَكِنَّ أَبَا سُفْيَانَ تَقَدَّمَ مِنْ الْمُسْلِمِيْنَ وَخَاطَبَهُمْ فَقَالَ:

أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ(١)، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوْءُكَ.

قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟**»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟، قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**»(٢).

فَكَانَ يَوْمًا عَتِيدَ الْبَأْسِ نَالَ بِهِ ... كِلَا الْفَرِيْقَيْنِ جَهْدًا وَارِيَ الْحَدَمِ
أَوْدَى بِهِ حَمْزَةُ الصِّنْدِيْدُ فِي نَفَرٍ ... نَالُوا الشَّهَادَةَ تَحْتَ الْعَارِضِ الرَّزِمِ

---

(١) قال الحافظُ ابن حجرٍ - رَحِمَهُ اللهُ- في الفتح (٧/ ٣٥٢-٣٥٣): « وفي هَذا الحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَنْزِلَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وخُصُوصيَّتُهُمَا كأَنَّ أَعْدَاؤُهُ لا يَعْرِفُونَ بِذَلِكَ غَيْرَهُمَا إِذْ لَمْ يَسْأَلْ أَبُو سُفْيانَ عَنْ غَيْرِهِمَا».

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٣٩).

أَحْسِن بِهَا مَيْتَةً أَحْيَوا بِهَا شَرَفًا ... وَالمَوتُ فِي الحَرْبِ فَخْرُ السَّادَةِ القُدُمِ(١)

١٤- ما أصابَ النبيَّ ﷺ في أُحُدٍ:

وشُجَّ وجْهُكَ ثُمَّ الجيشِ في أُحُدٍ ... يعودُ ما بين مقتولٍ ومُنْهَزِمِ

أُصِيْبَ النبيُّ ﷺ في أُحُدٍ أَشَدَّ ما لم يُصَبْ في المعاركِ التي خاضَها كُلِّها وكان يقولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هذا بنبيِّهِم**»، وهو حينئذٍ يُشِيرُ إلى رَبَاعِيَتِهِ ويقولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ في سَبيلِ اللهِ**»(٢).

كما كان النبيُّ ﷺ يَسْلُتُ عن نفسِهِ الدَّمَ وَيَقُولُ: «**كَيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران:١٢٨](٣).

وقال ﷺ: «**اللهمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللهمَّ الْعنِ الْحَارِثَ بنَ هِشَامٍ، اللهمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ**» فَنَزَلَتْ: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ [آل عمران:١٢٨]. فَتَابَ الله عَلَيْهِمْ فَحَسُنَ إسْلَامُهُمْ(٤).

١٥- فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَغْسِلُ الدمَ عن وَجْهِ أبيها ﷺ.

أخذتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تغسِلُ الدمَ عن وَجْهِ أبيها ﷺ وَعَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فاطِمَةُ رضي الله عنها أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ(٥).

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٤/ ٦٠٦).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٤٠٧٣)، ومسلمٌ (١٧٩٣).

(٣) رواه مسلمٌ (١٧٩١).

(٤) رواه البخاريُّ (٤٠٦٩)، والترمذيُّ (٣٠٠٤)، واللفظُ له.

(٥) رواهُ البخاريُّ (٤٠٧٥)، ومسلمٌ (١٧٩٠).

١٦- تَفَقُّدُ النبيِّ ﷺ الشهداءَ، ودفْنُهم:

يا معشر الشهداء طبتم ميتة كانت لكم أشهى من الترياقِ

عَنْ أنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى حَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ**[١] **حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا**» ثم دعا بنمرةٍ فَكَفَّنَهُ فيها فكانَتْ إذا مُدَّتْ على رَأْسِهِ بَدَتْ رِجْلاهُ وإذا مُدَّتْ على رِجْلِهِ بدا رَأْسُهُ، وَقَلَّتْ الثِّيَابُ وَكَثُرَتْ الْقَتْلَى فَكَانَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ والثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ عنهم: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا**» فَيُقَدِّمُهُ إلى الْقِبْلَةِ[٢].

وَعَنْ أَنَسٍ أيضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ[٣]. وعَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَينِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أكثرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هؤلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ[٤].

١٧- عَدَدُ مَنْ قُتِلَ من المسلمين في هذه المعركةِ:

لا تخل معشرًا قضوا في سبيل اللـ ـه موتى بل هم من الأحياءِ

عَنِ الْبَرَاءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أُصِيبَ مِنَ المسلمين في هذه المعركةِ

(١) العافيةُ: قال الخطابيُّ: هي السباعُ والطيرُ تَقَعُ على الجيفِ فتأكُلُها. «عونُ المعبودِ» ٦/ ٤٣.

(٢) أخرجَهُ أبو داودَ (٣١٣٦)، وأحمدُ ٣/ ١٢٨، والترمذيُّ (١٠١٦)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ صحيحُ سُنَنِ الترمذيِّ (١٠٢٧).

(٣) أخرجَهُ أبو داود (٣١٣٧)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ «صحيحُ سُنَنِ أبي داودَ».

(٤) رواهُ البخاريُّ (١٣٤٣).

سَبْعُونَ قَتِيلًا(١).

وعن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَار أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ مِنْهُمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ(٢).

١٨- استشهادُ أسدِ اللهِ حمزةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

دعْ عَنْكَ دارًا قد عفا رَسْمُها وابْكِ على حمزةَ ذي النائِلِ(٣)

وفي تلكَ المعركةِ كان هناك رجلٌ له هدفٌ آخَرُ غيرُ الذي جاءَ من أجلِهِ الطرفانِ، فهو لا يَشْغَلُهُ مَنْ ينتصرُ، المسلمون أم المشركون، ولا يَهُمُّهُ ذلك الأمرُ كثيرًا، إنما كلُّ الذي يشغلُهُ هو التحرُّرُ من الرِّقِّ العبوديةِ.

وهذا الرجلُ هو وحشيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أسلمَ بعد ذلك وحَسُنَ إسلامُهُ.

وَلْنَتْرُكْهُ يَقُصُّ علينا تفاصيلَ ما حَدَثَ بنفسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقولُ وحشيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْن عَدِي بنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ- خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إلى الْقِتَالِ فَلَمَّا أَنْ اصطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بنُ عبدِ الْمُطَلِبِ فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ(٤) أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ(٥) قَالَ: وَمَكَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٠٤٣).

(٢) (صحيحٌ): أخرجَهُ الترمذيُّ (٣١٢٩)، وهو في مسندِ أحمدَ من زوائِدِ عبدِ اللهِ ٥/ ١٣٥، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ الترمذيِّ» (٣١٢٩).

(٣) ديوانُ حَسَّانَ (١٧٤).

(٤) مُقطَّعةِ البظورِ: أي التي تَخْتِنُ النساءَ، فهي تَقْطَعُ بُظْرَ المرأةِ عند خَتْنِها.

(٥) كأمْسِ الذاهِبِ: كنايةً عن قتلِهِ، أي: صَيَّرَهُ عَدَمًا.

دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيهِ[١].

١٩- استشهادُ مُصْعَبَ بنِ عُمَيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

رجـالٌ متـى يُدْعـوا إلـى الـرَّوعِ يُرقِلُوا　　إليـهِ كإرقـالِ الجِمـالِ المصاعِـبِ[٢]

كان مصعبُ بنُ عُمَيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فتى مَكَّةَ شبابًا، وجمالًا، وثيابًا، وكان أعطرَ أهلِ مَكَّةَ، ثُمَّ أسلمَ وَتَرَكَ كُلَّ هذا النعيمِ، واسْتُشْهِدَ في أُحُدٍ، وكُفِّنَ بما لَمْ يَسْتُرْهُ كُلَّهُ.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرْتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي سَبِيلِ اللهِ، نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكَفَّنُ فِيهِ، إِلَّا نَمِرَةٌ، فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ، خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِن خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الإِذْخِرَ. وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يُهَدِّبُهَا[٣].

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٠٧٢)، كتابُ المغازي، بابُ قَتْلِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقولُ وحشيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ - أي: لا ينالُهم منه إزعاجٌ - قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**آنتَ وَحْشِيٌّ؟**»، قُلْتُ: نَعَم، قَالَ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَن تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟**» قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلى مُسَيلِمَةَ لَعَلّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئُ بِهِ حَمزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

(٢) أمالي الرزوقيِّ (٥١).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٣٨٩٧)، ومسلمٌ (٩٤٠).

٢٠- عبدُ اللهِ بنُ حرامٍ رضي الله عنه تُظِلُّه الملائكةُ بأَجْنِحَتِها، ويُكَلِّمُه اللهُ من غَيرِ حِجابٍ:

رجالٌ يرون الذُّلَّ عارًا وسبَّةً ولا يرهبون الموتَ والموتُ مقدمُ[١]

عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَى مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ[٢].

وعن جَابر أيضًا قَالَ: لما كان يومَ أُحُدٍ جِيءَ بأبي مُسَجًّى وقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قَالَ: فَأردتُ أن أرفَعَ الثوبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أردْتُ أن أَرْفَعَ الثوبَ فَنهَانِي قَوْمِي، فرفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أو أَمَرَ به فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ باكيةٍ أو صَائِحَةٍ فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**»، فَقَالُوا: بنتُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو فقَالَ: «**ولِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ**»[٣].

وعنه أيضًا قال: لَقِيَنِي رَسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا جابرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا قَالَ: «**يَا جَابِرُ! أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ! مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ: يَا رَبِّ**

(١) ديوانُ الشابيِّ (١٠٧).

(٢) رواهُ البخاريُّ (١٣٥١).

(٣) رواه البخاريُّ (١٢٩٣)، ومسلمٌ (٢٤٧١).

تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثانِيَةً فَقَالَ الرَّبُّ تبَارَكَ وتَعَالى: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي»[١].

٢١- عمرو بنُ الجموحِ يَطَأُ برجلِهِ في الجَنَّةِ:

وجَدْنَاكَ أَنْدَى مِنْ رِجَالٍ أَنَامِلا وأحسنَ في الحاجاتِ وَجْهًا وأجْمَلَا[٢]

كان عمرو بنُ الجموحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا أعرجَ شديدَ العَرَجِ، وكان له بَنُونَ أربعةٌ يَشْهَدُون مع رسولِ اللهِ المَشَاهِدَ، فلما كان يومُ أُحُدٍ أرادوا حَبْسَهُ، وقالوا له: إن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد عَذَرَكَ، فأتى رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنَّ بَنِيَّ يريدون أن يَحْبسوني عن هذا الوَجْهِ، والخروجِ مَعَكَ فيه، فو اللهِ إني لأرجو أَنْ أَطَأَ بِعَرَجَتي هذه في الجَنَّةِ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَّا أنتَ فقد عَذَرَكَ اللهُ فلا جهادَ عليكَ»** فقال لِبَنِيْهِ: **«ما عليكم أَنْ لا تَمْنَعُوه فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشهادةَ»** فخرجَ معه فَقُتِلَ يومَ أُحُدٍ[٣].

وعن أبي قتادةَ قال: جاء عَمْرُو بنُ الْجَمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتُ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجنَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نَعَمْ»** فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ»**، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ[٤].

---

(١) أخرجَهُ الترمذيُّ (٣٠١٠)، والحاكمُ ٣/ ٢٠٤، وصحَّحَهُ ووافقَهُ الذهبيُّ، وصحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح الجامعِ» (٧٩٠٥).

(٢) ديوانُ أبي تمامَ (١٢٦).

(٣) أخرجه ابنُ هشامٍ في «السيرةِ» عن ابنِ إسحاقٍ ٣/ ٢٣، وصحَّحَه الألبانيُّ في حاشيةِ «فقهِ السيرةِ» (٢٦٧) للغزالي.

(٤) أخرجَه أحمدُ (٢٢٤٥٢)، وصحَّحَهُ أحمدُ شاكر، والألبانيُّ أيضًا في «فقهِ السيرةِ» (٢٦٧).

٢٢- حَنْظَلَةُ تُغسِلُهُ الملائكةُ:

سَلْ وَجْهَ حَنْظَلَةَ الغسيلِ فَرُبَّما   أَفْضَى إليكَ الوجْهُ بالأَسْرارِ

عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ عند قَتْلِ حنظلةَ بنِ أبي عامرٍ بعدَ ان الْتَقَى هو وأبو سُفيانَ بنِ الحارِثِ حين علاه شدادُ بنُ الأسودِ بالسيفِ فقَتَلَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«إن صاحبَكم تَغْسِلُهُ الملائكةُ فسألوا صاحِبَتَهُ عنه»** فقالتْ: إنه خَرَجَ لما سَمِعَ الهائعةَ وهو جُنُبٌ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لذلكَ غَسَلَتْهُ الملائكةُ»**(١).

٢٣- عمرو بنُ أُقيشَ يَدْخُلُ الجنةَ وما صَلَّى لِلّهِ صلاةً:

سَلْهُمْ عَنِ الحُبِّ الصحيحِ ووَصْفِهِ   فَلَسَوفَ تسمعُ صادق الأخبارِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ عَمْرَو بنَ أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بنو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحْدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إلى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ، سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لِلهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً(٢).

---

(١) أخرجه الحاكمُ (٣/ ٢٠٤)، والبيهقيُّ في «السُّنَنِ» (٤/ ١٥) وَحسَّنَهُ الألبانيُّ في «الإرواءِ» (٧١٣).

(٢) أخرجَهُ أبو داودَ (٢٥٣٧)، وحسَّنهُ الشيخُ الألبانيُّ في «صحيحِ سُنَنِ أبي داودَ» (٢٥٣٧) وحسَّنَهُ شيخُنا في الصحيحِ المُسْنَدِ (١٣٩٣).

٢٤- سَبَبُ انْكِسَارِ الْمُسْلِمِيْنَ فِي أُحُدٍ:

وَمَـا بِرَسُـولِ اللـهِ إِذْ نَـالَهُ الأَذَى   سِـوَى مَا ارْتَضَتْ أَخْلاَقُهُ وَشَـمَائِلُهْ[(١)]

تَسَاءَلَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- عَنْ سَبَبِ هَذَا الانْكِسَارِ، فَكَانَ الرَّدُّ الحَاسِـمُ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٦٥].

فَقَوْلُهُ - سبحانه وتعالى-: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ فِيهِ إِجْمَالٌ بَيَّنَهُ اللهُ ﷻ بِقَوْلِـهِ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٥٢].

«فَفِي هَذِهِ الْفَتْوَى السَّمَاوِيَّةِ بَيَانٌ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ سَبَبَ تَسْلِيطِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْـلِمِينَ هُوَ فَشَـلُ الْمُسْـلِمِينَ، وَتَنَازُعُهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعِصْيَانُهُمْ أَمْرَهُ ﷺ، وَإِرَادَةُ بَعْضِهِمُ الدُّنْيَا مُقَدَّمًا لَهَا عَلَى أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ »[(٢)].

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَقَّقُوا بِدَايَةَ الأَمْرِ انْتِصَارًا بَاهِرًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ بِعَوْنٍ مِنَ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنَصْرِهِ، ثُمَّ حَدَثَ مِنَ الرُّمَاةِ مُخَالَفَةُ أَمْرِ رَسُـولِ ﷺ بِعَـدَمِ مُغَـادَرَةِ أَمَاكِنِهِـمْ أَعَلَـى الجَبَـلِ مَهْمَـا حَـدَثَ إِلَّا بِإِذْنِـهِ ﷺ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّى أُرْسِـلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ**

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٢٥).

(٢) «أَضْوَاءُ البَيَانِ» لِلشَّنْقِيْطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (٤/ ٩١).

رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ(١)**، فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ»**(٢).

فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ تَأْكِيدٍ عَلَى عَدَمِ المُخَالَفَةِ؛ لَكِنْ لَمَّا حَصَلَتِ المُخَالَفَةُ، حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ الهَزِيْمَةُ، فَتَحَوَّلَتْ الرِّيَاحُ لِتَكُونَ مَعَ الكَافِرِيْنَ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَهْزِمُوا الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْتُلُوا مِنْهُمْ سَبْعِيْنَ رَجُلًا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَسَدُ اللهِ حَمْزَةُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ، وَسَعْدُ بْنَ الرَّبِيْعِ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضِيرِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَفَوْقَ ذَلِكَ أُصِيْبَ الرَّسُولُ ﷺ إِصَابَاتٍ بِالِغَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ قُوَّةِ الكُفَّارِ، وَلَكِنْ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الرُّمَاةِ أَوَامِرُ الرَّسُولِ ﷺ.

وَمَا بِرَسُولِ اللهِ إِذْ نَالَهُ الأَذَى — سِوَى مَا ارْتَضَتْ أَخْلاَقُهُ وَشَمَائِلُهْ
نَبِيٌّ يُحِبُّ اللهُ حُبَّ مُجَاهِدٍ — يَرَى دَمَّهُ مِنْ حَقِّهِ فَهُوَ بَاذِلُهْ
يُعَظِّمُهُ فِي نَفْسِهِ وَيُطِيْعُهُ — وَمَا يَقْضِ مِنْ أَمْرٍ لَهُ فَهْوَ قَابِلُهْ
كَذَلِكَ كَانَ المُسْلِمُونَ الْالَى مَضَوْا — فَيَالَكَ عَصْرًا يَبْعَثُ الحُزْنَ زَائِلُهْ!(٣)

٢٥- الرجوعُ إلى المدينةِ:

إنَّ المدينةَ والدُّنْيَا تضيءُ بِهَا — كالشمسِ قَدْ نَوَّرَتْ وَجْهَ السماواتِ

رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ وفي الطريقِ مَرَّ رَسُولُ اللهِ بنسَاءِ، يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ.

فِعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ بنسَاءِ عبدِ الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ

---

(١) أَوْطَأْنَاهُمْ أَيْ: أَوْطَأْنَاهُمْ خَيلَنَا، أَيْ: جَعَلْنَاهُمْ تَحْتَ حَوَافِرِهَا.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨١٧).

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٢٥).

هَلْكَاهنَّ يَوْم أُحُدٍ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**»، فَجَاءَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ حَمْزَةَ، فاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**وَيْحَهُنَّ مَا انْقَلَبْنَ**[١] **بَعْدُ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ**»[٢].

---

(١) أي: ما رَجَعْنَ إلى بيوتِهِنَّ.

(٢) أخرجَهُ أحمدُ (٢/ ٨٤)، ابنُ ماجَهْ (١٥٩١) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «سُنَنِ ابنِ ماجَهْ» (١٢٩٣).

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ

إِنَّ الأُسُــودَ أُسُــودَ الغِـيلِ هِمَّتُهَـا   يَوْمَ الكَرِيْهَةِ في المَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ(١)

عَقِبَ غَزْوَةِ أُحُدٍ أَشْفَقَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عَوْدَةِ قُرَيْشٍ إِلَى المَدِيْنَةِ، فَنَدَبَ المُسْلِمِيْنَ إِلَى النُّهُوضِ فِي أَثَرِهِمْ، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَكَانُوا مُثْقَلِيْنَ بِالجُرُوحِ، حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسَدِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبُوكِ مِنْهُمُ، الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟**»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ(٢).

لَـمْ يُثْنِـهِ هَـوْلُ مَـا لَاقَـى، وَلَـوْ وَقَعَـتْ   تِـلْكَ الكُـرُوبُ عَلَـى الأَطْـوَادِ لَـمْ تَقُـمِ
عَـزِيْـمَـةٌ رَافَـقَـتْـهَـا هِـمَّــةٌ سَـبَـقَـتْ   كُــلَّ الـعَـزَائِـمِ بَيْـنَ الخَلْـقِ والهِـمَـمِ(٣)

تـزوُّجُ رسـولِ اللّهِ ﷺ بزينـبَ بنـتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأمـرِ اللّهِ تبارَكَ وتعالى:

فيـا بهجـةَ الدنيـا إذا الشـمسُ أشـرقَتْ   كمـا أشـرقَتْ فـوقَ البريـةِ زينـبُ(٤)

زَيْنَـبُ بِنْـتُ جَحْـشٍ بْـنِ رِئَـابٍ أُمُّ الْمُؤْمِنِيـنَ وَهِـيَ بِنْتُ عَمَّةِ رَسُـولِ اللهِ

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٢)، الغِيلِ -بِالكَسْرِ وَيُفْتَحُ- الغَابَةُ وَالأَجَمَةُ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٧).

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ-.

(٤) ديوانُ المعاني (٣٦٠).

ﷺ أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَلِبِ، كَانَتْ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا طَلَّقَهَا تزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

فَلِذَلِـكَ كَانَـتْ تَفْخَـرُ عَلَـى نِسَـاءِ النَّبِـيِّ ﷺ، وَتَقُـولُ زَوَّجَكُـنَّ أَهَالِيكُـنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ[1].

فعـن أَنَـسٍ قَـالَ: «لَمَّـا انْقَضَـتْ عِـدَّةُ زَيْنَـبَ قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ لِزَيْـدٍ اذْهَبْ فَاذْكُرْهَـا عَلَـيَّ فَانْطَلَـقَ زَيْـدٌ حَتَّـى أَتَاهَـا وَهِـيَ تُخَمِّـرُ عَجِينَهَـا قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَاأَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِليْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتهَا ظَهْرِي وَنَكَصْت عَلَى عقِبي فَقُلْت: يَا زَيْنَبُ أَرْسَـلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُك قَالَتْ: مَا أَنَا بِصانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ»[2].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٧٤٢١).

(٢) رواهُ مسلمٌ (١٤٢٨).

بَعْثُ الرَّجِيْعِ

بَاعُوا نَفَائِسَهُمْ مِنْهُ وَأَنْفُسَهُمْ ... بِجَنَّةِ الخُلْدِ بَيْعًا رَابِحًا فَشَرَى(١)

بَعْدَ أُحُدٍ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْثَ الرَّجِيْعِ، وَكَانُوا عَشَرَةَ رَهْطٍ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ.

فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ(٢)، وَجَاءَ القَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا، أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا.

فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦١).

(٢) الفَدْفَدُ: الرَّابِيَةُ، المُشْرِفَةُ.

خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسًى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ المُوسَى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا -قَطُّ- خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ.

فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

ثُمَّ قَالَ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ[1] شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ[3] مِنَ الدَّبْرِ[4]، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا

(١) الأَوْصَال: المَفَاصِل.

(٢) الشِّلْو -بِالكَسْرِ- العُضْوُ، والجَمْعُ أَشْلَاءٌ.

(٣) الظُّلَّة: السَّحَابَةُ.

(٤) الدَّبْر -بِالفَتْحِ- الزَّنَابِيرُ، وَقِيلَ: ذُكُورُ النَّحْلِ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ»[١].

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَهْجُو بَنِي لَحْيَانَ الَّذِيْنَ غَدَرُوا بِالمُسْلِمِيْنَ:

إِنْ سَرَّكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ   فَأْتِ الرَّجِيعَ وَسَلْ عَنْ دَارِ لِحْيَانَ
قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ كُلُّهُمُ   فَخَيْرُهُمْ رَجُلاً، وَالتَّيْسُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ ذُو الخُصْيَيْنِ وَسْطَهُمُ   لَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ[٢]

قَالَ-أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَرْثِي بَعْضَ مَنْ غَدَرَ بِهِمْ بَنِي لَحْيَانَ يَوْمَ الرَّجِيْعِ:

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا   يَوْمَ الرَّجِيْعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا
رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَأَمِيرُهُمْ   وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيْبُ
وَابْنٌ لِطَارِقَ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ   وَافَاهُ ثَمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ
مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ   حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيْبُ
وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيْعِهِمْ   كَسَبَ الْمَعَالِيَ، إِنَّهُ لَكَسُوبُ[٣]

- تَزَوُّجُ رسولِ اللهِ ﷺ أُمَّ سلمةَ بنتِ أبي أُمَيَّةَ.

أين منكِ المُنَافِسَاتُ اللَّواتي   عَهِدَ النَّاسُ من ذوي الأَحْسابِ

وهي هندُ بنتُ أبي أُمَيَّةَ بنِ المغيرةِ المخزوميةُ[٤]، وزوجُها أبو سَلَمَةَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الأَسَدِ المخزوميُّ، وهو ابنُ عَمِّها وَلَدَتْ منه سَلَمَةَ وعُمَرَ وزينبَ ودُرَّةَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٨٦).

(٢) «دِيْوَانُ حَسَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٢٣٩)، وَالصِّرْف - بِالكَسْرِ- الخَالِص.

(٣) «دِيْوَانُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٩).

(٤) سيرةُ ابنِ هشامٍ (٤/ ٨٩٩).

وكانت أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا موصوفةً بالجمالِ البارِع، والعقلِ البالِغ، والرأيِ الصائِبِ(١)، وكانت من أجملِ النساءِ وأشرفِها نَسَبًا(٢).

فلما أنقضَتْ عِدَّتُها من زوجِها أبي سلمة الذي تُوُفِّي عنها أرْسَلَ رسولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُها.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**ما مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾** [البقرة: ١٥٦] اللهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو الله أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**»(٣).

- تعلم لغة اليهود:

أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ زيدَ بنَ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كتابَ يهودٍ، فَتَعَلَّمَهُ في خَمْسَةَ عَشَرَ يومًا.

عَنْ زَيْدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتعَلَّمَ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابي، قَالَ: فَمَا مَرَّ نِصْفُ

(١) السِّيَرُ (٢/ ٢٠٢).

(٢) المرجَعُ السابِقُ (٢/ ٢٠٢).

(٣) رواهُ مسلمٌ (٩١٨).

شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إلى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ[1].

لُغَـةُ الخصـوم مـن الرجـومِ حروفُهـا فليقـرؤوا منهـا الغـداةَ فُصُـولا
لَمَّـا أَبَـوا أَنْ يَفْهَمُـوا إِلَّا بهـا رُحْنـا نُرَتِّلُهـا لهـم تَرْتِيـلا[2]

- رَجْمُ رسولِ اللّهِ ﷺ اليهوديَّ واليهوديةَ.

لأعيـا المسـلمينَ يهـودُ سـوءٍ فمـا تحمِـي الحصُـونُ المُحْصَنـاتِ[3]

عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: مَا تَجِدُونَ في التَّوْرَاةِ عَلَى الزَانَي؟ قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا، وَنُحَمِّلُهُمَا، ونُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرءُوهَا، حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَـةِ الرَّجْـمِ، وَضَـعَ الْفَتَـى الَّـذِي يَقْـرَأُ يَـدَهُ عَلَـى آيَـةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَـدَهُ، فَرَفَعَهَـا فَـإِذَا تَحْتَهَـا آيَـةُ الرَّجْـمِ، فَأَمَـرَ بهِمَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَـا، قَالَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بنفْسِهِ[4].

---

(١) أخرجه الترمذيُّ (٢٧١٥) وصححه الألبانِيُّ في «الصحيحة» (١٨٧).

(٢) موسوعةُ الشعرِ (١/ ٤٩٣).

(٣) ابنُ الخياطِ (٣٧).

(٤) رواهُ البخاريُّ (٦٨١٩)، ومسلمٌ (١٦٩٩).

غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ[1]

أَسَـرَتْ لَـكَ الآفَـاقُ عَزْمَـةُ هِمَّـةٍ جُبِـلَتْ عَـلى أَنَّ المَسِيْرَ مُقَـامُ[2]

وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ فِي شَعْبَانَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ، وَبَنُوا المُصْطَلِقِ بَطْنٌ مِنْ قَبِيْلَةِ خُزَاعَةَ الأَزْدِيَّةِ اليَمَانِيَّةِ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ قُدَيْدًا وَعُسْفَانَ عَلَى الطَّرِيْقِ مِنَ المَدِيْنَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَقُدَيْدٌ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ مَائَةً وَعِشْرِيْنَ كَيْلًا، وَعُسْفَانُ تَبْعُدُ ثَمَانِيْنَ كَيْلًا، فَيَكُونُ بَيْنَهُمْا أَرْبَعُونَ كَيْلًا.

وَكَانُوا يُعْتَبَرُونَ فِي حَرْبٍ مَعَ المُسْلِمِيْنَ، مُنْذُ اشْتِرَاكِهِمْ مَعَ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ.

كَمَا كَانُوا يَجْمَعُونَ الجُمُوعَ لِحَرْبِ المُسْلِمِيْنَ،فَغَارَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ غَارُّونَ (أَيْ: وَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ)، فَانْهَزَمُوا، وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ، وَأَخَذَ المُسْلِمِيْنَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَتَمَّتْ قِسْمَةُ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ»[3].

لَـهُ مَوْقِـفٌ يَحْمِـي بِـهِ الدِّيْـنَ، ذِكْـرُهُ تَشِـيْدُ بِـهِ الرُّكْبَـانُ فِـي البَـدْوِ وَالحَضْرِ
أَقَـامَ عَـمُودَ الدِّيْـنِ بِالنُّـورِ والهُـدَى وَسَـلَّ حُسَـامًا فَاتِـكَ الوَقْـعِ بِالكُفْـرِ

(١) وَتُسَمَّى بِغَزْوَةِ المُرَيْسِيعِ؛ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ عِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيعِ.

(٢) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (١٦٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٤١)، ومُسْلِمٌ (١٧٣٠).

تَزَوَّجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

جُوَيْرِيَةٌ لا يَقْرَبُ الذَّمُّ بَيْتَهَا مُطَهَّرَةٌ يَأْوِي إِلَيْهَا مُطَهَّرُ[١]

كانتْ جُوَيْرِيةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبلَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ المُصْطَلِقِيِّ قُتِلَ كَافِرًا، سُبِيَتْ يومَ المُرَيْسِعِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَّاحَةً، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لِتَسْتَعِينَهُ فِي كِتَابَتِهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا ﷺ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ، مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي.

قَالَ: فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكِ؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ١٢٩).

ابْنَةَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ؛ قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا»(١).

يا ابنة الحارث طيبي وأنعمي أيُّ رزقٍ صالحٍ لم ترزقي؟
ذاك جوُّ المجد وضاح السنا حلقي ما شئت مِنه حلِّقي
أصطفاك الله فيمن يصطفي وانتقى بيتك فيما ينتقي(٢)

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦/ ٢٧٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٩٣١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٣٣٢٧).

(٢) «دِيوَانُ مَجْدُ الإِسْلاَمِ» لأَحْمَدَ مُحَرَّمٍ (١٣٩).

بَعْثُ بِئْرِ مَعُونَةَ

غَدَرَ العَدُوُّ فَعَلَّمَتهُ سُيوفُهُم صِدْقَ العُهُودِ وَصِحَّةَ الإِيْمَانِ[١]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ، يُقَالُ لَهُمُ القُرَّاءُ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، عِنْدَ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا بِئْرُ مَعُونَةَ، فَقَالَ القَوْمُ: وَاللهِ مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْنُ مُجْتَازُونَ فِي حَاجَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَتَلُوهُمْ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ شَهْرًا فِي صَلاَةِ الغَدَاةِ، وَذَلِكَ بَدْءُ القُنُوتِ، وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ»[٢].

وَثَارَ نَقْعُ المَنَايَا في مَعُونَةَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِأَهْلِ الفَضْلِ وَالحِكَمِ[٣]

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْثَى قَتْلَى بِئْرِ مَعُونَةَ:

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَاقَوْا مَنَايَاهُمْ وَلَاقَتْهُمْ بِقَدْرِ
أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ
فَيَا لَهْفِي لِمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
وَكَائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ مِنَ ابْيَضَ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو[٤]

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٣٤٠).

(٢) رَواهُ البُخَارِيُّ (٤٠٨٨)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٧).

(٣) «قَصَائِدُ مِنْ عُيُونِ الشِّعْرِ» (١٥).

(٤) «دِيْوَانُ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٩٤)، فَاسْتَهِلِّي أَيْ: أَسِيْلِي دَمْعَكِ، والسَّحُّ: الصَّبُّ، وَالنَّزْرُ: القَلِيْل، تُخُوِّنَ: تَنَقَّصَ، أَعْنَقَ أَيْ: أَسْرَعُ، وَكَائِنْ: كِنَايَة عَنْ عَدَدٍ كَثِيْرٍ، وَسِرُّ القَوْمِ: خِيَارُهُمْ وَخَالِصُهُمْ.

كَشْفُ المُنَافِقِيْنَ عَنْ حِقْدِهِمْ

نِفَـاقٌ عَـلَى كُـلِّ الوُجُـوهِ مُخَيِّـمٌ   وَبُغْـضٌ عَـلَى كُلِّ الجِبَـاهِ مُسَـطَّرُ[١]

كُلَّمَا كَسَبَ الإِسْلَامُ نَصْرًا جَدِيْدًا؛ ازْدَادَ المُنَافِقُونَ غَيْظًا عَلَى غَيْظِهِمْ، وَقُلُوبُهُمْ تَتَطَلَّعُ إِلَى اليَوْمِ الَّذِي يُهْزَمُ فِيْهِ المُسْلِمُونَ؛ لِتَشْتَفِيَ مِنَ الغِلِّ، فَلَمَّا انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ عِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيْعِ، كَشَفَ المُنَافِقُونَ عَنْ حِقْدِهِمْ، فَبَدَءُوا فِي التَّعْبِيْرِ عَنْ حِقْدِهُمُ المُكْتُومِ، فَقَامُوا بِمَا يَأْتِي:

١- تَخْذِيْلُ النَّاسِ:

وَحَافِـرِ حُفْـرَةٍ لِـي هَـارَ فِيْـهَا   وَسَـهْمُ الـبَغْيِ يَـدْرِي مَـنْ يُصِيْـبُ[٢]

وَلْنَدَعِ الصَّحَابِيِّ الجَلِيْلِ زَيْدُ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ - أَيْ: غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ[٣] - فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ(أَيْ: سَعْدِ بْنِ عُبَادَة، وَهُوَ رَأْسُ الخَزْرَجِ، وَلَيْسَ عَمَّهُ حَقِيْقَةً، وَأَمَّا عُمَرُ فَهُوَ ابْنُ الخَطَّابِ)[٤]، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ

(١) «دِيْوَانُ ابْنُ سُحْنُونٍ» (٢٨).

(٢) «مَجَانِي الأَدَب فِي حَدَائِقِ العَرَبِ» (٤/ ٨).

(٣) صَرَّحَتْ الرِّوَايَاتُ الأُخْرَى بِأَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، كَمَا فِي «المُسْنَدِ» (٣/ ٣٩٢-٣٩٣)، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ، و«فَتْحُ البَارِي» (٨/ ٦٤٩).

(٤) «فَتْحُ البَارِي» (٨/ ٦٤٥).

أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ [المُنَافِقُونَ: ١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**»[١].

٢- إِثَارَةُ العَصَبِيَّةِ:

وَذِي عَصَبِيَّةٍ بِالمَكْرِ يَسْعَى إِلَيَّ سَعَى بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ[٢]

يَحْكِي جَابِرُ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَا حَدَثَ عِنْدَ مَاءِ المُرَيْسِيْعِ، فَقَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، (أَيْ: ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ)، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ المُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ»[٣].

«رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» صَفَتْ أَخْلاَقُهُمْ وَخَلَتْ قُلُوبُهُمُ مِنَ الشَّنَآنِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٩٠٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٢).

(٢) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٤١).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٥١٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٨٤).

هُـمْ كالأَصَابِـعِ فِـي اليَدَيْـنِ تَوَاصُـلًا ... هَـلْ يَسْتَـوِي كَـفٌّ بِغَيْـرِ بَنَـانِ؟!
اللـه أَلَّـفَ بَيْـنَ وُدِّ قُلُوبِـهِمْ ... لِيَغِيـظَ كُـلَّ مُنَـافِـقٍ طعَّـانِ
فَـدُخُـولُـهُم بَيْـنَ الأَحِـبَّةِ كُلْفَـةٌ ... وسِبَابُـهُمْ سَـبَبٌ إِلـى الحِرْمَـانِ[1]

٣- إِيْذَاءُ النَّبِيِّ ﷺ:

يُسِـرُّ لَـكَ البَغْـضَاءَ كُلُّ مُنَافِـقٍ ... كَـمَا كُلُّ ذِي دِيْـنٍ عَلَيْـكَ شَـفِيْقُ[2]

بَعْدَ فَشَـلِ المُنَافِقِيْنَ فِي تَخْذِيْلِ المُسْـلِمِيْنَ عَنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، وَإِثَارَةِ العَصَبِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ، أَعْمَاهُمُ الغَضَبُ، وَوَاتَتْهُمُ الفُرْصَةُ لِإِيْذَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

كَانَـتْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَـدْ خَرَجَـتْ مَعَـهُ إِلَـى غَـزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا شَرَعَ اللهُ الحِجَابَ لِلنِّسَاءِ، وَفِي طَرِيْقِ العَوْدَةِ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ المُسْلِمُونَ مِنَ المَدِيْنَةِ، نَزَلَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ هَوْدَجِ البَعِيْرِ لِبَعْضِ شَأْنِهَا، فَلَمَّا عَادَتْ افْتَقَدَتْ عِقْدًا لَهَا، فَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ، فَحَمِلَ الرِّجَالُ هَوْدَجَهَا، فَوَضَعُوهُ عَلَى البَعِيْرِ وَهُمْ يَحْسَبُونَهَا فِيْهِ - إِذْ كَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا صَغِيْرَةً خَفِيْفَةً-، وَمَضَى المُسْلِمُونَ إِلَى المَدِيْنَـةِ، تَارِكِيْهَـا فِـي البَيْـدَاءِ، وَقَـدْ وَجَـدَتْ عِقْدَهَـا، وَفَقَدَتِ الرَّكْبَ، فَمَكَثَتْ فِي مَكَانِهَا، تَنْتَظِرُ أَنْ يَعْرِفُوا خَبَرَهَا، وَيَعُودُوا إِلَيْهَا، فَمَرَّ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّـلَمِيُّ -وَهُوَ مِنْ خِيْرَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - فَحَمَلَهَا عَلَى بَعِيْرِهِ، وَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى المَدِيْنَةِ،فَوَصَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ دُخُولِ الرَّسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ اسْتَغَلَّ المُنَافِقُونَ هَذَا الحَادِثَ، وَنَسَجُوا حَوْلَهُ، وَتَوَلَّى ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُبِيِّ بْن سَلُولَ، وَأَغْرَى

---

(١) «مُعْجَمُ السَّفَرِ» (٢٠٤)، وَالشَّنْآنُ: البُغْضُ.

(٢) «دِيْوَانُ جَرِيْرٍ» (٤١٢).

بِالكَلاَمِ مِسْطَحَ بْنِ أُثَاثَةَ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَحِمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَاتُّهِمَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ بِالإِفْكِ.

وَضَاقَ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ ذَرْعًا بِدَعَايَاتِ المُنَافِقِيْنَ، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ لِلمُسْلِمِيْنَ وَهُمْ مَجْتَمِعُونَ فِي المَسْجِدِ، مُعْلِنًا ثِقَتَهُ بِزَوْجَتِهِ وَبِالصَّحَابِيِّ صَفْوَانَ بْنِ المُعَطَّلِ، وَقَدْ أَبْدَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، اسْتِعْدَادَهُ لِقَتْلِ مَنْ يُرَوِّجُ ذَلِكَ، فَأَظْهَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مُعَارَضَتَهُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيِّ بْن سَلُولَ مِنَ الخَزْرَجِ، حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَقَعَ الفِتْنَةُ بَيْنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَدَّأَهُمْ.

وَمَرَضَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ ﷺ فِي الذِّهَابِ إِلَى بَيْتِ أَبِيْهَا، فَأَذِنَ لَهَا، ثُمَّ عَلِمَتْ بِخَبَرِ الإِفْكِ، فَكَانَتْ لاَ يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ، وَلاَ تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ أَنْ يُعْلِمَ اللهُ نَبِيَّهُ بِبَرَاءَتِهَا بِرُؤْيَا صَادِقَةٍ، وَقَدْ انْقَطَعَ الوَحْيُ شَهْرًا، عَانَى خِلاَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَشَدَّ المُعَانَاةِ؛ فَقَدْ طَعَنَهُ المُنَافِقُونَ فِي عِرْضِهِ، وَآذَوْهُ فِي زَوْجِهِ، وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَى الوَحْيِ، وَهُوَ فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، لِتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ، وَيُخْرِسَ أَلْسُنَ النِّفَاقِ، وَيَذُبَّ عَنْ زَوْجِهِ الحَبِيْبَةِ، وَأَبِيْهَا الَّذِي كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ الوَحْيُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا

بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨﴾ [النُّور: ١١-١٨][1].

فَهَلْ رَأَيْتَ -أَخِي- وَعِيدًا لِلعُصَاةِ كَهَذَا؟!، إِنَّهُ وَعِيدٌ عَظِيمٌ حَتَّى قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ[2]: «لَوْ فَتَّشْتَ القُرْآنَ كُلَّهُ عَمَّا أُوْعِدَ بِهِ العُصَاةُ، لَمْ تَرَ اللهَ -تَعَالَى- قَدْ غَلَّظَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيْظَهُ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا-»[3].

لاَ يُذْكَرُ الطُّهْرُ إِلا قِيلَ عَائِشَةٌ ... رَمْزٌ لَهُ وَهُوَ نُورٌ فِي مُحيَّاهَا
نُجِلُّها نُطْرِبُ الدُّنْيَا بِرَوْعَتِهَا ... إِذَا انْبَرَى بِكَلَامِ السُّوءِ أَشْقَاهَا
نُرَتِّلُ الوَحْيَ صَفْوًا عَنْ طَهَارَتِهَا ... وَلَا نُبَالِي بِصَوْتٍ خَاسِئٍ تَاهَا[4]

قال حَسَّانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمْدَحُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

حَصَانٌ[5] رَزَانٌ[6] مَا تُزَنُّ[7] بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى[8] مِنْ لُحُومِ الغوافِلِ
عَقِيلَةُ[9] حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ ... كِرَامِ المَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا[10] ... وطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ

---

(١) انْظُرْ: قِصَّةُ الإِفْكِ فِي «البُخَارِيُّ» (٤٧٥٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).
(٢) الزَّمَخْشَرِيُّ مُعْتَزِلِيٌّ جَلْدٌ، قَالَ البُلْقِينِيُّ: «اسْتَخْرَجْتُ مِنَ الكَشَّافِ اعْتِزَالاً بِالمَنَاقِشِ».
(٣) «الكَشَّافُ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ (٣/ ٢٢٣)، وَلَا نَنْصَحُ بِالكِتَابِ إِلاَّ لِعَالِمٍ، أَوْ طَالِبِ عِلْمٍ.
(٤) «حَبِيْبَاتُ المُصْطَفَى، أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِيْنَ» (١١٦)، لِلكَاتِبِ.
(٥) الحصانُ: المرأةُ العفيفةُ.
(٦) الرزانُ: المرأةُ إذا كَانَتْ ذاتَ وقارٍ.
(٧) مَا تُزِنُّ: مَا تُتْهَمُ.
(٨) الغرثى: التي لا تَغْتَابُ أحدًا.
(٩) العقيلةُ: الكريمةُ.
(١٠) الخيمُ: الأصلُ.

حَـلِيلَةُ خَـيْرِ الْخَلْـقِ دِينًـا ومَنْصِبًـا نَبـيِّ الْهُـدى والمَكْرُمَـاتِ الْفَوَاصِـلِ

رأيتــك وَلْـيَـغْـفِرْ لَـكِ اللـهُ حُـرَّةً مِـنَ المُحْصِنَـاتِ غَيْـرَ ذاتِ الْغَوَائِـلِ[1]

---

(١) سيرةُ ابنِ هشامٍ (٣/ ٣٣٤).

غَزْوَةُ الخَنْدَقِ (الأَحْزَابُ)

وَيَـوْمُ أقْـبَلَتِ الأَحْـزَابُ وانهزَمَـتْ   وَكُـمْ خَبَـا لَهَـبٌ بِالشِّـرْكِ مَشْـعُولُ[1]

١- وَقْتُهَا:

كَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ.

٢- سَبَبُهَا:

سَبَبُهَا وَاحِدٌ لاَ غَيْرَ -وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الأَلْسُنُ- وَهُوَ مَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٧].

٣- كَيْفَ تَجَمَّعَ الأَحْزَابُ؟:

ذهَـبَ رَهْـطٌ مِـنَ الْيَهُـودِ نَحْـوَ مَكَّـةَ لِيُؤَلِّبُوا أَهْلَهَا وَيُحَرِّضُوهُمْ عَلَى غَزْوِ المَدِيْنَـةِ، وَلَمَّـا وَجَـدُوا مِنْهُـمْ اسْـتِجَابَةً، تَوَجَّهُـوا نَحْـوَ غَطَفَـانَ؛ لِيَكْتَمِـلَ عِقْدُ الأَحْزَابِ، وَتَدَاعَتِ الجُمُوعُ، وَأَقْبَلَ الشَّرُّ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، فَخَرَجَتْ مِنَ الجَنُوبِ قُرَيْشٌ، وَكِنَانَةُ، وَأَهْلُ تِهَامَةَ، وَوَافَاهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ، وَخَرَجَتْ مِنَ الشَّرْقِ قَبَائِلُ غَطَفَانَ، وَكَذَلِكَ خَرَجَتْ بَنُو أَسَدٍ، وَاتَّجَهَتِ الأَحْزَابُ الكَافِرَةُ صَوْبَ المَدِيْنَةِ.

٤- عَدَدُ جَيْشِ الأَحْزَابِ:

كَانَ عَدَدُ جَيْشِ الأَحْزَابِ يَبْلُغُ عَشَرَةَ آلاَفِ مُقَاتِلٍ، أَيْ يَزِيْدُ عَلَى عَدَدِ سُكَّانِ المَدِيْنَةِ رِجَالًا وَنِسَاءً،صِغَارًا وَكِبَارًا، فِي جُوعٍ شَدِيْدٍ، وَبَرْدٍ وَزَمْهَرِيْرٍ، وَعُدَّةٍ قَلِيْلَةٍ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٦٢).

٥- عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِينَ:

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ -وَتَابَعَهُ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ-: أَنَّهُمْ ثَلاثَةُ آلافِ مُقَاتِلٍ[1].

٦- انْقِسَامُ النَّاسِ تِجَاهَ الأَحْزَابِ:

انْقَسَمَ النَّاسُ تِجَاهَ الأَحْزَابِ إِلَى قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الأَوَّلُ:

وَهُمُ المُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِوَعْدِ اللهِ، وَصَدَّقُوا بِنَصْرِ رِسَالَتِهِ.

قَالَ الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ١٣].

القِسْمُ الثَّانِي:

وَهُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ فَقَدْ تَزَعْزَعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَانْخَلَعَتْ صُدُورُهُمْ لِرُؤْيَةِ الجُمُوعِ وَالعَدَدِ والعُدَّةِ.

قَالَ الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ١٢].

٧- حَفْرُ الخَنْدَقِ:

اشْتَغَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُقَارَعَةِ العَدُوِّ، وَأَخَذَ العُدَّةَ، وَحَفَرَ الخَنْدَقَ، وَكَانَ طُوْلُهُ خَمْسَةَ آلافِ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهُ تِسْعَةَ أَذْرَاعٍ، وَعُمْقُهُ سَبعَةَ أَذْرُعٍ إِلَى عَشَرَةٍ، وَكَانَ عَلَى كُلِّ عَشَرَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ حَفْرُ أَرْبَعِيْنَ ذِرَاعًا.

---

(١) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢/ ٢٢٠) ذُكِرَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِدُونِ إِسْنَادٍ.

وَقَدْ تَوَلَّى المُهَاجِرُونَ الحَفْرَ مِنْ نَاحِيَةِ حِصْنِ رَاتِجٍ فِي الشَّرْقِ إِلَى حِصْنِ ذُبَابٍ، وَالأَنْصَارُ مِنْ حِصْنِ ذُبَابٍ إِلَى جَبَلِ عُبَيْدٍ فِي الغَرْبِ، وَقَدْ تَمَّ حَفْرُهُ بِسْرْعَةٍ عَجِيْبَةٍ، وَفِي سِتَّةِ أَيَّامٍ -فَقَطْ- رَغْمَ الجَوِّ البَارِدِ، وَالمَجَاعَةِ الَّتِي أَصَابَتِ المَدِيْنَةِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ[1].

٨- أَمَرَ النبيُّ ﷺ بالنساءِ والأطفالِ فَوُضِعُوا في الحصونِ.

فواطَنَ أطْرَافَ البَسِيطَةِ ذِكْرُهُ ... وصِيْنَتْ حصونٌ باسمِهِ وثغورُ

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كُنْتُ أَنا وَعُمَرُ بنُ أبي سَلَمَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ في أُطُمِ[2] حَسَّانَ فَكانَ يُطَأْطِيءُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِيءُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ[3].

٩- تَنْظِيمُ الجَيْشِ:

كَرَوْضَةٍ أَخَذَتْ بِالغَيْثِ زُخْرُفُهَا ... فَالرَّوْضُ مُنْتَظِمٌ، وَالغَيْثُ مُنْتَشِرُ[4]

رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَهُ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُمْ إِلَى جَبَلِ سَلْعٍ دَاخِلَ المَدِيْنَةِ، وَوُجُوهَهُمْ إِلَى الخَنْدَقِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ نَزَلُوا رُوْمَةَ[5] بَيْنَ الجُرْفِ[6] وَالغَابَةِ وَنَقَمَى[7] [8].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).

(٢) الْأُطُمُ: الحصينُ، وجَمْعُها آطامُ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٣٧٢٠)، مسلمٌ (٢٤١٦).

(٤) «دِيْوَانُ المَعَانِي» (٧٢).

(٥) رُوْمَة -بِالضَّمِّ-: بِئْرٌ مَعْرُوفَةٌ عَلَى نِصْفِ فَرْسَخٍ مِنَ المَدِيْنَةِ.

(٦) الجُرْف -بِالضَّمِّ ثُمَّ السُّكُون- مَوْضِعٌ عَلَى ثَلاثَةَ أَمْيَالٍ مِنَ المَدِيْنَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ.

(٧) نَقَمَى -بِزِنَةِ جَمَزَى- مِنْطِقَة بِشِمَالِ المَدِيْنَةِ وَشَمَال أُحُدٍ.

(٨) انْظُرْ «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢١/ ١٢٩-١٣٠).

الـجَيْشُ جَيْشُـكَ غَيْـرَ أَنَّـكَ جَيْشُـهُ فِـي قَلْبِـهِ وَيَمِيْنِـهِ وَشِـمَالِهِ[١]

١٠- مُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَفْرُ الخَنْدَقِ:

تَيَـمَّمْتَهُ وَالسَّـعْدُ حَوْلَـكَ جَحْفَـلٌ وَقَـارَعْتَهُ وَالنَّصْـرُ دُونَـكَ خَنْـدَقُ[٢]

ظَلَّ المُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ بِقُوَّةٍ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ، وَيَحْمِلُونُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ؛ وَفِيْهِمْ مَنْ كَانَ لاَ يَخْدُمُ نَفْسَـهُ مِنَ التُّجَارِ وَالزُّعَمَاءِ، وَقَدْ اسْـتَوَوْا جَمِيْعًا فِي الحَفْرِ وَحَمْلِ الأَتْرِبَةِ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الحَمَاسِ، يُرَدِّدُونَ الأَهَازِيْجَ، وَالرَّسُـولُ ﷺ يَحْفـرُ مَعَهُـمْ، وَيَنْقِـلُ التُّـرَابَ، حَتَّـى اغْبَـرَّ بَطْنُهُ، وَوَارَى التُّرَابُ جِلْدَهُ، وَقَدْ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا لِفَرْطِ الجُوعِ[٣].

وَكَانَ الصَّحَابَـةُ -رِضْـوَانُ اللـهِ علَيْهِـمْ- يَلْجَئُـونَ إِلَيْـهِ إِذَا عَرَضَـتْ لَهُـمْ صَخْـرَةٌ، فَيَأْخُـذُ المِعْـوَلَ، وَيُفَتِّـتُ الصَّخْـرَةُ[٤]، وَكَانَ ﷺ يُـرَدِّدُ مَعَهُمْ الأَهَازِيْجَ وَالأَرْجَازَ مُشَارَكَةً لَهُمْ وَتَوَاضُعًا.

اللَّهُـمَّ لَـوْلَا أَنْتَ مَـا اهْـتَدَيْنَا وَلَا تَـصَـدَّقْـنَـا وَلَا صَلَّـيْـنَـا
فَـأَنْـزِلَـنْ سَكِـيـنَـةً عَـلَـيْـنَـا وَثَـبِّـتِ الأَقْـدَامَ إِنْ لَاقَـيْـنَـا
إِنَّ الأُلَـى قَـدْ بَغَـوْا عَـلَـيْـنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِـتْـنَـةً أَبَـيْـنَـا

وَكَانَ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا[٥].

---

(١) «الإِبَانَةُ عَنْ سرقَاتِ المُتَنَبِّي» (٤٠).
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤١٢).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٣٩).
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠٦)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٣).

وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَقُولُونَ - وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

فَكَانَ ﷺ يُجِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ:

اللهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

وَرُبَّمَا يَبْدَؤُهُمْ بِقَوْلِهِ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ»[١].

١١- نَقْضُ قُرَيْظَةَ لِلعَهْدِ:

وَرَأَيْتُ نَقْضَ العَهْدِ ذَنْبًا يُحْتَوى أَبَدًا وَكَشْفَ السِّرِّ شَيْئًا مُفْحِشًا[٢]

اشْتَدَّ الخَطْبُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ عِنْدَما بَلَغَهُمْ أَنَّ حُلَفَاءَهُمْ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَكَثُوا العَهْدَ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، وَكَانَتْ دِيَارُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي العَوَالِي فِي الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لِلمَدِيْنَةِ عَلَى وَادِي مَهْزُوزٍ، فَكَانَ مَوْقِعُهُمْ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ إِيْقَاعِ ضَرْبَةٍ بِالمُسْلِمِيْنَ مِنَ الخَلْفِ.

وَوَصَفَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ البَلاءَ الَّذِي أَصَابَ المُسْلِمِيْنَ بِوَصْفٍ عَجِيْبٍ، كَأَنَّ العَيْنَ تَرَاهُمْ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾**﴾ [الأَحْزَابُ: ١٠-١١].

١٢- انْجِلاءُ الغُمَّةِ:

لَا تَأْخُذُ الْغُمَّةُ الْكُبْرَى مَآخِذَهَا مِنْكُمْ وَإِنْ صَغُرَتْ تِلْقَاءَهَا الْغُمَمُ[٣]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠٠)، وَمُسْلِمٌ (١٨٠٥).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٧/ ٣١).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٥/ ٢٦٦).

لَمَّـا أَرَادَ اللـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى انْجِـلاَءَ الغُمَّـةِ، وَتَفْرِيْـجُ الكُرْبَـةِ، صَنَـعَ أَمْرًا مِنْ عِنْدِهِ، فَأَرْسَـلَ عَلَـى الأَحْـزَابِ رِيْـحَ الصَّبَـا[1]، فَاقْتَلَعَـتْ خِيَامَهُـمْ، وَكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وَأَطْفَـأَتْ نِيْرَانَهُـمْ، وَدَفَنَـتْ رِحَالَهُـمْ وَآمَالَهُـمْ، فَلَـمْ تَـدَعْ قِـدْرًا إِلَّا كَفَأَتْهَا، وَلاَ طُنُبًا[2]، إِلاَّ قَلَعَتْهُ، وَلاَ قَلْبًا إِلاَّ أَهْلَعَتْهُ وَأَرْعَبَتْهُ.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأَحْزَابُ: ٩].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**»[3].

بَعْدَهُـا انْفَـضَّ الأَحْـزَابُ عَـنِ المَدِيْنَـةِ، فَتَنَفَّـسَ المُسْـلِمُونَ الصَّعْـدَاءَ، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾ [الأَحْزَابُ: ٢٥].

رامَـتْ بِجَهلَتِهَـا أَمْـرًا وَلَـوْ عَلِمَـتْ ... مَـاذَا أُعِـدَّ لَهـا فِـي الغَيْـبِ لَـمْ تَـرُمِ
فَـخَيَّـبَ اللـهُ مَسْعَـاهَا وَغَـادَرَهَا ... نَهْبَ الرَّدَى وَالصَّدَى وَالرِّيْحِ وَالطَّسَـمِ
فَقوَّضَـتْ عُمُـدَ التَّرْحَـالِ، وَانصَرَفَـتْ ... لَيْـلًا إِلَـى حَيْـثُ لَـم تَسْـرَحْ وَلَـمْ تَسُـمِ
وَكَيْـفَ تَحْمَـدُ عُقْبَـى مَـا جَنَـتْ يَدُهَـا ... بَغْيًـا وَقَـدْ سَـرَحَتْ فِـي مَرْتَـعٍ وَخِمٍ؟!
قَـدْ أَقبَلَـتْ وَهِـيَ فـي فَخْـرٍ وَفِي جَذَلٍ ... وَأَدْبَـرَتْ وَهِـيَ فِـي خِـزْيٍ وَفِـي سَـدَمِ
مَـنْ يَركَـبِ الغَـيَّ لا يَحْمَـدْ عَوَاقِبَـهُ ... وَمَـنْ يُطِـعْ قَلْبُـهُ أَمْـرَ الهَـوَى يَهِـمِ![4]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥/ ٤٧)، وَمُسْلِمٌ (٢/ ٦١٧).

(٢) الطُّنُبُ - بِضَمَّتَيْنِ- الوَتَدُ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٩٠٠).

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١/ ١٦)، وَغادَرَهَا: بَقَّاهَا، الرَّدَى: الهَلاَك، وَالصَّدَى: العَطَشُ، =

وَقَالَ الصرصري - رَحِمَهُ اللهُ-:

مؤيد الجيش بالأملاكِ تقدمهُ ... للنصرِ في حَوْمَةِ الهيجاءِ ريح صبا
فأصبحَ الدِّينُ معمور الجناب بِهِ ... ومربع الكفر أضحى مقفرًا خَرَبَا

١٣- مُدَّةُ لَبْثِ الحِصَارِ:

فَذَاقُوا بِهِ مُرَّ الحِصَارِ فَأَصْبَحُوا ... لَهُمْ ذَلِكَ الحِصْنُ الحَصِيْنُ حَصِيْرُ[(١)]

دَامَ الحِصَارُ شَهْرًا[(٢)]، قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدًا لأَوْسِ، وَقُتِلَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ أَرْبَعَةٌ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ أَقَلَّ الغَزَوَاتِ قَتْلَى، وَلَمْ يَقَعِ الْتِحَامٌ مُبَاشِرٌ بَيْنَهُمْ؛ حَيْثُ حَالَ الخَنْدَقُ دُونَ ذَلِكَ، وَكَانَ طُولُ الحِصَارِ سَبَبًا فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّةِ الأَحْزَابِ، وَاسْتَجَابَ اللهُ ﷻ دعاء نبيه ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، هَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»[(٣)].

١٤- البشارةُ بتَغْيِيرِ الاسْتِرَاتِجيَّةِ الحربيَّةِ:

بَعْدَ مَعْرَكَةِ الأَحْزَابِ زُفَّتِ البَشَائِرُ، وَأَشْرَقَتِ المَدِيْنَةُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**»[(٤)].

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ الاسْتِرَاتِجِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَرْحَلَةِ الدِّفَاعِ إِلَى

= وَالطَّسَمِ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الظَّلَامُ، وَالجَذَل: الفَرَحُ، والسَّدَمِ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الغَيْظُ مَعَ الحُزْنِ.

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٢٤).

(٢) «تَفْسِيْرُ الطَّبَرِيِّ» ١٢/ ١٢٨)، وَ«زَادُ المِعَادِ» (٩/ ٢٤).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٥)، وَمُسْلِمٌ (١٧٤٢).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٠).

مَرْحَلَةِ الهُجُومِ.

ثُـمَّ اِسْـتَشَارَتْ قُرَيْـشٌ -وَهِـيَ ظالِمَـةٌ- أَحْـلَافَهَا وَأَتَـتْ فِـي جَحْفَـلٍ لَهِـمِ
تَستَمرِئُ البَغْيَ مِنْ جَهْلٍ، وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ الجَهَالَـةَ مَـدْعَاةٌ إِلَى الثَّـلَمِ
فَـخَنْدَقَ المُؤمِنُـونَ الـدَّارَ وَانتَصَبُـوا لِحَرْبِهِـمْ كَضَـوَارِي الأُسْـدِ فِـي الأَجَمِ
فَمَـا اِسْـتَطَاعَتْ قُرَيْـشٌ نَيْـلَ مَـا طَلَبَتْ وَهَـلْ تَنَـالُ الثُّرَيَّـا كَـفُّ مُسْـتَلِمِ[1]

١٥- ما حَصَلَ في غزوةِ الأحزابِ من المعجزاتِ:

لـه معجـزاتٌ لا يُـوارى ضياؤهـا وكيفَ يُوارَى الصبحُ أم كيفَ يُكْتَمُ[2]

عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنَّبيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا[3]، فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شـيءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَـدِيدًا فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرابًا فِيهِ صاعٌ مِنْ شَـعِيرٍ، وَلَنا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ[4] فَذَبَحْتُها، وَطَحَنَتْ الشَّـعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلى فَراغِي[5]، وَقَطَّعْتُها في بُرْمَتِها[6]، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنا وَطَحَنَّا صاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنا، فَتَعالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصاحَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنْ**

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِي» (١٥/ ٦٠٦)، وَاللهِمُ: الأَكُون، وَاسْتَمْرَأَ الطَّعَامَ: وَجَدَهُ مَرِيئًا (أَيْ: هَنِيئًا حَمِيْدَ المَغَبَّةِ).

(٢) ابنُ معصومٍ (٣٤٤).

(٣) خَمَصًا: أي جوعًا.

(٤) أي سمينةٌ.

(٥) أي ففرغتُ من طَحْنِ الشعيرِ حين فَرَغْتُ من ذبحِ البهيمةِ.

(٦) البرمةُ: القِدْرُ التي تُطْبَخُ فيه.

جابرًا سُورًا[١] **فَحَي هَلاَ بهَلْكُمْ**[٢]»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُنْزِلُنْ بُرْمَتكُم، وَلا تَخْبزُنَّ عَجِينكُم حَتَّى أَجِيء**»، فَجِئْتُ وَجاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقالَتْ: بكَ وَبكَ[٣]، قَدْ فَعَلْتُ الَّذي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عجِينًا فَبَصَقَ وَبارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خابزَةً فَلْتَخْبزْ مَعِي، واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلا تُنْزِلُوها، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ باللهِ لَقَدْ أَكَلُو حَتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا[٤] وإنَّ بُرْمَتَنا. لَتَغِطُّ كَما هِيَ وإنَّ عَجِينَنا لَيُخْبَزُ كَما هُوَ[٥].

---

(١) السْورُ: كلمةٌ حبشيةٌ معناها الضيفُ.

(٢) أي: هَلُمُّوا مُسْرِعينَ.

(٣) أي: تعاتِبُهُ على ما فَعَلَ، وأَنَّ الطعامَ لن يكفيَ هذا العَدَدَ.

(٤) أي: ذهبوا.

(٥) متفقٌ عليه: أخرجَهُ البخاريُّ (٤١٠٢)، مسلمٌ (٢٠٣٨).

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا عَظَاهَا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ(١)

١- سَبَبُ الغَزْوَةِ:

سَبَبُ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ هُوَ مَا تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ الخَنْدَقِ مِنْ نَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمُعَاوَنَتِهِمُ الأَحْزَابَ عَلَى حَرْبِهِ.

٢- وَقْتُهَا:

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَتْ - أَيْ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ - لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ، فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

وَكَانَ عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِينَ ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ المُسْلِمِينَ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا(٢).

٣- تَعَجُّلُ النَّبِيِّ ﷺ لِقِتَالِهِمْ:

تَعَجَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ لِلخُرُوجِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّنُوا، وَيَأْخُذُوا العُدَّةَ لِذَلِكَ.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ،

(١) «دِيوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (١٧٥).

(٢) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٤٧١) بِتَصَرُّفٍ.

فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[١].

٤- جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ المَلائِكَةِ:

الرُّوحُ وَالمَلأُ المَلائِكُ حَوْلَهُ ... لِلدِّينِ وَالدُّنْيا بِهِ بُشَراءُ[٢]

كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ يَتَقَدَّمُهَا جِبْرِيلُ فِي مَوْكِبٍ مِنَ المَلائِكَةِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «**فَإِلَى أَيْنَ؟**» قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ[٣].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى غُبَارٍ سَاطِعٍ فِي سِكَّةِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبِ جِبْرِيلَ- صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ»[٤].

حَيُّوا المَلَائِكَةَ الأَبْرَارَ يَقْدُمُهُمْ ... جِبْرِيلُ فِي غَمَرَاتِ الهَوْلِ يَقْتَحِمُ
الأَرْضُ تَرْجُفُ رُعْبًا والسَّماءُ بِهَا ... غَيْظٌ يَظَلُّ عَلَى الكُفَّارِ يَحْتَدِمُ[٥]

٥- حُكْمُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ:

نَمَا سَيِّدُ الأَنْصَارِ سَعْدٌ، وَسَدَّدَتْ ... يَدٌ لَهُ فِي أَغْرَاضِهِ النَّصْرَ والسَّعَدَا[٦]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٩).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٤/ ١٥٠).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٧).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٨).

(٥) «دِيوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٩٩١).

(٦) «دِيوَانُ لِسَان الدِّين الخَطِيب» (٤١٠).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو[١] آثَارَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ[٢] مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، يَحْمِلُ مِجَنَّهُ[٣]، فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَتْ: فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ، فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ.

قَالَتْ: فَمَرَّ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَقُولُ:

لَبِّثْ قَلِيلًا يُدْرِكِ الْهَيْجَا[٤] حَمَلْ ... مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ

قَالَتْ: فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ الحَدِيقَةَ، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكِ، مَا جَاءَ بِكِ؟، وَاللهِ إِنَّكِ لَجَرِيئَةٌ، مَا يُؤَمِّنُكِ أَنْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ أَوبَلَاءٌ؟!.

قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنَّ الْأَرْضَ قَدِ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ نَصِيفَةٌ لَهُ، فَرَفَعَ الرَّجُلُ النَّصِيفَ[٥] عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ.

فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عُمَرُ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ، وَأَيْنَ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللهِ؟

قَالَتْ: وَرَمَى سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، بِسَهْمٍ

---

(١) أَقْفُو: أَتَّبِعُ.

(٢) وَئِيدَ الْأَرْضِ أَيْ: حِسَّهَا.

(٣) المِجَنَّه -بِالكَسْرِ- التُّرْسُ.

(٤) الهَيْجَا: أَي الحَرْبِ.

(٥) النَّصِيفَ: الخِمَار.

قَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ[١] فَقَطَعَهُ، فَقَالَ: اللهُمَّ لاَ تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَرَأَ كَلْمُهُ[٢]، وَبَعَثَ اللهُ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأَحْزَابُ: ٢٥].

فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عُيَيْنَةُ وَمَنْ مَعَهُ بِنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَتَحَصَّنُوا بِصَيَاصِيهِمْ[٣]، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَضُرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ، قَالَتْ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟!، فَوَاللهِ مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ، اخْرُجْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالرَّحِيلِ، وَلَبِسَ لأْمَتَهُ[٤]، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟ قَالُوا: مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، فَقَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ، فَحُمِلَ عَلَى حِمَارٍ، وَعَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ

---

(١) أَكْحَلَهُ: عِرْقَ فِي اليَدِ.

(٢) الكَلْم -بِالفَتْحِ- الجُرْح.

(٣) الصَّيَاصِي: الحُصُون، وَاحِدُهَا: صِيْصَةٌ - بِالكَسرِ -.

(٤) اللأْمَة: -بِالفَتْح- الدِّرْع.

النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ ذَرَارِيِّهِمُ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِي فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**».

قَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ، قَالَ: «**أَنْزِلُوهُ**»، فَأَنْزَلُوهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْكُمْ فِيهِمْ**»، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ**».

ثُمَّ دَعَا اللهَ سَعْدٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ، وَكَانَ قَدْ بَرَأَ مِنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا مِثْلَ الْحِمَّصِ[1].

قَالَتْ: فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَجَعَ سَعْدٌ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

قَالَ عَلْقَمَةُ: فَقُلْتُ أَيْ أُمَّهْ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ؟. قَالَتْ: كَانَ عَيْنَاهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ إِذَا وَجَدَ[2] إِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ[3].

---

(١) الْحِمَّص - بِالكَسرِ - الحَاءِ، وَتَشْدِيدِ المِيمِ مَكْسُورَةً أَوْ مَفْتُوحَةً -: حُبٌّ مَعْرُوفٌ، وَالعَوَامُّ يَقُولُونَ: حُمَّصٌ -بِضَمِّ الحَاءِ وَالمِيمِ المُشَدَّدَةِ -.

(٢) وَجَدَ: حَزِنَ.

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥١٤٠)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٦٧).

فلَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بن مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخفَّ جَنَازَتَهُ، وَذِلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بني قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبيَّ ﷺ فقَالَ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ**»(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرحمنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ**»(٢).

وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قال: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فقَالَ النبيُّ ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِبن مُعَاذٍ خَيرٌ مِنْهَا أَوْ أَلْيَنُ**»(٣).

٦- ضَرْبُ أَعْنَاقِ اليَهُودِ:

رَفَعُوا بِحَدِّ السَّيْفِ دِيْنَ هِدَايَةٍ   لَوْلاَ جَلِيْلُ صَنْعِهِمْ مَا قَامَا(٤)

لَمَّا اسْتَنْزَلُوا مِنْ حُصُونِهِمْ، حَبَسَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارٍ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، يَخْرُجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ الْقَوْمِ، وَهُمْ سِتُّمِائَةٍ أَوْ سَبْعُمِائَةٍ، وَسُبِيَ مَنْ لَمْ يَنْبُتْ مِنْهُمْ مَعَ النِّسَاءِ وَأَمْوَالِهِمْ»(٥).

فَعَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ». وفي

(١) أخرجهُ الترمذيُّ (٣٨٤٩)، الحاكمُ ٣/ ٢٠٧، وصحَّحهُ الألبانيُّ «المشكاةِ» (٦٢٢٨).
(٢) رواه البخاريُّ (٣٨٠٣)، مسلمٌ (٢٤٦٦).
(٣) رواه البخاريُّ (٣٨٠٢)، مسلمٌ (٢٤٦٨).
(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٩٠).
(٥) مَحَاسِنُ التَّأْوِيْلِ» (١٣/ ٢٤٤).

رواية: «فَكَشَفُوا عَانَتِي، فَوَجَدُوهَا لَمْ تَنْبُتْ، فَجَعَلُونِي مِنَ السَّبْيِ»[1].

ثُمَّ انِتَحَى بِوُجُوهِ الخَيْلِ سَاهِمَةً بَنِي قُرَيظَةَ في رَجْرَاجَةٍ حُطَمِ
خَانُوا الرَّسُولَ فَجَازَاهُم بِمَا كَسَبُوا وَفِي الخِيَانَةِ مَدعَاةٌ إِلَى النِّقَمِ[2]

٧- المرأةُ الوحيدةُ التي قُتِلَتْ من بني قُرَيْظَةَ:

قَتَلَتْ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَكَيْفَ تَنْجُو مِنَ العذابِ

عَنْ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: لَمْ تُقْتَلْ مِنْ نِسائِهِمْ - تَعْنِي بني قُرَيْظَةَ- إِلَّا امْرَأَةٌ، إِنَّها لَعِنْدِي تُحَدِّثُ: تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجالَهُمْ بِالسُّيُوفِ، إِذْ هَتَفَ هاتِفٌ باسْمِها: أَيْنَ فُلانَةُ؟ قَالَتْ: أَنا، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: حَدَثٌ أَحْدَثْتُهُ[3]، قَالَتْ: فَانْطَلَقَ بها، فَضُرِبَتْ عُنُقُها، فَما أَنْسَى عَجَبًا مِنْها: أَنَّها تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا[4] وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّها تُقْتَلُ[5].

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ(٤٤٠٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ(١٥٨٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٦/ ١٥٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (٢٥٤)، وَأَحْمَدُ(٤/ ٣١٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ ابْنُ مَاجَهْ» (٢٥٤).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(١٥/ ٦٠٦) وَانِتَحَى: مَالَ وَتَوَجَّهَ إِلَى. وَفَرَسٌ سَاهِمُ الوَجْهِ: مَحْمُولٌ عَلَى كَرِيْهَةِ الجَرْي، وَقَدْ سُهِمَ. وَكَتِيْبَةٌ رَجْرَاجَةٌ: تَمُوجُ وَلاَ تَكَادُ تَسِيْرُ لِكَثْرَتِهَا. حُطَمَ أَيْ: عَنِيْفَة تَحْطِمُ مَا تَلْقَى.

(٣) طَرَحَتْ الرَّحَى على خَلاَّدَ بنَ سُوَيْدٍ فَقَتَلَتْهُ.

(٤) قولها: [ظهرًا وبطنًا] مَعْنَاهُ أَنَّها في غايةِ الارتياعِ والسُّرُورِ، وهو كناية عن شدة ارتياحها وطمأنينتها وعدم حصول الألم والضجر منها. فمن شدة ضحكها قد تسقط على ظهرها، وتستلقي على بطنها.

(٥) صحيحٌ: أخرجَهُ أحمدُ ٦/ ٢٧٧، أبو داودَ (٢٦٧١)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ «صحيحُ سُنَنِ داودَ» (٢٣٢٥).

قَتْلُ أَبِي رَافِعٍ سَلاَم بْنِ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ

وَسَامَ أَعْدَاءَكَ الأَشْقِينَ مَا كَسَبُوا   وَمَنْ تَرَدَّاهْ رِدَاءَ الغَدْرِ أَرْدَاهُ

أَبُو رَافِعٍ سَلاَمُ بْنُ أَبِي الحَقِيْق، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ مِمَّنْ حَزَّبَ الأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ يَا عَبْدَ اللهِ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا، فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنْ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا

رَافِـعٍ، فَقَـالَ: لِأُمِّـكَ الْوَيْـلُ، إِنَّ رَجُـلًا فِـي الْبَيْـتِ ضَرَبَنِـي قَبْلُ بِالسَّـيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: ابْسُطْ رِجْلَكَ، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ»[1].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٣٩).

غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ

وَفـي الحُدَيْبِيَـةِ الصُّلحُ اِسـتَتَبَّ إِلَـى عَشْـرٍ وَلَـم يَجـرِ فِيْهَـا مِـنْ دَمٍ هَـدَمِ[١]

١- مَوْقِعُ الحُدَيْبِيَةِ:

الحُدَيْبِيَةُ اسْمُ بِئْرٍ تَقَعُ عَلَى بُعْدِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِيْنَ كَيْلًا إِلَى الشَّمَالِ الغَرْبِيِّ مِنْ مَكَّةَ، وَتُعْرَفُ الآنَ بِالشَّمِيْسِيِّ، وَفِيْهَا حَدَائِقُ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَسْجِدُ الرِّضْوَانِ[٢]، وَأَطْرَافُهَا تَدْخُلُ فِي حُدُودِ الحَرَمِ المَكِّيِّ، وَمُعْظَمُهَا مِنَ الحِلِّ خَارِجَةٌ[٣]، وَقَدْ سُمِّيَتِ الغَزْوَةُ بِهَا؛ لِأَنَّ قُرَيْشًا مَنَعَتِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ وَهُمْ فِي الحُدَيْبِيَةِ.

٢- وَقْتُهَا:

كَانَ خُرُوجُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحُدَيْبِيَةِ مُسْتَهَلَّ ذِي القَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ السِّيْرَةِ[٤].

٣- المَقْصُودُ مِنْهَا:

قَصَدَ ﷺ بِخُرُوجِهِ العُمْرَةَ[٥]، وَبَلَغَ عَدَدُ المُسْلِمِيْنَ فِي الحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ[٦]، وَلَمَّا وَصَلَ المُسْلِمُونَ إِلَى ذِي الحُلَيْفَةِ صَلُّوا، وَأَحْرَمُوا

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٦/ ٦٠٦).

(٢) «نَسَب حَرْبٍ» (٣٥٠).

(٣) «زَادُ المعَادِ» (٣/ ٣٨٠).

(٤) «دَلَائِلُ النُّبُوَّة» (٢/ ٢١٢).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٨٥٦).

بِالعُمْرَةِ[١]، وَسَاقُوا الهَدْيَ سَبْعِيْنَ بَدَنَةً[٢] [٣].

٤-مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم:

فَشَاورْ نُجُومَ السَّعْدِ روالقِ بِصَدْرِهَا إِلَى فَلَقٍ فِيْهِ الصَّبَاحُ كَمِيْنُ[٤]

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَيْنًا إِلَى مَكَّةَ، هُوَ بِسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الخُزَاعِيُّ الكَعْبِيُّ[٥]، وَمَضَى المُسْلِمُونَ إِلَى أَنْ وَصَلُوا عُسْفَانِ عَلَى ثَمَانِيْنَ كَيْلًا مِنْ مَكَّةَ، فَجَاءَهُم بِسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الخُزَاعِيُّ الكَعْبِيُّ بِخَبَرِ قُرَيْشٍ، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ بِمَسِيْرِهِمْ، وَجَمَعَتْ لَهُمُ الجُمُوعُ لِصَدِّهِمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، وَأَنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ خَرَجَ بِخَيْلِهِمْ إِلَى كُرَاعِ الغَمِيْمِ - عَلَى بُعْدِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّيْنَ كَيْلًا عَنْ مَكَّةَ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْ يَغِيْرَ عَلَى دِيَارِ الَّذِيْنَ نَاصَرُوا قُرَيْشًا، وَاجْتَمَعُوا مَعَهَا؛ لِيَدْعُوا قُرَيْشًا، وَيَعُودُوا لِلدِّفَاعِ عَنْ دِيَارِهِمْ، فَقَالَ: أَشِيرُوا -أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ ﷻ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «**امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ**»[٦].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٢) (حَسَنٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ٣٢٣)، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

(٣) البَدَنَة: النَّاقَة، سُمِّيَتْ بَدَنَةً لِعِظَمِهَا وَضَخَامَتِهَا.

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨١/ ٤٥٣).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٨).

طَلَبْتَ عَزِيـزًا لاَ يَنَـالُ، فَـإِنْ يَكُـنْ فَـــإِنَّ أَبَـا بَـكْرٍ بِـذَاكَ جَـدِيْـرُ
رَضَيْـتَ بِـهِ حَظًّـا مِـنَ النَّـاسِ كُلِّهُـمْ فَـمَـا بَـعْدَهُ حُـرٌّ إِلَـيْهِ نُـشِيْرُ[1]

٥- صَلاَةُ الخَوْفِ:

أَنَـاخَ بِهِـمْ فِـي الأَمْـنِ خَـوْفٌ أَرَاهُـمُ كَأَنَّهُـمُ يَمْشُـونَ فَـوْقَ شَـفِيْرِ[2]

صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ، وَذَلِكَ فِي عُسْفَانَ، عِنْدَمَا عَلِمَ بِقُرْبِ خَيْلِ الْمُشْرِكِيْنَ مِنْهُمْ[3]، فَيَكُونُ أَوَّلَ صَلَاةِ خَوْفٍ صَلَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُسْفَانَ فِي الحُدَيْبِيَةِ.

٦- ثَنِيَّةُ المُرَارِ:

جَـيْشٌ مَشَـى جِبْرِيـلُ تَحْـتَ لِوَائِـهِ وَ مَشَـى النَّبِـيُّ (مُجَاهِـدًا) مِقْدَامًـا[4]

سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ طَرِيْقًا وَعِرَةً عَبْرَ ثَنِيَّةِ المُرَارِ، وَهِيَ مَهْبَطُ الحُدَيْبِيَةِ.

وَقَـالَ - كَمَـا رَوَى عَنْـهُ جَابِـرُ بْـنُ عَبْـدِ اللـهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**».

قَـالَ: فَـكَانَ أَوَّلَ مَـنْ صَعِدَهَـا خَيْلُنَـا خَيْـلُ بَنِـي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**»، فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ. قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ[5][6].

---

(١) «الحُلَّة السِّيَرَاء» لِابْنِ الأَبَّار (٢/ ٢١٠).
(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٢٠٠٥).
(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٦٦٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١١٣٣).
(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٨٩).
(٥) يَنْشُدُ ضَالَّةً أَيْ: يَسْأَلُ عَنْهَا.
(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٠).

وَقَدْ غَيَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرِيْقَ جَيْشِهِ تَجَنُّبًا لِلقِتَالِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ، وَخَيَّالَةِ المُشْرِكِيْنَ، فَلَمَّا أَحَسَّ خَالِدَ بِذَلِكَ رَجِعَ إِلَى مَكَّةَ.

فَأَصْبَحَتَ قَدْ غَادَرْتَ كُلَّ ثَنِيَّةٍ لَهَا مَنْهَجٌ يَهْدِي الأَدِلَّاءَ لَهْجَمُ[١]

٧- بُرُوكُ النَّاقَةِ:

تُصْغِي إِلَى أَمْرِ الزِّمَامِ كَمَا عَطَفَتْ يَدُ الجَانِي ذُرَا الغُصْنِ[٢]

لَمَّا اقْتَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالُوا: خَلأَتِ[٣] الْقَصْوَاءُ[٤]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً**[٥]**، يُعَظِّمُونَ فِيْهَا حُرُمَاتِ اللهِ**[٦]**، إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: ثُمَّ عَدَلَ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ إِلَى أَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ فَنَزَلَ عَلَى بِئْرٍ قَلِيْلَةِ الْمَاءِ، فَاشْتَكَى المُسْلِمُونَ العَطَشَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيْهَا، فَمَا زَالَ يَجِيْشُ[٧] بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَكَانَ تَكْثِيْرُ المَاءِ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ[٨].

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٣٩٠٦) وَمَنْهَج: الطَّرِيْقُ المُسْتَقِيْم، وَاللَّهْجَمُ: الطَّرِيْقُ الوَاضِحُ المُذَلَّل الوَاسِع.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ٤١) وَالذُّرا: جَمْعُ ذِرْوَةٍ -بِالتَّثْلِيْثِ-، وَذَرْوَةُ الشَّيْءِ: أَعْلاهُ.

(٣) خَلأَتْ: بَرَكَتْ.

(٤) الْقَصْوَاءِ: اسْمُ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِيْلَ: كَانَ طَرْفُ أُذُنِهَا مَقْطُوعًا، والقَصْوُ: قَطْعُ طَرَفِ الأُذُنِ، وَقِيْلَ: كَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَقِيْلَ لَهَا القَصْوَاءُ؛ لِأَنَّهَا بَلَغَتْ مِنَ السَّبْقِ أَقْصَاهُ.

(٥) خُطَّة أَيْ: خَصْلَة.

(٦) يُعَظِّمُونَ فِيْهَا حُرُمَاتِ اللَّه أَيْ: مِنْ تَرْكِ القِتَالِ فِي الحَرَمِ.

(٧) يَجِيْشُ: يَفُورُ.

(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١).

تحملـةُ الناقـةُ الأدمـاءُ معتجـرًا بالبُـردِ كالبـدرِ جلـى ليلـة الظلـمِ
وفـي عِطَافَيْـهِ أو أثنـاء بردتـه مـا يعلـم اللـه مـن ديـن ومـن كـرمِ[١]

٨- الحِكْمَةُ مِنْ بُرُوكِ النَّاقَةِ:

وَالـلهُ يَـحْكُمُ، ثُـمَّ يُمْضِـي حُكْمَـهُ فِـي الـكَائِنَاتِ كَمَـا يَـرَى وَيَشَـاءُ[٢]

قَـالَ بَعْـضُ أَهْـلُ العِلْـمِ: «إِنَّ ذَلِـكَ لِيُعْلِمَـهُ اللـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّـهُ أَرَادَ بِبَعَضِ أَهْلَ مَكَّةَ خَيْرًا، وَأَنَّهُ لَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْهِمُ الآنَ، وَأَنَّ دُخُولَهُ مَكَّةَ غَيْبٌ لَنْ يَأْتِ وَقْتُهُ، فَهَذَا تَعْلِيمٌ لَهُ ﷺ وَتَأْدِيبٌ، وَتَعْلِيمٌ لِأُمَّتِهِ، لِيَرُدُّوا كُلَّ الأَمْرِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٣].

٩- إِخْبَارُ النَّبِيِّ ﷺ قَرَيْشًا بِمَقْصَدِهِ:

وَلَـيْـسَ الـحَرْبُ مَـرْكَبَ كُـلِّ يَـوْمٍ وَلاَ الـدَّمُ كُـلَّ آوِنَـةٍ حَـلاَلاَ[٤]

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِقُرَيْشٍ عَنْ طَرِيْقِ رَجَالٍ مُحَايِدِيْنَ، وَبِوَاسِطَةِ رُسُلٍ أَرْسَلَهُمْ أَنَّهُ لاَ يُرِيْدُ الحَرْبَ، وَسَعَى لِبَيَانِ مَوْقِفِهِ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيْعًا أَنَّهُ يُرِيْدُ زِيَارَةَ البَيْتِ الحَرَامِ وَتَعْظِيْمَهُ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ تَتْرَى إِلَى قُرَيْشٍ يُعْلِنُونَ مَقْصَدَهُمْ، فَأَرْسَلَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيِّ، فَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ قَتْلَهُ، لَوْلاَ أَنْ مَنَعَهُمُ الأَحَابِيْشُ، وَأَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ عمَرَ، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى عُثْمَانَ؛ عِنْدَمَا بَيَّنَ عُمَرُ شَدِيْدَ عَدَاوَتِهِ لِقُرَيْشٍ، وَأَنَّهَا تَعْلَمُ ذَلِكَ، وَأَنَّ بَنِي عَدِيٍّ قَوْمَهُ لاَ يَحْمُونَهُ، فَذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى قُرَيْشٍ، فَأَجَارَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيْدِ بْنِ العَاصِ، حَتَّى أَبْلَغَهُمْ رَسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ سَمِحَتْ لَهُ قُرَيْشٌ بِالطَّوَافِ، فَأَبَى أَنْ يَسْبِقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

---

(١) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْد آل خَلِيفَة» (٤٣٣).

(٢) «المحاضرات في اللغةِ والأدبِ» (١٠٦٤).

(٣) «أَسْنَى المَطَالِبِ فِي أَحَادِيْث مُخْتَلِفَةِ المَرَاتِب» لِدَرْوِيْشِ الشَّافِعِيِّ (١/ ١٠٣).

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد شَوْقِي» (١/ ٣٣٤).

١٠- بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ:

لَعَمْرِي؛لَقَدْ شَدَّتْ عُرَا الدِّيْنِ بَيْعَةٌ أَعَزَّ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَحِّدِ(١)

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَان بْن عَفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى قُرَيْشٍ، فَحَبَسَتْهُ (أَيْ: أَخَّرَتْهُ) فَحَسِبَ المُسْلِمُونَ أَنَّهَا قَتَلَتْهُ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْبَيْعَةِ تَحْتَ شَجَرَةِ سَمُرَةٍ، فَبَايَعُوهُ جَمِيْعًا إِلَّا الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَ مُنَافِقًا - وَكَانَتِ البَيْعَةُ عَلَى المَوْتِ(٢).

وَقَدْ سُمِّيَتْ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ؛لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَضِيَ عَنْهُمْ بِهَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفَتْحُ: ١٨].

١١- سلمةُ بنُ الأكوعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يبايعُ النبيَّ ﷺ ثلاثَ مراتٍ:

هِمَمٌ مضَتْ في الغابرين وأمة ما بيننا منها سوى الأخبارِ

عن سلمةَ بنِ الأكوعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا. قَالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جبا الرَّكِيَّةِ(٣)، فَإِمَّا دعَا وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا، قَالَ: فَجَاشَتْ فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ:

---

(١) «مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ» (٣/ ١٠٦٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٦٩)، ومُسْلِمٌ (١٨٦٠).

(٣) البترُ.

«**بَايِعْ يَا سَـلَمَةُ!**»، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُـولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، قَالَ: «**وَأَيْضًا**»، قَالَ: وَرَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَزِلًا - يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ- قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ حَجَفَةً أو دَرَقَةً[1] ثُمَّ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَـلَمَةُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُـولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قَالَ: «**وَأَيْضًا**»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقِيَنِي عَمِّي عَزِلًا، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللهمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي**»، ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ راسَلُونَا الصُّلْحَ، حَتَّـى مَشَـى بَعْضُنَـا فِي بَعْـضٍ وَاصْطَلَحْنَـا، قَـال: وَكُنْـتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ أَسْـقِي فَرَسَـهُ وَأَحُسُّـهُ وَأَخْدِمُهُ، وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إلى اللهِ وَرَسُـولِهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا، فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا، قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَبْغَضْتُهُم فَتَحَوَّلْتُ إلى شَـجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَّقُوا سِـلَاحَهُمْ واضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَـا هُـمْ كَذَلِـكَ إِذْ نَـادَى مُنَـادٍ مِـنْ أسـفَلِ الْـوَادِي: يَـا لِلْمُهَاجِرِيـنَ قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ، قَالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَـيْفِي[2]، ثُمَّ شَـدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ، وَهُمْ رُقُودٌ فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا[3] فِي يَدِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجه مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَـهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ

(١) الترسُ.

(٢) أي سَلَلْتُهُ.

(٣) حُزْمَةً.

بِهِمْ أَسُوقُهُم إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَجَاءَ عمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ منَ الْعَبَلَاتِ[١] يُقَالُ لَهُ: مِكْرَزٌ يَقُودُهُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ[٢] في سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثِنَاهُ**»[٣]، فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٢٤][٤].

١٢- ما حَصَلَ في الحديبيةِ من المعجزاتِ:

لئنَّ فَجَّرَ النبوعَ موسى منَ الصفا فأحمدُ أروى منْ أنامِلِهِ الرَّكْبا

عن جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ[٥] فَتوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا في رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ في الرَّكْوَةِ فَجَعَل الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، فَقُيلَ لِجَابرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً[٦].

تَفَجَّرَ الماءُ من إِبهَامِ إصبَعِهِ كَأَنَّهُ نَهَرٌ أو هَاطِلٌ عَرِمُ

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ البَيْعَةِ أَحَادِيثُ، مِنْهَا:

(١) بطنٌ من قريشَ.
(٢) مجفَّفٌ: أي عليه تجفافٌ وهو ثوبٌ يلبسُهُ الفَرَسُ لِيَقِيَهُ من السلاحِ.
(٣) أي: لهم بَدْءُ الفجورِ، وثناه: أي العودةُ إليه مرةً ثانيةً.
(٤) مسلمٌ (١٨٠٧).
(٥) الرْكوةُ: إناءٌ صغيرٌ من جِلْدٍ يُشْرَبُ فيه الماءُ، والجَمْعُ رِكاءٌ.
(٦) رواه البخاريُّ (٤١٥٢)، ومسلمٌ (١٨٥٦).

قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(١).

وَقَالَ ﷺ لِمَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ**»(٢).

هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ يُشْرَعُ وَسْطَهَا ... بَابُ السَّلَامَةِ فَادْخُلُوا بِسَلَامِ(٣)

وَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ مَحْبُوسًا فِي قُرَيْشٍ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»،فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»(٤).

ثُمَّ رَجَعَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ مُبَاشَرَةً.

تَحُوطُكَ مِنْ عُلْيَا قُرَيْشٍ عِصَابَةٌ ... لَهَا الفَلَكُ الدَّوَّارُ تَعْنُو ذَوَائِبُهْ
جَرَرْتَ بِهِمْ مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... كَتَائِبَ عَزْمٍ نَائِيَاتٍ رَغَائِبُهْ
إِذَا مَرَّ مِنْهُمْ مَوْكِبٌ لَاحَ مَوْكِبٌ ... تمُجُّ زُعَافَ المَوْتِ صِرْفًا مَقَانِبُهْ
بكلِّ فَتَى مَاضِي العَزَائِمِ لَهْذَمٍ ... إِذَا اعتَزَّ شَأْنُ العُرْبِ يعْتَزُّ جَانِبُهْ
يَرُومُونَ مَجْدًا لَا تَنِي عَزَمَاتُهُمْ ... عَنِ المَجْدِ حَتَّى يُدْرِكَ المَجْدَ خَاطِبُهْ
دَفَعتَ بِهِم فِي وَجِهِ كُلِّ عَظِيْمَةٍ ... فَخَاضُوا إِلَيهَا الموْتَ دَهْمًا مَسَارِبُهْ
فَأَسْأَرْتَ للأَقْوَامِ فِي كُلِ وِجهَةٍ ... جَدًا لَم تَشُبْهُ بالأَذَاةِ شَوَائِبُهْ
وَغَادَرْتَ لِلإِسْلَام صَرْحًا مُمَرَّدًا ... تُنَاطِحُ أَعْنَانَ السَّماءِ مَنَاكِبُهْ(٥)

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٥٤).

(٣) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ».

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٩٨).

(٥) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ فِي مَدْحِ الرَّسُولُ ﷺ» (٣٩)، وَنَائِيَات: بَعِيْدَات.وَزُعَاف المَوْت- بِالضَّمِّ- سَرِيْعُهُ.والمَنَاقِب: جَمْعُ مِقْنَبٍ، وَهُوَ الجَمَاعَةُ مِنَ الخَيْلِ. وَاللَّهْذَمِ: الحَادُّ القَاطِعُ. =

صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ

يُدفَعُ الشَّرُّ بِالشُّرُورِ اضْطِرَارًا ... رُبَّ صُلْحٍ مِنَ الْوَغَى مُسْتَفَادُ(١)

أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ عَدَدًا مِن الرُّسُلِ لِلتَّفَاوُضِ، أَوَّلَهُمْ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَقَدْ لَاحَظَ تَعْظِيمَ الْمُسْلِمِيْنَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحُبَّهُمْ لَهُ، وَتَفَانِيَهُمْ فِي طَاعَتِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ قَالَ: أَيْ قَوْمُ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا -قَطُّ- يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ: دَعُونِي أَئْتِهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ، ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا فُلانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ**».

فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يُلَبُّونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ(٢)، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

=وَالدَّهْم: الكَثِيْر. وَالمَسَارِب: المَرَاعِي. فَأَسْأَرْتَ: فَأَبْقَيْتَ. وَغَادَرْتَ: تَرَكْتْ. وَالصَّرْح: القَصْر. وَالمُمَرَّد: المُطَوَّل.

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيّ» (٨٦/ ١٧) وَالوَغَى: الحَرْبُ.

(٢) أُشْعِرَتْ أَيْ: جُعِلَتْ عَلَيْهَا عَلامَة؛ لِيُعْرَفَ أَنَّهَا هَدْيٌ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: مُكْرِزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ لَهُمْ: دَعُونِي آتِهِ، قَالُوا: ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا مُكْرِزُ بْنُ حَفْصٍ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ**». فَجَاءَ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**».

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ**».

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ[1]،

---

(١) يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ أَيْ: يَثِبُ وَثْبًا خَفِيفًا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، فَالرَّسْفُ: مِشْيَةُ الْمُقَيَّدِ.

وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ، أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللهِ - إِذًا - لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَجِزْهُ لِي.

قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى، فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ»[1].

وَتَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَى الأُمُورِ الآتِيَةِ:

عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً - أَيْ -: بَيْنَهُمْ صَدْرٌ نَقِيٌّ مِنَ الغِلِّ والخِدَاعِ مَطْوِيٌّ عَلَى الوَفَاءِ بِالصُّلْحِ- وَإِنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ- أَيْ: لَا سَرِقَةَ وَلَا خِيَانَةَ -.

وَأَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ.

فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ، فَقَالُوا: نَحْنُ مَعَ عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَهْدِهِ.

وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ.

وَأَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَنَا هَذَا، فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١-٢٧٣٢).

خَرَجْنَا عَنْكَ، فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحَابِكَ، وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ لَا تَدْخُلْهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ.

هَكَذَا كَانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ، وَالوَاقِعُ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ تَذَمَّرُوا مِنْ هَذِهِ الاتِّفَاقِيَّةِ، وَضَاقُوا بِهَا ذَرْعًا؛ لِتَصَوُّرِ مُعْظَمِهِمْ أَنَّ فِي شُرُوطِ الصُّلْحِ إِجْحَافًا بِهِمْ، أَدَّتْ إِلَى غَضَبِ المُسْلِمِيْنَ، حَتَّى إِذَا أَمَرَهُمْ الرَّسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنْ يَنْحَرُوا الهَدْيَ، وَيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ بِمَشُورَةٍ مِنَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -فَذَبَحَ بُدْنَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهَ- «**قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ لِبَعْضٍ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا**»(١).

التَّهَيُّؤُ لِلعَوْدَةِ إِلَى المَدِيْنَةِ:

شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي التَّهَيُّؤِ لِلعَوْدَةِ إِلَى المَدِيْنَةِ، بَعْدَ أَنْ قَامُوا فِي الحُدَيْبِيَةِ عِشْرِيْنَ يَوْمًا، وَ بَعْدَ أَنْ تَحَلَّلَ المُسْلِمُونَ مِنْ عُمْرَتِهِمْ، وَشُرِعَ التَّحَلُّلُ لِلمُعْتَمِرِ، ولاَ يَلْزَمُهُ القَضَاءُ.

وَفِي طَرِيقِ العَوْدَةِ إِلَى المَدِيْنَةِ نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ۝١﴾ [الفَتْحُ: ١].

نزول سورة الفتح:

فِي مرجعهم مِنَ الحديبية عِنْدَ ضَجْنَان نَزَلَتْ سورة الفتح على رسول الله ﷺ.

وَقَدْ عَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَظِيْمِ فَرَحِهِ بِقَوْلِهِ: «**لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ، سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ۝١﴾ [الفَتْحُ: ١]»(٢).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٧٧).

وَبِنُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ انْقَلَبَتْ كَآبَةُ المُسْلِمِيْنَ إِلَى فَرَحٍ غَامِرٍ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُحِيطُوا بِالأَسْبَابِ وَالنَّتَائِجِ، وَأَنَّ التَّسْلِيْمَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيْهِ كُلُّ الخَيْرِ لَهُمْ، وَلِدَعْوَةِ الإِسْلَامِ(١).

وَإِذَا أَخَذْتَ العَهْدَ أَوْ أَعطَيتَهُ ... فَجَمِيْعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ
وَإِذَا مَشَيْتَ إِلَى العِدَا فَغَضَنْفَرٌ ... وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النَّكْبَاءُ
وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلسَّفِيْهِ مُدَارِيًا ... حَتَّى يَضِيْقَ بِعَرْضِكَ السُّفَهَاءُ(٢)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ صَبِحْ -حَفَظَهُ اللهُ-:

صُلْحٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْفَتْحُ مُبْتَسِمًا ... بِرَغْمِ مَا فِيْهِ مِمَّا يُورِثُ الغَمَّا
فَخَالَهُ بَعْضُهُمْ قَيْدًا وَمَا عَلِمُوا ... بِمَا تَرَتَّبَ مِمَّا أَزْهَقَ الْهَمَّا

صُلْحُ الحديبيةِ من أعظمِ الفتوحِ:

فتحٌ تَكادُ سطورُهُ من نورِها ... تبدو فَتُقْرَأُ خَلْفَ طَيَّاتِ الكُتُبْ(٣)

صلحُ الحديبيةِ من أعظمِ الفتوحِ ويكفي أنَّ اللهَ سَمَّاهُ فَتْحًا مُبِيْنًا فقد دَخَلَ الناسُ بسبَبِهِ في دينِ اللهِ أفواجًا وحَصَلَتْ مغانِمُ كثيرةٌ للمسلمين، وقد عَرَفَ الصحابةُ عَظَمَةَ هذا الفتحِ فيما بعدُ.

فعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ

(١) انْظُرْ: «السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَحِيْحَةُ» د. العمريُّ (١٤٦).
(٢) «دِيْوَانُ شَوْقِي»(٦)، وَالغَضَنْفَرُ: الأَسَدُ، وَالنَكْبَاءُ: رِيْحُ تَجْرِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالدَّبُورِ، وَهِي رِيْحٌ تَقْشَعُ السَّحَابَ.
(٣) ديوانُ ابنِ دارجٍ (٤٠).

الحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ فقَالَ: بَلَى فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَعَلَى مَا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: «**ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا**» فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ فَتْحٌ هُوَ قَالَ: نَعَمْ[1].

فَتْحُ الفتوحِ أتاك في حُلَلِ الرِّضى ... بعجائبِ الأزمانِ والأعصارِ
فتحُ الفتوحِ جَنَيْتَ من أفنانِهِ ... ما شِئْتَ من نَصْرٍ ومن أنصارِ[2]

إصابةُ النبيِّ ﷺ بِسِحْرِ اليهودِ

سجايا كلُّها غدْرٌ وخُبْثٌ ... توارثها يهودٌ عن يهودِ

بعدَ رجوعِ النبيِّ ﷺ من الحديبيةِ بقليلٍ أُصيب بسحرِ يهودَ سَحَرَهُ لَبيدُ بنُ الأَعْصَمِ من بني زُرَيْقٍ.

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلا يَفْعَلُهُ. قَالَتْ حَتَّى إِذَا كَانَ ذاتَ يَوْمٍ أَو كَانَ ذاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ الَّذِي

(١) رواه البخاريُّ (٣١٨٢)، ومسلمٌ (١٧٨٥).
(٢) ابنُ زُمْرُكٍ (١١٣).

عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ. قَالَتْ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ جاءَ فَقَالَ: وَاللهِ يَا عَائِشَةُ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسولَ اللهِ أَفَلا أَحْرَقْتَهُ قَالَ: لا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا. فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[1].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٥٧٦٣).

إِرْسَالُ الكُتُبِ لِدَعْوَةِ المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ إِلَى الإِسْلامِ

وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ تَتْرَى لِلمُلُوكِ بِمَا فِيْهِ بَلاغٌ لِأَهْلِ الذِّكْرِ والفَهَمِ[١]

أَتَاحَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ الفُرْصَةَ لِتَوْسِيْعِ نِطَاقِ الدَّعْوَةِ دَاخِلَ الجزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ وَخَارِجَهَا، حَيْثُ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ دِحْيَةَ بْنُ خَلِيْفَةِ الكَلْبِيَّ إِلَى قَيْصَرَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إِلَى كِسْرَى، وَعَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى نَجَاشِيِّ الحَبَشَةِ، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ اللَّخْمِيَّ إِلَى المُقَوْقِسِ حَاكِمِ مِصْرَ، وَسَلِيْطَ بْنَ عَمْرٍو العَامِرِيَّ إِلَى هَوْذَنَ بْنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ فِي اليَمَامَةِ[٢].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ الكُتُبَ لِدَعْوَةِ المُلُوكِ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ - مَاذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَنَّ دِحْيَةَ أُرْسِلَ إِلَى هِرَقْلَ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الحُدَيْبِيَةِ، فَوَصَلَ إِلَى هِرَقْلَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ»[٣].

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، وَسَمَّى مِنْهُمْ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ، قَالَ: وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي أَسْلَمَ»[٤].

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (٦٠٦/ ١٩).

(٢) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٤/ ٢٧٩)، وَ«تَارِيْخُ الطَّبَرِيِّ» (٢/ ٢٨٨).

(٣) «فَتْحُ البَارِيِّ» (١/ ٣٨).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٩٧).

١- رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى قَيْصَر:

عَنْ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ، مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ قَالَ: وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: أَهَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللهِ لَوْلَا أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟، قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ؟، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَنِ اتَّبَعَهُ؟ أَشْرَافُكُمْ أُمْ ضُعَفَاؤُكُمْ؟، قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُنَا قَالَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، قَالَ: قُلْتُ: لَا بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟، قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟، قَالَ: قُلْتُ: يَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا يُصِيبُ مِنَّا، وَنُصِيبُ مِنْهُ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟، قُلْتُ:

لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هُدْنَةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟، قُلْتُ: لَا.

قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ حَسَبِهِ فَقُلْتَ: إِنَّهُ فِينَا ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشِدَّاؤُهُمْ؟، قَالَ: فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعِ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ: لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَا يَزَالُ إِلَى أَنْ يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَيَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدُرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدُرُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُهُ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَارِجٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ.

قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيه (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٦٤] فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ وَأَمَرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ لَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ إِلَى الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ آخِرَ الْأَبَدِ؟ وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ قَالَ: فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: إِنِّي اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الَّذِي أَحْبَبْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضَوْا عَنْهُ[١].

٢- رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ إلى كِسْرَى:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسُولَ الله ﷺ بعثَ بِكِتابِهِ إِلى كِسرى مع عبدِ اللهِ بنِ حُذافَةَ السهميِّ، فَأَمرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيم الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عظيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلى كِسْرَى فَلَمَّا قَرأَهُ مَزَّقَهُ، قَالَ ابنُ المسيِّبِ: فدعا عليهم

(١) رَواهُ البُخَارِيُّ (٢٩٧٨ – ٧١٩٦).

رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُمَزِّقُوا كلَّ ممزَّقٍ»[١].

رَأَى اليَتِيْمُ أَبُو الأَيْتَامِ غَايَتَهُ قُصوى فَشَقَّ إِلَيْهَا كُلَّ مِضْمَارِ
وَامْتَدَّتِ المِلَّةُ السَّمَحَا يَرِفُّ عَلَى جَبِيْنِهَا تَاجُ إِعْظَامٍ وَإِكْبَارِ

---

(١) رَوَاهُ البخاريُّ (٤٤٢٤).

غَزْوَةُ ذَاتِ القَرَدِ

هَيْهَاتَ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ   عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَاغَزْوِ مُكْتَسِبِ[١]

كَانَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ القَرَدِ بَعْدَ الحُدَيْبِيَةِ، وَقَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ، وَذَاتُ قَرَدٍ اسْمُ مَاءٍ قَرِيبٍ مِنْ خَيْبَرَ.

فَعَنْ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى -أَيْ بِغَلَسٍ،وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟، قَالَ: غَطَفَانُ.

قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ،يَا صَبَاحَاه،قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ- أَيْ: طَرَفَيْهَا-، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ،بِذِي قَرَدٍ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعْ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعْ

فَأَرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً.

قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ - أَيْ: مَنَعْتُهُمْ شُرْبَ المَاءِ -، فَابْعَثْ إِلَيْهِمِ السَّاعَةَ.

فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ** - أَيْ: قَدَرْتَ فَاعْفُ -».

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٢).

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ(١).

وَأَمَّ ذَا قَـــرَدٍ فِـي جَـحفَلٍ لَجِـبٍ يَسْـتَنُّ فِـي لَاحِـبٍ بَـادٍ وَفـي نَسَـمِ(٢)

وجاء بلفظٍ آخَرَ: عن سلمةَ بنِ الأكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يَحْكي قِصَّةَ الحديبيةِ، ومبايَعَتَـهُ للنبـيِّ ﷺ ثـلاثَ مـراتٍ قـال: ثُـمَّ خَرَجْنَـا رَاجِعِينَ إلى الْمَدِينَةِ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، بَيْنَنَا وَبَيْنَ بني لَحْيَانَ جَبَلٌ، وَهُم الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ(٣)، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عبدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَاقَهُ أَجْمَـعَ وَقَتَـلَ رَاعِيَـهُ، قَـالَ: فَقُلْـتُ: يَـا رَبَـاحُ خُـذْ هَذَا الْفَـرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ اللهِ وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرحِهِ(٤)، قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكَمَةٍ(٥)، فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا يَا صَبَاحَاهْ، ثُمَّ خَرَجْتُ في آثَـارِ الْقَـوْمِ قَـالَ الْفَـزَارِيُّ: مَـا هَـذَا الَّـذِي أرَى، قَالُـوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ(٦) وَاللهِ مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ يَرمِينَا حَتَّى انْتَزَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ، قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٤) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومُسْلِمٌ (١٨٠٦).

(٢) «مَوْسُـوعَةُ الشِّـعْرِ» (١٦/ ٦٠٦)، والجَحْفَلِ اللَّجِبُ: ذُو الجَلَبَةِ وَالصِّيَـاحِ، وَاللاَّحِبُ: الطَّرِيْقُ الوَاضِحُ. والنَّسَم -مُتَحَرِّكَةً -: نَفَسُ الرِّيحِ إِذَا كَانَ ضَعِيْفًا.

(٣) أُنديهِ مع الظهرِ: قال النوويُّ: ومعناه: أن يوردَ الماشيةَ الماءَ فتُسْقَى قليلاً ثم تُرْسَلَ إلى المرعى، ثم تُرَدَّ الماءَ فتَرِدَ قليلًا، ثم تُرَدَّ إلى المرعَى. ا.هـ «شَرْحُ مسلمٍ» ٦/ ٣٥٧.

(٤) سَرْحُه: أي ماشيتُهُ التي يُسرحُ بها.

(٥) الأكمةُ: هي الكومةُ من الرملِ أصغرُ من الجَبَلِ.

(٦) البَرَحُ: أي شِدَّةٌ.

مِنَ الْكَلَام، قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي، قَالُوا: لَا وَمَنْ أَنْتَ، قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سلَمَةُ بن الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ[1]، قَالَ: فَرَجَعُوا فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمْ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ عَلَى إِثْرِهِ أبو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادَ بنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَّيْتُهُ فَالْتَقَى هُوَ وَعبدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَعَقَرَ بعبدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ وَطَعَنَهُ عبدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أبو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بعبدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتبعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قَبلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إلى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ: ذو قَرَدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي: أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ - فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ[2]، قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا.

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ أَكْوَعُهُ بُكْرَةً[3]، قَالَ: قُلْتُ: نَعَم يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ أَكْوَعُكَ

---

(١) أَظُنُّ هنا بمعنى اليقين، أي: أنا أَتيقَّنُ وأعلمُ هذا.

(٢) الثنيةُ: الطريقُ أعلى الجبل، ويشتَدُّون: أي يُسْرِعون.

(٣) أكوعُهُ بكرةً: أي أنت الأكوعُ الذي كنتَ في أولِ هذا النهارِ.

بُكْـرَةً، قَـالَ: وَأَرْدَوْا(١) فَرَسَـيْنِ علـى ثَنِيَّـةٍ، قَـالَ: فَجِئْـتُ بِهِمَـا أَسُـوقُهُمَا إلـى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَـطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَـطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ(٢)، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْت، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حلَّأْتُهُمْ عَنْهُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبلَ وَكُلَّ شَيءٍ اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ وَإِذَا بَلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبدِهَا أَرْمِيهِمْ بالنَّبْلِ، وَأَرْتَجِزُ أَقُولُ:

أَنَـا ابْـنُ الْأَكْـوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ(٣)

فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ(٤) سَـهْمًا فِي رَحْلِهِ حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّـهْمِ إلى كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا

أَنَـا ابْـنُ الْأَكْـوَعِ وَالْيَـوْمُ يَـوْمُ الرُّضَّعِ

قَـالَ: فَـوَ اللهِ مَـا زِلْـتُ أَرْمِيهِـمْ وَأَعْقِـرُ بِهِـمْ، فَـإِذَا رَجَـعَ إِلَـيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِـهِ عَلَـوْتُ الْجَبَـلَ فَجَعَلْـتُ أُرَدِّيهِـمْ بِالْحِجَـارَةِ، قَـالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ، حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُـولِ الله ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً

(١) أَرْدَوا: أي تَرَكُوا.

(٢) السطيحةُ: إناءٌ من جلودٍ سُطِحَ بعضُها على بعضٍ، مَذْقَةُ: قيل: لَبَنٌ ممزوجٌ بماءٍ.

(٣) اليومَ يومُ الرُّضَّعِ: أي يومُ اللئام، حيثُ كان أحدُهم إذا أراد سرقةَ اللَّبَنِ من الشاةِ أو الناقةِ ليشرَبَهُ لا يَحْلُبُهُ في إناءٍ ثم يشربُهُ لِئَلَّا يسمعَ أصحابُها صوتَ اللبنِ وهو يُحلبُ في الإناءِ، إنما كان يَضَعُ فَمَهُ في ضرعِ الناقةِ أو الشاةِ فيشربُ كالذي يرضَعُ فلا يُسمَعُ له صوتٌ وهذا فعلُ اللئام من السَرَقةِ.

(٤) أصكُّ: أضربُ.

وَثلَاثِينَ رُمْحًا يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَوْا مُتَضَايقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ فَإِذَا هُم قَدْ أَتَاهُم فُلَانُ بنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحْوُنَ - يَعْنِي: يَتَغَدُّوْنَ- وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ، وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلِّنِي، فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبعُ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ[١]، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا»، قُلْتُ: نَعَمْ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ**»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا، فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْقَوْمُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أبو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ**»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ[٢] رَاجِعِينَ إلى الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَبَينَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدًّا[٣]، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ أَلَا مُسَابقٌ إلى الْمَدِينَةِ هَلْ مِنْ مُسَابقٍ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ، قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بأبي وأُمِّي ذَرْنِي فَلِأُسَابقَ الرَّجُلَ، قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ**» قَالَ: قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ فَطَفَرْتُ[٤] فَعَدَوْتُ، قَالَ

---

(١) أي: فلا يبقى منهم أَحَدٌ يخبرُ من وراءَهم فيستمدُّونهم علينا.

(٢) العضباءُ: ناقةُ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانت ناقةً نجيبةً لا تُسْبَقُ.

(٣) شدًّا: أي جريًا.

(٤) طفرتُ: أي قَفَزْتُ.

فَرَبَطْتُ(١) عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفَسِي(٢)، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ، قَالَ: فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سُبِقتَ وَاللهِ، قَالَ: أَنَا أَظُنُّ، فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ(٣).

وكانت غزوةُ ذي قردٍ قبلَ الحديبيةِ بثلاثٍ كما ذكرَ ذلك سَلَمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما سيأتي في غزوةِ خَيْبَرَ - إن شاءَ اللهُ- وَرَجَّحَ ذلك أنها كانَتْ في السنةِ السابعةِ قبلَ خَيْبَرَ بثلاثٍ(٤).

---

(١) رَبَطْتُ: أي توقَّفْتُ عن الجَرْيِ.
(٢) أستبقي نفسي: أي أريحُها.
(٣) صحيحٌ: سَبَقَ تخريجُه.
(٤) صحيحٌ: أخرجَهُ البخاريُّ، بابُ: غزوةِ ذي قردٍ، كتابُ المغازي، ورجَّحَهُ ابنُ حجرٍ في «الفتحِ» ٧/ ٥٢٦، وابنُ كثيرٍ في «البدايةِ» ٤/ ١٧٤.

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

وَمِنْ عَـزْمِهِ تَخْرِيـبُ خَيبَـرَ مِثْلَ مَـا قُرَيْـظَةُ قَـرْضٌ وَالـنَّظِيْـرُ نَضِيْـرُ[1]

١- مَوْقِعُهَا:

تَقَعُ خَيْبَرُ فِي الشَّـمَالِ الشَّـرْقِيِّ لِلمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَعَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ مَائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَسِتِّيْنَ كَيْلاً.

٢- سَبَبُهَا:

لَـمْ يُبْـدِ يَهُـودُ خَيْبَـرَ أَيَّ عِـدَاءٍ لِلمُسْـلِمِيْنَ، حَتَّـى لَحِـقَ بِهِـمْ زُعَمَـاءُ بَنِي النَّضِيْرِ، عِنْدَمَا أُجْلُوا عَنْ المَدِيْنَةِ، وَكَانَ أَبْرَزُ زُعَمَاءِ بَنِي النَّضِيْرِ الَّذِيْنَ غَادَرُوا المَدِيْنَةَ، وَنَزَلُوا خَيْبَرَ وَهُمْ:

١- سَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ.

٢- كِنَانَةَ بْنَ الرَّبِيْعِ.

٣- حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ.

فَلَمَّا نَزَلُوهَا، دَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا.

٣- وَقْتُهَا:

قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بَعْدَ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ (أَيْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ)، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٧/ ٤٥٣).

٤- الاسْتِعْدَادُ لِلمَعْرَكَةِ:

وَعَجِيْبٌ خُلِقْتَ لِلحَرْبِ لَيْثًا وَسَجَايَاكَ كُلُّهُنَّ سَلَامٌ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً، وكانَ إِذَا أَتَى قَوْماً بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِم[١]، وَمَكَاتِلِهِمْ[٢]، فلما رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ[٣]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[٤].

فَحَاصَرَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَعَ عَشَرَةَ لَيْلَةً، كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ، وَقِيلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الحَرِّ، وَأَصَابَتَهُمْ مَخْمَصَةٌ شَدِيْدَةٌ[٥].

٥- فَتْحُ خَيْبَرَ:

رَمَاهَا إِمَامُ الرُّسُلِ بِالأَسَدِ الَّذِي فَرَائِسُهُ الآسَادُ حَالَ اغْتِلامِهَا[٦]

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**».

قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[٧] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ،

---

(١) المَسَاحِي: جَمْعُ مِسْحَاةٍ -بِالكَسْرِ- وَهِيَ المِجْرَفَةُ مِنَ الحَدِيْدِ.

(٢) المَكَاتِلِ: جَمْعُ مِكْتَلٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ الزِّنْبِيْلُ. وَالمَعْنَى: أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ، غَيْرَ عَالِمِيْنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَيْشِهِ.

(٣) الْخَمِيسُ: الجَيْشُ؛ لأَنَّهُ يَنْقَسِم عَلَى خَمْسِ أَقْسَامٍ: مَيْمَنَةٍ، وَمَيْسَرَةٍ، وَمُقَدِّمَةٍ، وَسَاقَةٍ، وَقَلْبٍ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٧)، ومُسْلِمٌ (١٣٦٥).

(٥) المَخْمَصَة: المَجَاعَةُ الشَّدِيْدَة.

(٦) «دِيْوَانُ ابْنِ المُعْتَزِّ» (٢٦).

(٧) يَدُوكُونَ: يَخُوضُونَ وَيَمُوجُونَ.

غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟!**».

فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا.

فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ -أَيْ اتئِدْ وَلَا تَعْجَلْ-، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ؛ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[١].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «... خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ:

تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا ... فَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ هَذَا؟، قَالَ: أَنَا عَامِرٌ؟، قَالَ: غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ؟، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ؟، قَالَ: فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ؟، يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ؟، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ[٢] وَيَقُولُ:

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢١٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٦).

(٢) يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ - بِكَسْرِ الطَّاءِ - أَيْ: يَرْفَعُهُ مَرَّةً، وَيَضَعُهُ أُخْرَى.

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السِّلَاحِ[١] بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ   شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ[٢]

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ[٣]، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ.

قَالَ سَلَمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ.

قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟!**»، قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «**كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**».

ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

---

(١) شَاكِي السِّلَاحِ أَيْ: تَامُّ السِّلَاحِ.

(٢) مُغَامِرٌ أَيْ: يَرْكَبُ غَمَرَاتِ الحَرْبِ وَشَدَائِدَهَا، وَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا.

(٣) يَسْفُلُ لَهُ أَيْ: يَضْرِبُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ.

قَــدْ عَلِمَــتْ خَيْبَــرُ أَنِّــي مَــرْحَــبُ
شَــاكِــي الــسِّــلَاحِ بَـطَــلٌ مُـجَـرَّبُ
إِذَا الْــحُــــرُوبُ أَقْـبَـلَـتْ تَـلَـهَّــبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَــــا الَّـــذِي سَمَّــتْـنِــي أُمِّــي حَيْدَرَه[١]
كَــلَــيْــثِ غَـابَــاتٍ كَـرِيــهِ الْـمَــنْظَرَهْ
أُوفِــيــهِــمُ بِـالـصَّــاعِ كَـيْــلَ السَّـنْدَرَهْ[٢]

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ[٣].

وَجَــاءَ خَيْبَــرَ فِـي جَـأْوَاءَ كَالِحَـةٍ[٤] بِالخَيْـلِ كَالسَّـيْلِ وَالأَسْـيَافِ كَالضَّـرَمِ
حَـتَّى إِذَا اِمتَنَعَتْ شُـمُّ الحُصُونِ عَلَى مَـنْ رامَهَـا بَعْـدَ إِيغَـالٍ[٥] وَمُقتَحَـمِ
قَـالَ النَّـبِيُّ سَـأُعْطِي رَايَتِـي رَجُـلاً يُحِبُّنِـي وَيُحِـبُّ اللـهَ ذَا الكَـرَمِ
ذَا مِـرَّةٍ[٦] يَفْـتَحُ اللـهُ الحُصُـونَ عَلَـى يَـدَيْــهِ لَيْـسَ بِفَـرَّارٍ وَلَا بَـرِمٍ[٧]
فَمَــا بَــدَا الـفَجرُ إِلَّا وَالزَّعِيْـمُ عَلَـى جَيْـشِ القِتَـالِ عَلِـيٌّ رَافِـعُ العَلَـمِ

(١) حَيْـدَرَهْ: اسْـمٌ لِلأَسَـدِ لِغِلْظِهِ وَقُوَّتِـهِ، وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ سَـمَّتْهُ أَوَّلَ وِلَادَتِهِ أَسَـدًا بِاسْـمِ جَدِّهِ لِأُمِّهِ أَسَدِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ غَائِبًا، فَلَمَّا قَدِمَ سَمَّاهُ عَلِيًّا.

(٢) السَّنْدَرَهْ: مِكْيَالٌ وَاسِعٌ. وَالمَعْنَى: أَقْتِلُ الأَعْدَاءَ قَتْلًا وَاسِعًا ذَرِيعًا.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٧).

(٤) الجَأْوَاءُ: هِيَ الَّتِي يَعْلُوهَا لَوْنُ السَّوَادِ لِكَثْرَةِ الدُّرُوعِ.

(٥) الإِيْغَال: الإِمْعَانُ فِي السَّيرِ، وَالمُبَالَغَة فِيْهِ.

(٦) المِرَّة -بِالكَسْرِ- القُوَّة.

(٧) البَرِمَ: الضَّجِرُ.

فَسَارَ مُعْتَزِمًا حَتَّى أَنَافَ عَلَى[1] حُصُونِ خَيْبَرَ بِالمَسْلُولَةِ الخُذُمِ[2]
فَلَمْ يَزَلْ صَائِلًا[3] فِي الحَرْبِ مُقتَحِمًا غَيَابَةَ[4] النَّقْعِ[5] مِثْلَ الحَيْدَرِ[6] القَرِمِ[7]
حَتَّى تَبَلَّجَ فَجْرُ النَّصْرِ وَانتَشَرَتْ[8] بِهِ البَشَائِرُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ[9][10]

٦- تَعْجِيلُ اللهِ لِلمُسلِمِينَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ:

قَدْ حَمِدْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرَانَا وَغَنِمْنَا غَنَائِمَ الشُّجْعَانِ[11]

كَانَتْ غَنَائِمُ خَيْبَرَ وَعْدًا مِنَ اللهِ لِلمُسْلِمِينَ، فَبَعْدَ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفَتْحُ: ٢٠].

فَتَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ لَهُمْ؛ إِذْ عَجَّلَ لَهُمْ غَنَائِمَ خَيْبَرَ ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾.

٧- قِسمَةُ الغَنَائِمِ:

مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الرُّسْلِ المُبَاحُ لَهُ مِنَ الغَنَائِمِ تَقسِيمٌ وَتَنفِيلُ[12]

---

(١) أَنَافَ: أَشْرَفَ وَارْتَفَع.

(٢) الخُذُم: السُّيُوفِ القَوَاطِع.

(٣) صَائِلًا: وَاثِبًا.

(٤) الغيابة: كُلُّ مَا أَظَلَّ الإِنْسَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ، مِثْل: السَّحَابَةِ، وَالغُبْرَةِ، وَالظُّلْمَةِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

(٥) النَّقْع: الغُبَار.

(٦) الحَيْدَر: الأَسَد.

(٧) القَرِم: الشَّدِيدُ الشَّهْوَة لِلَّحْمِ.

(٨) تبَلَّجَ الفَجْرُ: إِذَا أَشْرَقَ وَأَنَارَ.

(٩) السَّهْل مِنَ الأَرْضِ: مَا لَانَ. والعَلَمُ -مُتَحَرِّكَةً-: الجَبَل.

(١٠) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(١٦/ ٦٠٦)

(١١) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْدِ آل خَلِيْفَة» (٢٤٥).

(١٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٥٩) والتَّنْفِيل: إِعْطَاءُ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى سِهَامِ الغَانِمِيْنَ.

عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَى الْأَنْصَارِ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ، وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ، وَنَوَائِبِ النَّاسِ»[1].

تَبَاشَرَتِ الْأَقْطَارُ مِنْ فَرَحٍ بِهِ ... فَفِي كُلِّ ثَغْرٍ مِنْ ظِبَاه مَبَاسِمُ

وَمَا تَحْمِلُ الخَيْلُ الأَعَادِي جَهَالَةً ... بِهِ، بَلْ رَجَاءً أَنَّهُنَّ غَنَائِمُ[2]

٨- حِكَايَةُ الشَّاةِ المَسْمُومَةِ:

حَلاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ ... فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسُمِّ[3]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرَ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ**».

فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**». قَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**»، قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**»، قَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، فَقَالَ لَهُمْ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، فَقَالُوا: نَعَمْ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ، عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبَائِنَا.

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠١٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي«صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٦٠٣).

(٢) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٧/ ٤).

(٣) «الكَشْكُولُ» (٢/ ٨٩).

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**»، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلِفُونَنا فِيهَا.

قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللهِ لا نَخْلِفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**».

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**».

قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ نَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ[1].

وقد بلغ أثر السهم برسول الله ﷺ إلى انقطاع الأبهر منه ﷺ، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان النَّبِيُّ ﷺ يَقولُ في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: « **يا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي من ذلك السهم**»[2].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٦٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٢٨).

زَوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

حَصَانٌ إِنِ التَّقْوَى اسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا فَمِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الجَهْرُ(١)

كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَبِنْتَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ... فَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ فَقَالَ: أَعْطِنِي يَا رَسُولَ اللهِ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ. قَالَ: «**اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً**». فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ؟ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ.

قَالَ: «**ادْعُوهُ بِهَا**»، فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا**».

قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا»(٢).

وَكَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ رَأَتْ رُؤْيَا قَبْلَ مَجِيءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ: أَنَّهَا سَوْفَ تَكُونُ مِنْ نِسَائِهِ ﷺ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ بِعَيْنَيْ صَفِيَّةَ خُضْرَةٌ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ بِعَيْنَيْكِ؟**».

فَقَالَتْ: قُلْتُ لِزَوْجِي: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمِ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ عَبْرَ العُصُورِ» (٨/ ٢٦).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧١).

فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: أَتُرِيدِينَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟[١].

وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذَاتَ جَمَالٍ بَاهِرٍ إِلَى نَسَبٍ شَرِيْفٍ، فَهِيَ مِنْ نَسْلِ نَبِيِّ اللهِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَعَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ -وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا- فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ**»[٣].

وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَدْ وَجَدَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إليها؛ حتَّى ذَهَبَ ما في نَفْسِهَا، فعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ صفيَّةَ أَنَّها قَالَتْ: « وما كانَ أَبْغَضَ إليَّ مِنْ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر حتى ذهب ذاك من نفسي»[٤].

كَمْ قَدْ عَذَرْتَ أُنَاسًا دُونَ مَعْذِرَةٍ مَاذَا وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ تَعْتَذِرُ؟!

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (٢٤/ ٦٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٧٩٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢١١).

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ١٥٣)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٨٩٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المِشْكَاةِ» (٩١٨٣).

(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (٢٤/ ٦٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢٧٩٣).

وَكُـلُّ فِعْلِـكَ خَيْـرٌ، وَالصَّـوَابُ بِـهِ   وَكُـلُّ قَوْلِـكَ خَيْـرٌ صَـادِقٌ نَضِـرُ
مَـا كُنْـتَ إِلَّا بِأَمْـرِ اللـهِ مُؤْتَمِـرًا   وَهَـلْ يُـلَامُ امْـرُؤٌ لِلـهِ يَـأْتَمِرُ؟!
بِالحَـقِّ وَافَيْـتَ وَالظُّلْمَـاءُ عَاكِفَـةٌ   فَسَـارَ فِـي دَرْبِـكَ الأَنْـوَارُ وَالظَّفَـرُ [1]

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ-.

قُدُومُ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابُ السَّفِيْنَةِ

زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحُسْنِ فَعَالِهِمْ وَكَرِيمَ أَخْلاقٍ بِحُسْنِ وَجُوهٍ[1]

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي.

فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ.

فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا.

قَالَ: فَوَافَقْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا وَلَمْ يُسْهِمْ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ خَيْبَرَ إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.

قَالَ: فَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا -يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ-: سَبَقْنَاكُمْ بِالهِجْرَةِ.

قَالَ: فَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟.

قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ.

---

(١) «دِيْوَانُ الفَرَزْدَقِ» (١٠٣).

قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟.

فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلَّا، وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلَ السَّفِينَةِ، هِجْرَتَانِ**»[1].

قَوْمٌ عَلَى كَتْفِ الزَّمَانِ لَبُوسُهُمْ ... ثَوْبٌ بِحُسْنِ فَعَالِهِمْ مَوْسُومُ
آثَارُهُمْ فِي الحَادِثِينَ حَدِيثَةٌ ... وَفَخَارُهُمْ فِي الأَقْدَمِينَ قَدِيْمُ[2]

وَقَال آخَرُ:

أَبْشِر بِهِ يَومَ فَتْح قَدْ أَضَاءَ بِهِ ... وَجْهُ الزَّمَانِ، فَأَبْدَى بِشْرَ مُبتَسِمِ
أَتَى بِهِ جَعْفَرُ الطَّيَّارُ، فَابتَهَجَتْ ... بِعَوْدِهِ أَنفُسُ الأَصْحَابِ وَالعُزَمِ
فَكَانَ يَوْمًا حَوَى عِيْدَيْنِ في نَسَقٍ ... فَتْحًا وَعَوْد كَرِيمٍ طَاهِرِ الشِّيَمِ[3]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٣٠)، ومُسْلِمٌ (٢٥٠٢).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ٤٦٩).

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٧/ ٦٠٦) وَالعُزَمِ: جَمْعُ عُزْمَةٍ -بِالضَّمِّ- وَهِيَ أُسْرَةُ الرَّجُلِ وَقَبِيلَتُهُ.

زَوَاجُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أمِّ حَبيْبة بِنْتُ أبي سفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

مصونة من غبار الظلم طاهرة فالقسط في غيرها للناس لم يقم

فَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّها كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ فَمَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ فَزَوَّجَها النَّجَاشيُّ النَّبِيَّ ﷺ وأَمْهَرَها عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ[١]، وبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مَعَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ »[٢].

قَال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أم حبيبة من بنات عم النبي ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا إليه منها، ولا من نسائه من هي أكثر صداقًا، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، عمة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

قِصَّةُ الحَجَّاجِ بنِ عِلاطٍ السلميِّ مع قُرَيْشٍ:

فاعلمْ أنَّكَ لَمْ تخادعُ جاهلًا إن الكريمَ يفعله يتخادعُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي بمَكَّةَ مَالًا وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ نِلْتُ مِنْكَ أَوْ قُلْتُ شَيْئًا؟ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا

---

(١) يَعْنِي: دِرْهَمًا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٠٧)، والنسائي (٦/ ١١٩)، وصَحَّحَهُ الألبَانيُّ في « صحيح أبي داود » (١٨٥٣)، وشَيخُنا الوادعي في « الصَّحِيحِ المُسْنَدِ» (١٥٥٢).

(٣) السير (٢/ ٢١٩).

شَاءَ قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ: اجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدَكَ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ قَدِ استُبِيحُوا وأُصِيبَتْ أَمْوَلُهُمْ قَالَ: وَفَشَا ذَلِكَ بِمَكَّةَ فَأَوْجَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرُورًا وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْعَبَّاسَ بن الْمُطَّلِبِ فَعَقِرَ فِي مَجْلِسِهِ وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ قَالَ مَعْمرٌ: فَأَخْبَرَنِي الْجَزَرِيُّ عَنْ مِقْسَمٍ قَالَ: فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ ابْنًا يُقَالُ لَهُ: قُثَمْ وَكَانَ يُشْبهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَاسْتَلْقَى فَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ وهو يقول:

حِبِّي قُثَم حِبِّي قُثَم شَبِيهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشَمْ
نَبِيُّ ربِّ ذِي النِّعَمْ بِرَغم أَنفِ مَنْ رَغَمَ

قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ ثابتٌ عَنْ أَنَسٍ: ثُمَّ أَرْسَلَ غُلَامًا لَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ عِلَاطٍ فَقَالَ: وَيْلَكَ مَا جِئْتَ بِهِ وماذا تقولُ؟ فما وَعَدَ اللهُ خيرٌ مِمَّا جِئْتَ به قال الحجاجُ لِغُلامِهِ: أَقْرِئْ، أَبَا الْفَضْلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: فليُخْلِ لِي بَعْضَ بُيُوتِهِ لِآتِيَهُ فَإِنَّ الْخَبَرَ عَلَى مَا يسرُّه فجاءَ غُلَامُهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ: أَبْشِرْ أَبَا الْفَضْلِ فَوَثَبَ الْعَبَّاسُ فَرَحًا حَتَّى قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الْحَجَّاجُ فَأَعْتَقَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ وَجَرَتْ سِهَامُ اللهِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ واتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ وخيَّرها بَيْنَ أَنْ يُعْتِقَهَا فَتَكُونُ زَوْجَتُهُ أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ لِي هَا هُنَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ وَأَذْهَبَ بِهِ فَاسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ فَأَخفِ عَنِّي ثلَاثًا ثُمَّ اذْكُرْ مَا بَدَا لَكَ قَالَ: فَجَمَعَتِ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيٍّ وَمَتَاعٍ جَمَعَتْهُ فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ أَتَى

الْعَبَّاسُ امْرَأَةَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ زَوْجُكِ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ وَقَالَتْ: لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ قَالَ: أَجَلْ لَا يُخْزِينِي اللهُ وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَاهُ وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ أَنَّ اللهَ قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ لَكِ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكِ فَالْحَقِي بِهِ قَالَتْ أَظُنُّكَ وَاللهِ صَادِقًا قَالَ: فَإِنِّي صَادِقٌ وَالْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكِ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ أَبَا الْفَضْلِ قَالَ: لَمْ يُصِبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللهِ وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ أَنَّ خَيْبَرَ فَتَحَهَا اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أُخْفِي عَنْهُ ثَلَاثًا وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَا كَانَ لَهُ ثُمَّ يَذْهَبَ قَالَ: فَرَدَّ اللهُ الْكَآبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَئِبًا حَتَّى أَتَوُا الْعَبَّاسَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ فسُرَّ الْمُسْلِمُونَ ورَدَّ اللهُ مَا كَانَ مِنْ كَآبَةٍ أَوْ غيظٍ أو خِزْيٍ على المشركين[1].

---

(١) أخرجَهُ أحمدُ (١٢٤٠٩)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (٥٤٥).

غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ

لا تسـألَنَّ القوافي عـن مآثِرِهِـمْ إنْ شِـئْتَ فَاسْـتَنْطِقِ القـرآنَ والصُّحُفَـا

سببُ تسميتِها:

سُمِّيتْ هذه الغزوةُ بذاتِ الرقاعِ؛ لأَنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم لَفُّوا على أَرْجُلِهِم الخِرَقَ بعد أن تَنَقَّبَتْ خِفافُهُم.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي. وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا[1].

وَقْتُها:

كانَ وقتُها بعدَ غزوةِ خَيْبَرَ في السنةِ السابعةِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السابعَةِ، غَزْوَةِ ذاتِ الرِّقَاعِ[2].

سَبَبُها:

سَبَبُها هو ما بَلَغَ النبيَّ ﷺ أَنَّ جَمْعًا من غَطَفَانَ قد أَجْمَعُوا على حَرْبِهِ ومحالُّهُمْ بِنَخْلَةَ قُرْبَ مَكَّةَ ولم يَجِدْ في مَحَالِّهِمْ أَحَدًا غيرَ النسوةِ فَأَخَذَهُنَّ وفيهِنَّ جاريةٌ وضيئةٌ وهَرَبَتْ الأعرابُ إلى رؤوسِ الجبالِ، عَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما

(١) رواهُ البخاريُّ (٤١٢٨)، ومسلمٌ (١٨١٦).
(٢) رواهُ البخاريُّ (٤١٢٧).

قَال: خَرَج النبيُّ ﷺ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ وَأَخَافَ الناسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ رَكْعَتَي الْخَوْفِ[1].

ما حصل في غزوة ذات الرقاع:

حاصِلٌ في هذهِ الغزوةِ أمورٌ وذلك اثناءَ رجوعِهِ ﷺ إلى المدينَةِ فمِنْها:

١- اختراط رجلٌ من المشركين لسيف رسول الله ﷺ:

عَن جابرٍ: أَنه غزا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نجدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَه، فَأَدْرَكَتْهم الْقَافِلَةُ فِي وادٍ كثيرِ الْعَضَاةِ، فنزلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، فَنزل رَسُولُ اللهِ ﷺ تحتَ شجرةٍ، فَعَلَّقَ بها سَيْفه، وَنِمْنَا نومَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْده أعرابيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفي وَأَنا نائمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟ فَقُلْتُ: اللهُ» ثَلَاثًا، وَلم يُعَاقِبهُ، وجلسَ[2].

٢- قِصَّةُ جَمَلِ جابرٍ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ كانت خلائِقُهُ تُنْبِيكَ بالخَبَرِ

عَنْ جَابِر بنِ عبدِ اللهِ قَالَ: كنتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكنتُ على جَمَلٍ ثفالٍ. إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرُ الْقَوْمِ، فَمَرَّ بي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ «مَنْ هَذَا؟» قلت: جَابِرُ بنُ عبدِ اللهِ قَالَ: «**مَالَكَ؟**» قلتُ: إِنِّي على جَمَلٍ ثِفال. قَالَ: «**أَمَعَك قَضِيْبٌ؟**» قلتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَعْطِنِيْهِ**». فأعطيتُهُ فأعطيتُهُ فَضَرَبَهُ فَزَجَرَهُ، فكَانَ من ذَلِك الْمَكَانِ فِي أَولِ الْقَوْمِ. قَالَ: «بِعْنِيْهِ» فقلتُ: بل هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ

(١) رواهُ البخاريُّ (٤١٢٧).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٩١٠)، ومسلمٌ (٨٤٣).

اللهِ. قَالَ: «**بِعْنِيْهِ، قد أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ، وَلَك ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ**».

فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَجِلُ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قد خَلا مِنْهَا. قَالَ: «**فَهَلَّا جَارِيَةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ**». قلتُ: إن أبي توفِّي وَتَركَ بناتٍ، فَأَرَدْتُ أَن أتزوج امْرَأَةً قد جَرَّبَتْ خَلا مِنْهَا. قَالَ: «**فَذَلِكَ**». فَلَمَّا قدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ: «**يَا بِلَالُ، اِقْضِهِ وزِدْهُ**» فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وزادَهُ قيراطًا. قَالَ جَابرُ: لَا تُفَارِقنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَلم يَكُنْ القيراطُ يُفَارِقُ جَابِرَ بنَ عبدِ اللهِ.

هَذَا نَصُّ حَدِيثِ البُخَارِيِّ عَن مَكِّيِّ بنِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ أَتَمُّ.

وَاخْتَصَرَهُ مُسلمٌ، فَلم يُخْرِجْ مِنْهُ إِلَّا طَرَفًا من حَدِيثِ يحيى بنِ أبي زَائِدَةَ عَن ابْنِ جُرِيجٍ عَن عَطاءٍ عَن جَابِرٍ:

أَن النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**قد أَخَذْتُ جَملَكَ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِير، وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ**» لم يَزِدْ.

وَأَخْرَجَا هَذَا الْمَعْنى من حَدِيثِ أبي عَمْرو عَامِرِ بنِ شَرَاحِيلَ الشَّعبيِّ عَن جَابِرٍ قَالَ: غَزوتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فتلاحَقَ بي النَّبيُّ ﷺ وَأَنا على ناضِحٍ لنا قَدْ أَعْيَا، فَلَا يكَادُ يسيرُ، فقَالَ لي: «**مَا لِبَعِيْرِكَ؟**» قَالَ: قلتُ: أعيَا. قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزَجَرَهُ ودعا لَهُ، فَمَا زَالَ بين يَدي الْإِبلِ قُدَّامَها يسيرُ. فقَالَ لي: «**كَيفَ ترى بعيرَك؟**». فَقُلتُ: بخَيرٍ، قد أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ. قَالَ: «**أَفَتَبِيْعُنِيْهِ؟**» قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ وَلم يَكُنْ لنا ناضِحٌ غَيرُهُ، قَالَ: فَقلتُ: نعم. قَالَ: فَبعْتُهُ إِيَّاه على أَنَّ لي فقارَ ظَهرِهِ حَتَّى أَبْلُغَ الْمَدِينَةَ. فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،

إِنِّـي عـروسٌ، واسْـتَأْذَنْتُهُ، فَـأَذِنَ لـي، فَتَقَدَّمْـتُ النَّـاسَ إِلَـى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَتيتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيَنِي خَالِي يسـأَلُني عَنِ الْبَعِيرِ، فَأَخْبَرتُهُ بِمَا صَنَعْتُ فِيهِ، فلامني. قَالَ: وقد كَانَ قَالَ لي رَسُـولُ اللهِ ﷺ حِين اسـتأْذَنْتُهُ: «**هَل تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أم ثَيِّبًا؟**» قلت: تزوَّجْتُ ثَيِّبًا. فَقَالَ: «**هَلَّا تزوجْتَ بِكرًا تُلاعبُكَ وتُلاعِبُها**».

قلت: يَا رَسُـولَ اللهِ، تُوفِّي وَالِدي- أَو اسْتشْـهِدَ- ولي أخواتٌ صغارٌ، فَكرِهْتُ أن أتزوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ وَلَا تقومُ عَلَيْهِنَّ. فَتزوَّجْتُ ثَيِّبًا لتقومَ عَلَيْهِنَ وتؤدِبَهُنَّ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَوْتُ عَلَيْهِ بالبعيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ وَرَدَّهُ عَليَّ[1].

٣- أَفْراخُ الحُمَرَةِ وَقَرْيَةُ النَّمْلِ:

جَلَـوْتَ عَمايـاتِ القلـوبِ فَأَبْصَـرَتْ وزِيْحَـتْ عـن اللُّـبِّ السـليمِ غياهِبُـهْ

عَن أبي مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْها فَجَاءَتْ الْحمرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ فَجعَ هَذِهِ بِوَلَدَيْهَا رُدُّوا وَلَدَيْهَا إِلَيْهَا وَرَأَى قَرْيَةَ نمل قد حَرَقْناهـا فَقَـالَ: «**مَـنْ حَـرَقَ هَـذِه؟**» قُلْنَـا: نَحْـنُ. قَـالَ: «**إِنَّه لَا يَنْبَغِي أَن يُعَذِّبَ بالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**»[2].

٤- قِصَّةُ عَبَّادَ بن بِشْرٍ وعمارِ بن ياسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

حُـبُّ الرسـولِ تَعَلُّـقٌ بصفاتِـهِ وتخلُّـقٌ بخلائِـقِ الأَطْهـارِ

(١) رواهُ البخاريُّ (٢٩٦٨)، ومسلمٌ (٧١٥).

(٢) أخرجَـهُ أبـو داودَ (٢٦٧٥)، وصحَّحَـهُ الحافِـظُ في «الفتحِ» ٦/ ١٤٩؛ وقـال: أخرجَهُ أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيحِ أبي داود (٢٣٢٩).

عَـنْ جَابِـرِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَـالَ: خَرَجْنَـا مَـعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فِي غـزوة ذاتِ الرقـاعِ فأصـابَ رَجُـلٌ مِـنَ الْمُسْـلِمينَ امْـرَأَةَ رَجُـلٍ مِـنَ الْمشْـرِكِينَ فَلَمَّا انْصَـرَفَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَافِـلًا أَتـى زَوْجُهَـا - وَكَانَ غَائِبًـا - فَلَمَّـا أُخبِـرَ حَلَـفَ لَا يَنْتَهِـي حَتَّـى يُهْرِيـقَ فِـي أَصْحَـابِ مُحَمَّـدٍ ﷺ دمًـا فَخَـرَجَ يتَّبِـع أَثَر رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَنَـزَلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ منـزلًا فقـال: «**مَـنْ رَجُـلٌ يَكْلَأُنَـا لَيْلَتَنَـا هَـذِهِ؟**» فَانْتُـدِبَ رَجُـلٌ مِـنَ الْمُهَاجِرِيـنَ وَرَجُـلٌ مِـنَ الْأَنْصَـارِ قَالَا: نَحْنُ يَا رَسُـولَ اللهِ فَقَالَ ﷺ: «**فَكُونَا بفَمِ الشِّـعْبِ**» قَالَ: وَكَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ نَزَلُوا إِلَى شِـعْبٍ مِنَ الْوَادِي فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّـعب قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ قَالَ قَالَ: فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَأَتى زَوْجُ الْمَرْأَةِ فَلَمَّا رَأَى شَخَصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةَ الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا يُصَلِّي ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا يُصَلِّي ثُمَّ عاد لَهُ الثَّالِثَةَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ فَسَـجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَـهُ وَقَـالَ: اجْلِـسْ فَقَـدْ أُتِيـتُ فَوَثَـبَ فَلَمَّـا رَآهُمَـا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ نَذِرَ بِهِ فَهَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيُّ مِنَ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَفَلا أَهْبَبْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ؟! قَالَ: كُنْتُ فِي سورةٍ أَقْرَأُها فَلَمْ أحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنفذها فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَآذَنْتُكَ وَايْمُ اللهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطِعَ نَفَسِي قبل أن أَقْطَعَها أو أُنْفِذَها[1].

---

(١) أخرجَهُ أحمد (١٤٧٠٤) وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي داود» (١٩٣).

إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ، وَعَمْرُو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

جَمَالَ ذِي الأَرْضِ كَانُوا في الحَيَاةِ وَهُمْ بَعْـدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ[١]

كَانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ فَتْحًا لِلقُلُوبِ، دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ، الَّذِي كَانَ قَائِدَ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ، وَبَطَلُ مَعَارِكَ عَظِيْمَةٍ، وَقَدْ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللهِ**».

وَقَدْ أَبْلَى بَلاَءً حَسَنًا، وَفَتَحَ اللهُ عَلَى يَدِهِ الفُتُوحَ.

وَدَخَلَ فِي الإِسْلَامِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، أَحَدُ دُهَاةِ العَرَبِ، وَأَحَدُ كِبَارِ القَادَةِ وَالأُمَرَاءِ، وَفَاتِحُ مِصْرَ، وَقَدْ قَدِمَا بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، وَبِالتَّحْدِيْدِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ.

يَرْوِي ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَكَانَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ.

قَالَ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ المَنْسِمُ[٢]، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، اذْهَبْ -وَاللهُ- فَأَسْلِمْ، فَحَتَّى مَتَى؟

قَالَ: قُلْتُ: فَأَنَا وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِلإِسْلَامِ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى

(١) «المُحَاضَراتُ والمُحَاوَرَاتُ» (٣٩٤).

(٢) اسْتَقَامَ الْمَيْسَمُ: أَيِ: اتَّضَحَ الأَمْرُ.

رَسُولِ اللهِ ﷺ فتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمْرُو، بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**».

قَالَ: فَبَايَعْتُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ[1].

سُبْحَانَ مَنْ يَهْدِي القُلُوبَ إِلَى التُّقَى ... مَهْمَا اسْتَطَالَ الظُّلْمُ وَالإِظْلَامُ!
خَاضُوا الضَّلَالَ وَبِالمَحَارِمِ أَفْطَرُوا ... حَتَّى اهْتَدَوْا؛ فَعَنِ المَحَارِمِ صَامُوا[2]

---

(١) (حَسَنٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٩٨)، وَالبَغَوِيُّ فِي «التَّارِيخِ» (٢/ ٣١١) مُخْتَصَرًا، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «التَّارِيخِ» (٢/ ١٤٦) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاق، وَهُوَ فِي «المَغَازِي» (٣/ ٢٧٠)، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الإِرْوَاءِ» (٥/ ١٢٣).

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حِفِظَهُ اللهُ-.

عُمْرَةُ القَضَاءِ

هَوَى جَبَلٌ مِنَ العُدْوَانِ عَالٍ ... وَزُلْزِلَ لِلأَذَى صَرْحٌ مَشِيْدُ[1]

١- وَقْتُهَا:

كَانَتْ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الهِجْرَةِ، حَيْثُ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ قَاصِدًا العُمْرَةَ، كَمَا اتَّفَقَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ.

وَتُسَمَّى عُمْرَةُ الْقَضِيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى قُرَيْشًا عَلَيْهَا، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ قَضَى العُمْرَةَ الَّتِي صُدَّ عَنِ البَيْتِ فِيهَا؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَسَدَتْ بِصَدِّهِمْ عَنِ البَيْتِ، بَلْ كَانَتْ عُمْرَةً تَامَّةً مُتَقَبَّلَةً، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي عُمَرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَّ أَرْبَعُ عُمَرٍ:

١- عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَةِ.

٢- عُمْرَةُ القَضَاءِ.

٣- عُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ.

٤- العُمْرَةُ الَّتِي قَرَنَهَا مَعَ حِجَّةِ الوَدَاعِ:

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلاَ يَحْمِلَ سِلاَحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا، وَلاَ يُقِيمَ بِهَا إِلَّا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ»[2].

---

(١) «دِيوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٦٩٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٠).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا هَلَّ هِلَالُ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ، وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ، فَخَرَجُوا إِلَّا مَنِ اسْتُشْهِدَ، وَخَرَجَ مَعَهُ آخَرُونَ مُعْتَمِرِينَ، فَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ أَلْفَيْنِ سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»[1].

٢- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ؟:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهْ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهْ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهْ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهْ

فَقَالَ عُمَرُ: يَابْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ شِعْرًا؟!. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**»[2].

٣- إِظْهَارُ القُوَّةِ وَالجَلَدِ:

إِنَّ التَّعَاوُنَ قُوَّةٌ عُلْوِيَّةٌ ... تَبْنِي الرِّجَالَ، وَتُبْدِعُ الأَشْيَاءَ[3]

حَثَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى إِظْهَارِ القُوَّةِ وَالجَلَدِ فِي طَوَافِهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ

---

(١) «فَتْحُ البَارِي» (٧/ ٥٧٢).

(٢)(صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٩/ ٣٢٠)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيُّ» (٢٨٧٣).

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَد شَوْقِي» (٦٢٧).

الْمُشْـرِكُونَ: إِنَّـهُ لِيَقْـدِمُ عَلَيْكُـمْ وَفْـدٌ وَهَنَهُـمْ حُمَّـى يَثْرِبَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا[١] الْأَشْـوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُـوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ[٢]، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ»[٣].

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ تَرَكَتْ مَكَّةَ إِلَى جَبَلِ قُيْقَعَانِ[٤]، تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَطُوفُونَ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قُوَّتِهِمْ[٥].

٤- خوفُ الصحابةِ على نبيِّهِم ﷺ من أهلِ مَكَّةَ:

أولئـك أبطـال الصحابـة تحتمـي بأسـيافهم إن داهمتهـا العظائـمُ

لما دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ كان أصحابُهُ رضي الله عنهم مُحَدِّقينَ به، قد تَوَشَّحُوا السيوفَ يُلَبُّون وهم يخافُون عليه من أَنْ يُصَابَ بِأَذًى، فَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ أبي أَوْفَى رضي الله عنه سَـمِعَ ابنَ عباسٍ يقولُ: «لمَّا اعتمرَ رسـولُ اللهِ ﷺ سَـتَرْناهُ من غِلمانِ المُشْركين ومنهم أن يُؤذُوا رسولَ اللهِ ﷺ»[٦].

وعنه - أيضًا- قَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاعْتَمَرْنَا مَعَهُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ طَافَ وَطُفْنَا مَعَهُ وَأَتَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ وَأَتَيْنَاهَا مَعَهُ وَكُنَّا نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَن يَرْمِيَهُ أَحَدٌ»[٧].

---

(١) الرَّمْلُ: إِسْرَاعُ المَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الخُطا، وَهَزِّ الكَتِفَيْنِ.

(٢) وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ أَيْ: حَيْثُ لَا تَقَعُ عَلَيْهِمْ أَعْيُنُ المُشْرِكِيْنَ، فَإِنَّهُمْ مَا كَانُوا فِي تِلْكَ الجِهَةِ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦٠٢)، ومُسْلِمٌ (١٢٦٦).

(٤) قُيْقَعَان: هُوَ جَبَلٌ يُوَاجِهُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ مِنَ الكَعْبَةِ.

(٥)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٩/ ٣٢٠)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ النَّسَائِيُّ» (٢٨٧٣).

(٦) رواهُ البخاريُّ (٤٢٥٥).

(٧) رواهُ البخاريُ (١٧٩١).

٥- مُدَّةُ إِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ:

وَمَا الدَّهْرُ يَوْماً واحِداً فِي اخْتِلافِهِ ... وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الفَتَى بِسَواءِ[1]

أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ المُشْرِكُونَ الوَفَاءَ بِالعَقْدِ، فَأَذَّنَ بِالرَّحِيْلِ.

فَعَنِ الْبَرَاءِ ﵁، قَالَ: «... فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ فَنَادَتْ: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ ﵂: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ احْمِلِيهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي.

وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي.

فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ - ﷺ لِخَالَتِهَا- وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»[2].

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي العَتَاهِيَة» (١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٩).

زَوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَيْمُونَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

كَرِيْمَـةٌ مِـنْ ذَوَاتِ الطُّهْـرِ فَاضِلَـةٌ ... قَـدْ كَانَ مِثْـلَ اسْـمِهَا طَبَقًـا مُسَـمَّاهَا[١]

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي رِحْلَةِ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ»[٢].

عَـنِ البَـرَاءِ بْـنِ عَـازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: «تَـزَوَّجَ النَّبِـيُّ ﷺ مَيْمُونَـةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَبَنَى بِهَا بِسَرِفَ»[٣].

وَمَيْمُونَـةُ هِـي آخِـرُ نِسَـائِهِ ﷺ مَوْتًـا بَعْـدَهُ، والعَجَـبُ أَنَّهَـا مَاتَـتْ بِسَرِفٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَنَى بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَكَانُ عُرْسِهَا هُوَ مَكَانُ دَفْنِهَا.

وَعَنْ يَزِيدَ بن الأَصَمِّ عَنْ مَيْمُونَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا « أن رسـولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا حَـلَالًا وبنـى بهـا حـلالًا وماتَـتْ بِسَـرفَ فدفنَّاهـا فـي الظُّلَّـةِ التي بَنَى بِهَا فيها فنزلتُ في قَبْرِهَا أَنَا وابْنُ عَبَّاسٍ »[٤].

---

(١) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْم اليَازِجيّ» (٢٠٢).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٥٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٩٩).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٣)، والترمذي (٣/ ٢٠٣)، وصححه الألباني في «الإحسان في التعليق على صحيح ابن حبان» (٤١٣٤).

تَصَالُحُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهلِ خَيْبَرَ

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خيبرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ حِينَ ظُهِرَ عَلَيْهَا لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَـأَلَتْ الْيَهُودُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُقِرَّهُمْ بِهَا عَلَى أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا**»[1].

فكان الصُّلْحُ مع يهودِ خيبرَ مشروطًا بإخراجِهم إذا شاءَ المسلمون ذلك.

ولذلك أخرجَهُم عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إمارتِهِ وقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نَخْرِجُهُمْ إِذَا شِـئْنَا، ومَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَلْحِقْ بِهِن وإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ، فَأَخْرَجَهُمْ[2].

وكان سـببُ إخراجِهـم أنهـم اعْتَـدَوا علـى عبـدِ اللهِ بـنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما ذَهَـبَ إلـى مالِـهِ هنـاك ليـلًا، فقَـامَ عُمَـرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيبًـا فَقَالَ: إِنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ عَامَـلَ أهـلَ خَيبَـرَ عَلَـى أَمْوَالِهِـمْ، وَقَـالَ: نُقِرُّكُـمْ مَـا أَقَرَّكُـمْ اللهُ وَإِنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَـرَ خَـرَجَ إلـى مَالِـهِ هُنَـاكَ فَعُـدِيَ عَلَيْـه مِـنَ اللَّيْـلِ فَفُدِعَتْ يَـدَاهُ وَرِجْلَاهُ[3]،

(١) رواهُ البخاريُّ (٣١٥٢)، ومسلمٌ (١٥٥١).
(٢) أخرجَه أبو داودَ (٣٠٠٧)، وقال الألبانيُّ في «صحيح سُنَنِ أبي داودَ» (٢٦٥٩): حَسَنٌ صحيحٌ.
(٣) الفَدْعُ: هو زوالُ المِفْصَلِ، وأخرجَ البخاريُّ حديثًا مُعَلَّقًا: أنهم أَلْقَوْهُ من فوق بيتٍ فَفَدَعُوا يَدَيْهِ.

وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهْمَتُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بني أبي الْحُقَيْقِ، فقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَامَلَنَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**كَيفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ لَيلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ**»[١]، فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ[٢]، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ مَالًا وَإِبِلًا وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ[٣].

وكان النبيُّ ﷺ قد صالَحَ أهلَ خيبرَ على أَنْ لَا يَكْتُمُوا ولا يُغَيِّبُوا شَيئًا، فَإِنْ فَعلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ، فَغيبوا مسْكًا لحيي بنِ الحطَب، وَقَدْ كَان قتل قَبل خَيْبرَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ يَوْمَ بني النُّضيرِ حينَ أجلبت النُّضير، فيه حُلِيُّهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النبيُّ ﷺ لسَعْيَةَ[٤]: «**أَيْن مسْك حُيي بن أَحْطَبَ؟**»، قَالَ: أَذْهَبَتْهُ الْحُرُوبُ والنَّفقاتُ، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ، فَقَتَلَ رسولُ اللهِ ﷺ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَسَبَى نَسَاءَهُمْ وَذَرَارِيْهُمْ وَأَرَادَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ دَعْنَا نَعْمَلُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ وَلَنَا الشَّطْرُ مَا بَدَا لَكَ وَلَكُمُ الشَّطْرُ[٥].

---

(١) القَلوصُ - بفتح القاف-: الناقةُ الصابرةُ على السيرِ، وقيل: الشابَّةُ، وفي ذلك إشارةٌ من النبيِّ ﷺ إلى أخراجهم من خيبرَ وكان ذلك من إخبارِهِ بالغيبياتِ قبل وقوعِها.

(٢) هُزَيلَةً: تصغيرُ هَزْلٍ، وهو ضِدُّ الجِدِّ.

(٣) رواهُ البخاريُّ (٢٧٣٠).

(٤) عَمُّ حُيي بن أحطَبَ.

(٥) أخرجَهُ أبو داود (٣٠٠٦)، وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ أبي داود» (٢٦٥٨).

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ(١)

قَـدْ أَتَانَـا مِـنْ قَـتْلِهِمْ مَـا كَفَانَـا   فَبِحُـزْنٍ نَبِيـتُ غَيْـرَ سُرُورِ(٢)

١- وَقْتُهَا:

فِي جَمَادِى الأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا قَوَامُهُ ثَلاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ إِلَى الشَّامِ، وَعَيَّنَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَمِيرًا عَلَيْهِ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ »(٣).

وَهَذِهِ هِيَ المَرَّةُ الأُوْلَى الَّتِي يَتَّخِذُ فِيهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مِثْلَ هَذِهِ الاحْتِيَاطِ،وَرُبَّمَا كَانَ مُتَوَقِّعًا أَنْ تَحُفَّ الأَخْطَارُ هَذِهِ الحَمْلَةَ لِوَجْهَتِهَا البَعِيْدَةِ، وَلِعَدَمِ وُقُوعِ احْتِكَاكٍ سَابِقٍ بِمَنَاطِقَ تَخْضَعُ لِنُفُوذِ دَوْلَةٍ قَوِيَّةٍ: كَالإِمْبَرَاطُورِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ قَبَائِلُ الشَّامِ وَأَطْرَافِهَا مُوَالِيَةً لَهَا سِيَاسِيًّا.

٢- المَلْحَمَةُ:

وَشَبَـابِ مَأْسَـدةٍ كَأَنَّ سُيُـوفَهُمْ   فِـي كُلِّ مَلْحَمِـةٍ بُـرُوقُ رُعُـودِ(٤)

وَصَلَ الجَيْشُ إِلَى مَعَانٍ(٥) عِنْدَمَا وَصَلَتْهُ أَخْبَارُ وُصُولِ هِرَقْلَ بِأَرْضِ مَآب

(١) مُؤْتَةُ: قرية بأدنى بلاد الشام في منطقة البلقاء.

(٢) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » (٨٩).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦١).

(٤) «الحَمَاسَةُ البَصرِيَّةُ» (١/ ١٧٨).

(٥) مَعَان –بِالفَتْحِ– حِصْنٌ كَبِيرٌ بِالأُرْدُنِّ.

-وَهِيَ البَلْقَاءُ- فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ، وَ مِائَةِ أَلْفٍ أُخْرَى مِنْ نَصَارَى العَرَبِ: لَخْمٍ، وَجُذَامٍ، وَقُضَاعَةَ (بَهْرَاءَ، وَبَلِيٍّ، وَبَلْقَيْنَ).

فَانْدَفَعَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِالنَّاسِ إِلَى مَنْطِقَةِ مُؤْتَةَ جَنُوبِ الكَرْكِ بِيَسِيرٍ، حَيْثُ آثَرَ الاصْطِدَامُ بِالرُّوْمِ هُنَاكَ، فَكَانَتْ مَلْحَمَةً، سَجَّلَ فِيهَا القَادَةُ الثَّلَاثَةُ بُطُولَاتٍ عَظِيْمَةً، انْتَهَتْ بِاسْتِشْهَادِهِمْ، فَشَاطَ[1] زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَنْ رِمَاحِ الرُّومِ فَاسْتُشْهِدَ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ، فَعَقَرَ فَرَسَهُ[2] الشَّقْرَاءَ، وَقَاتَلَ بِالرَّايَةِ، فَقُطِعَتْ يَمِيْنُهُ، فَأَمْسَكَهَا بِشِمَالِهِ، فَقُطِعَتْ، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَتَرَدَّدَ يَسِيْرًا، ثُمَّ انْدَفَعَ، فَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ، وَنَادَى فِي المُسْلِمِيْنَ: أَنْ يَخْتَارُوا قَائِدًا، فَاخْتَارُوا خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ، وَقَدْ أَدْرَكَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ خُطُورَةَ المَوْقِفِ، فَأَعَادَ تَنْظِيْمَ الجَيْشِ، وَبَدَّلَ المَيْسَرَةَ بِالمَيْمَنَةِ، وَجَعَلَ قِسْمًا مِنَ الجَيْش يَتَقَدَّمُونَ مِنَ الخَلْفِ، وَكَأَنَّهُمْ أَمْدَادٌ جَدِيْدَةٌ لِإِيْهَامِ الرُّومِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ القِيَامِ بِانْسِحَابٍ مُنَظَّمٍ، لَمْ يُفْقِدْهُ إِلَّا اليَسِيْرَ مِنْ رِجَالِهِ، حَيْثُ سَمَّتِ المَصَادِرُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهِيْدًا[3].

وَسَارَ زَيْدٌ أَمِيْراً نَحْوَ مُؤتَةَ فِي ... بَعْثٍ فَلَاقَى بِهَا الأَعْدَاءَ مِنْ كَثَمِ
فَعَبَّأَ المُسْلِمُونَ الجُنْدَ وَاقْتَتَلُوا ... قِتَالَ مُنْتَصِرٍ لِلحَقِّ مُنْتَقِمِ
فَطَاحَ زَيْدٌ وَأَوْدَى جَعْفَرٌ وَقَضَى ... تَحْتَ العَجَاجَةِ عَبْدُ اللهِ فِي قُدُمِ

---

(١) فَشَاطِ أَيْ: سَالَ دَمُهُ.

(٢) عقَرَ فَرَسَهُ أَيْ: ضَرَبَ قَوائِمَهَا بِالسَّيْفِ وَهِي قَائِمَةٌ.

(٣) «سِيْرَةُ ابْن هِشَامٍ» (٣/ ٤٣٠-٤٤٧)، وَلَمْ يُسْنَدِ ابْنُ إِسْحَاق قِصَةَ الوَاقِعَةِ سِوَى عَقْرِ جَعْفَرٍ لِفَرَسِهِ، وَخَبَرَ تَرَدُّدِ ابْنِ رَوَاحَةَ، ثُمَّ إِقْدَامِهِ، حَيْثُ سَاقَهُمَا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَفِيْهِ جَهَالَةُ اسْمِ الصَّحَابِيِّ، وَلاَ تَضُرُّ. انْظُرْ: «حَاشِيَة السِّيْرَةِ الصَّحِيْحَةِ» لِلعمَرِيِّ (٢/ ٤٦٨).

لَا عَـارَ بِالمَوْتِ فَالشَّهْمُ الجَرِيءُ يَرَى أَنَّ الـرَّدَى فِـي المَعَالـي خَيْـرُ مُغْتَنَـمِ[١]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

وَيَـوْمُ مُؤْتَـةَ بَاسْـمِ المَـوْتِ قَـدْ قُرِنَـتْ وَالأُسْـدُ مَـا بَيْـنَ مَـلْثُومٍ وَمُلْتَثَـمِ

لَـمْ يَرْهَبُـوا الجَمْـعَ أَضْعَافًـا مُضَاعَفَـةً حُـبُّ الشَّـهَادَةِ يَمْحُـو رَهْبَـةَ العَمَـمِ

نُفُـوسُهُمْ تَسْـتَظِلُّ المَـوْتَ أَوْسِـمَةً وَأَنْفُـسُ الكُفْـرِ تَنْبُـو عَنْـهُ فِـي الأَكَـمِ

٣- عَبْقَرِيَّةُ خَالِدٍ:

كَتَـائِـبُ مِـنْ أَقْوَامِـنَا خَالِـدِيَّةٌ وَمَـا الـحَرْبُ إِلَّا خَالِـدٌ وَكَتَائِبُـهْ[٢]

لَقَدْ أَظْهَرَتْ عَبْقَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الإِنْسِحَابِ المُنَظَّمِ النَّاجِحِ فَتْحًا عَظِيْمًا، حَيْثُ تَمَكَّنَ مِنْ إِنْقَاذِ جَيْشِهِ مِنْ بَحْرٍ مُتَلاطِمِ الأَمْوَاجِ، وَمِنْ فَيَالِقَ تَرْبُو عَلَيْهِمْ سَبْعِينَ ضِعْفًا بِخَسَائِرَ طَفِيْفَةٍ، مَعَ الإِثْخَانِ فِي الرُّوْمِ، وَإِصَابَتْهِمْ بِقَتْلَى وَجَرْحَى.

فَهَا هُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُنَا «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيْحَةٌ يَمَانِيَةٌ»[٣].

وَقَدْ سَمَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدًا سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللهِ، وَسَمَّى عَمَلَهُ هَذَا فَتْحًا.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ**

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (١٧/ ٦٠٦) والكَتَمُ -مُتَحَرِّكَةً-: القُرْبُ.

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٧٨).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦٥).

أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، -وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ- حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ»(١).

غَطَارِفَةٌ تَمْضِي العُصُورُ وَذِكْرُهُمْ فَتِيٌّ شَبَابٍ كُلَّما شِخْنَ أَيْفَعَا
وَلَوْ أَغْفَلَ التَّأرِخُ ذِكْرَ فِعَالِهِم دَعَا نَاطِقُ الآثَارِ مِنْهَا فَأَسْمَعَا(٢)

٤- جَنَاحَانِ لِجَعْفَرٍ فِي الجَنَّةِ:

فَلاَ يَشُبُ أَجْرَ الجِهَادِ الَّذِي فُزْتَ بِهِ دُونَ الوَرَى مَأْثَمُ(٣)

أَبْلَى جَعْفَرٌ بَلاءً حَسَنًا، يُحَدِّثُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ -وَكَانَ حَاضِرًا-: «لَقَدْ وُجِدَ فِي جَسَدِ جَعْفَرٍ أَكْثَرُ مِنْ تِسْعِينَ إِصَابَةً بِالرِّمَاحِ وَالسِّهَامِ»(٤).

وَمَا أَقْعَدَهُ ذَلِكَ عَنِ القِتَالِ حَتَّى الرَّمَقِ الأَخِيرِ.

وَقُطِعَتَا يَدَاهُ، فَأَبْدَلَهُ اللهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الجَنَّةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَلَكًا يَطِيرُ مَعَ الْمَلائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ**»(٥).

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «**السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ**»(٦).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦٢).

(٢) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْمُ اليَازِجِيِّ»(٩٧)، وَالغَطَارِفَةُ: جَمْعُ غِطْرِيْفِ -بِالكَسْرِ- وَهُوَ السَّيِّدُ الكَرِيْمُ الشَّرِيْفُ السَّخِيُّ.

(٣) «دِيْوَانُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ»(٤١٨).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٦).

(٥) (صَحِيحٌ)أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ(٣٧٦٣)، وَالحَاكِمُ (٤٩٣٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٢٢٦).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٠٩).

ثَوَوْا فِي الثَّرَى مِنْ بَعْدَمَا سُرْبِلُوا العُلَا ... ومِنْ بَعْدَمَا سَمُّوا نُجُومَ المَحَافِلِ
مَصَارِعُ لَمْ تُورِثْ شَنَاراً، وإِنَّهَا ... لَيَرْتَعُ فيْهَا شَامِتٌ عِنْدَ جاهِلِ[١]

٥- مَكَانَةُ شُهَدَاءِ مُؤْتَةَ:

هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيْدُ بِمَيِّتٍ لاَ يَكْذِبُ[٢]

ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شُهَدَاءُ مُؤْتَةَ، وَقَالَ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُمْ عِنْدَنَا**». أَوْ قَالَ: «**مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا**»[٣].

هُمُ القَوْمُ فَازُوا بِالشَّهَادَةِ وَالرِّضَا ... عَنِ القَوْمِ لاَ تَسْأَلْ، وَعَنْ نَفْسِكَ اسْأَلِ
لَهُمْ عِنْدَ مَوْلاَهُمْ جِنَانٌ تَزَيَّنَتْ ... وَجَنَّاتُ رَبِّي فَوْقَ كُلِّ تَخَيُّلِ
فَيَا نَفْسُ، سِيْرِي سَيْرَهُمْ وَاقْتَدِي بِهِمْ ... فَإِنَّكِ فِي دَرْبِ اليَقِيْنِ المُؤَجَّلِ[٤]

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٥٣٤) وَالشَّنَار -بِالفَتْحِ- أَقْبَحُ العَيْبِ وَالعَارُ.
(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٩/ ٦٥).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٩٨).
(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ-.

غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

هُمُو ضَارِبُوا عَنْهُ، فَصَانُوا ذِمَارَهُ   بِصَارِمِ عَزْمٍ مَا يُرَدُّ مَضَاؤُهُ(١)

لَمْ تَمْضِ سِوَى أَيَّامٍ عَلَى عَوْدَةِ الجَيْشِ مِنْ مُؤْتَةَ إِلَى المَدِيْنَةِ، حَتَّى جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا بِقِيَادَةِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ؛ وَذَلِكَ لِتَأْدِيْبِ قُضَاعَةَ الَّتِي غَرَّهَا مَا حَدَثَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي مُؤْتَةَ الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِيْهَا إِلَى جَانِبِ الرُّومِ، فَتَجَمَّعَتْ تُرِيْدُ الدُّنُوَّ مِنَ المَدِيْنَةِ، فَتَقَدَّمَ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه فِي دِيَارِهَا، وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيْنَ بِبَعْضِ فُرُوعِ قُضَاعَةَ، وَقَدْ بَلَغَ عَمْرُو بْنِ العَاصِ أَنَّ جُمُوعَهَا كَبِيْرَةٌ، فَاسْتَمَدَّ الرَّسُولَ ﷺ، فَأَمَدَّهُ بِمِائَتَيْنِ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، فِيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رضي الله عنهم.

وَقَدْ تَوَغَّلَ الجَيْشُ فِي قُضَاعَةَ الَّتِي هَرَبَتْ وَتَفَرَّقَتْ، وَقَدْ أَعَادَتْ هَذِهِ الحَمْلَةُ الهَيْبَةَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ، تِلْكَ الهَيْبَةَ الَّتِي كَانَتْ أَحْدَاثُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ قَدْ زَعْزَعَتْهَا(٢).

أُولَئِكَ إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ   فَإِنَّ لَدَيْهِمُ حَسَبًا وَجُودا
هُمُ خَيْرُ المَعَاشِرِ مِنْ قُرَيْشٍ   وَأَوْرَاهَا إِذَا قُدِحَتْ زُنُودا(٣)

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٥) وَالذِّمَار -بِالكَسْرِ- مَا يَلْزَمُكَ حِفْظُهُ وَحِمَايَتُهُ.

(٢) «انظُرْ: السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيْحَة»، لِلعِمَرِي (٥٠٨).

(٣) «طَبَقَاتُ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ» (١/ ١٤٦) وَالإِوْرَاءُ: إِشْعَالُ النَّارِ. وَالزُّنُودُ: جَمْعُ زَنْدٍ -بِالفَتْحِ- وَهُوَ العُودُ الَّذِي يُقْدَحُ بِهِ النَّارُ.

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

لَـــهُ اللـــهُ فِـي عَيْنَيْـهِ بَـدْرٌ وَمُؤْتَـةٌ   وَفِــي قَلْبِـهِ ذَاتُ السَّلَاسِـلِ والجِسْـرُ

قِصَّةُ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ

الحَــزْمُ هَــادٍ وَالسِّيَاسَــةُ مَــرْكَبٌ وَالعَــزْمُ حَــادٍ وَالمَــضَاءُ قَرِيْــنُ[١]

بَعْـدَ غَـزْوَةِ ذِي قَـرَدٍ قَـدِمَ رِجَـالٌ مِـنْ قَبِيْلَتَـيْ عُـكْلٍ وَعُرَيْنَةَ إِلَى المَدِيْنَةِ، وَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ، ثُمَّ طَلَبُوا أَنْ يَسْكُنُوا الرِّيفَ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَوْخِمُونَ المَدِيْنَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِنِيَاقٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيْهِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهُمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا النِّيَاقَ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَجَاءُوه بِهِمْ، حَيْثُ سُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ[٢]، وَقُطِّعَتْ أَيْدِيهُمْ، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ.

وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَهَا عَنِ المُثْلَةِ[٣][٤].

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٦٠).

(٢) سُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ أَيْ: فُقِئَتْ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٩٢)، ومُسْلِمٌ (١٦٧١).

(٤) المُثْلَةُ - بِوَزْنِ الغُرْفَةِ-: هِي الزِّيادةُ بَعْدَ القَتْلِ: مِنْ جَدْعِ أَنفِ، أو أُذُنٍ، أَو أَطْرافٍ، أَوْ غَيرِ ذَلِكَ.

وفاةُ النجاشيِّ

مَلِكٌ يرى الدنيا بِأَيْسَرِ لحظةٍ ويرى التُّقَى رَحِمًا من الأرحامِ

في رَجَبَ من السنةِ التاسعةِ للهجرةِ توفي مَلِكُ الحبشةِ أَصْحَمَةُ النجاشيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فنعاه رسولُ اللهِ ﷺ إلى أصحابِهِ، وخَرَجَ بهم، فَصَلَّى بهم صلاةَ الغائِبِ. ولم يَثْبُتْ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى على غائبٍ سواهُ؛ لأنه ماتَ بينَ نصارى، ولم يَكُنْ عنده من المسلمين من يُصَلِّي عليه؛ لأَنَّ الصحابَةُ الذين كانوا عنده خَرجُوا مهاجرين إلى المدينةِ عام خَيْبَرَ.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى لَهُمُ النَّجَاشِيَّ، صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ**»[١].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ[٢].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ: «**صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ فَصَفَّنَا وَرَاءَهُ فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ**»[٣].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٨٨٠)، ومسلمٌ (٩٥١).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٣٨٧٧)، ومسلمٌ (٩٥٢).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٣٨٧٨)، ومسلمٌ (٩٥٢).

فَتْحُ مَكَّةَ

فَيَالَكَ مِنْ فَتْحٍ غَدَا زِيْنَةَ العُلَى وَوَاسِطَةَ الدُّنْيَا، وفَائِدَةَ العَصْرِ(١)

فَتْحُ مَكَّةَ الحَدِيْثُ عَنْهُ ذُو شُجُونٍ، فَهُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ، وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي اسْتَبْشَرَ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ(٢) عِزِّهِ عَلَى مَنَاكِبِ الْجَوْزَاءِ(٣)، وَدَخَلَ النَّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا»(٤).

فَتْحُ الفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيْطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ، أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ
فَتْحٌ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ(٥)

١- وَقْتُهَا:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَكَّةٌ فَانْهَضْ لَهَا فَاللهُ جَلَّ بِنَصْرِهِ لَكَ مُنْجِدُ(٦)

كَانَتْ فِي عَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِيْنَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِيْنَةَ.

---

(١) «دِيْوَانُ الثَّعَالِبِي» (٧٩).

(٢) الأَطْنَاب: جَمْعُ طُنُبٍ -بِضَمَّتَيْنِ-، وَهُوَ الوَتَدُ.

(٣) الجَوْزَاء: بُرْجٌ فِي السَّمَاءِ.

(٤) «زَادُ المِعَاد» (٣/ ٣٤٧).

(٥) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (١٨)، والقُشُبُ: جَمْعُ قَشِيْبٍ، وَهُوَ الجَدِيْدُ.

(٦) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٥/ ٤٧٠).

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **«غَزَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ»**[١].

وَعَنْهُ قَالَ: «صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ -الْمَاءَ الَّذِي بَيْنَ قُدَيْدٍ وَعُسْفَانَ- أَفْطَرَ؛ فَلَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ»[٢].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا»[٣].

٢- سَبَبُهَا:

شَادَ العُلَى بِمَعَارِفٍ وَعَوَارِفٍ ... وَرَمَى العِدَى بِصَوَارِمٍ وَصَوَاهِلِ[٤]

لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ، وَسَبَبُ فَتْحِ مَكَّةَ نَقْضُ قُرَيْشٍ لِمُعَاهَدَةِ الحُدَيْبِيَةِ.

فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا: كَانَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ... وَفِيهِ أَنَّ خُزَاعَةَ فِي عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدِهِ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ لَيْلًا، بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ: الْوَتِيرُ. وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٥)، ومُسْلِمٌ (١١١٣).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٦)، ومُسْلِمٌ (١١١٣).

(٤) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٣/ ٨٢).

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ. فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ(١) وَالسِّلَاحِ، وَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ، لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ**»(٢).

فِي كَفِّكَ الشَّهْمِ مِنْ قَبْلِ الهُدَى طَرَفٌ ... عَلَى الصِّرَاطِ، وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُ
هَيْهَاتَ رِحْلَةُ مَسْرَانَا جَحَافِلُنَا ... كَمَا عَهِدَتْ، وَعَزَمَاتُ الوَرَى أُنُفُ

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

بُشْرَاكَ يَا عَمْرُو، هَذَا الوَعْدُ مُنْجِزُهُ ... مُحَمَّدٌ، وَهُوَ يُوَفِّي كُلَّ مَا يَعِدُ
جَحَافِلُ النُّورِ تَسْرِي خَلْفَ مَوْكِبِهِ ... وَمَكَّةُ الخَيْرِ بِالأَشْوَاقِ تَتَّقِدُ

٣-السِّرِّيَّةُ التَّامَّةُ:

ضَعِ السِّرَّ فِي صَمَّاءَ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ ... صَلُودٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
وَلَكِنَّهُ قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِيظَةٍ ... يَرَى ضَيْعَةَ الأَسْرَارِ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ(٣)

شَرَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الجِهَازِ إِلَى مَكَّةَ، وَأَحَاطَ ذَلِكَ بِسِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ، بَلْ وَسَأَلَ اللهَ ﷻ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ الأَخْبَارَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﷻ؛ لِذَلِكَ لَمَّا كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، يُعْلِمُهُمْ فِيهِ بِمَا هَمَّ بِهِ

---

(١) الكُرَاع - بِالضَّمِّ -: الدَّوَابُّ الَّتِي تَصْلُحُ لِلحَرْبِ.

(٢) (حَسَنٌ) «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَة» (٦/ ٥٠٨) مِنْ طَرِيقِ الطَّبَرِيِّ فِي «تَارِيخِهِ» (٢/ ٣/ ١١١)، والبَيْهَقِيِّ فِي «دَلَائِلِهِ» (٥/ ٥-٧)، بِسَنَدٍ حَسَنٍ إِلَى ابْنِ إِسْحَاق، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ.

(٣) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤٣٦).

رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِنَ العَزْمِ عَلَى قِتَالِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ امْرَأَةٍ، وَقَد تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً تَعُودُ عَلَيْهِ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ رَسُـولُ اللهِ ﷺ، -وَصَدَّقَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ والحُدَيْبِيَةِ ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرُ وَالمِقْدَادَ رضي الله عنهم، فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ[1]، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ،فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[2]، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللـهِ ﷺ، فَـإِذَا فِيـهِ مِـنْ حَاطِـبِ بْـنِ أَبِـي بَلْتَعَـةَ إِلَـى أُنَاسٍ مِنَ المُشْـرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَـا أَهْلِيهِـمْ وَأَمْوَالَهُـمْ، فَأَحْبَبْـتُ إِذْ فَاتَنِـي ذَلِـكَ مِـنَ النَّسَـبِ فِيهِـمْ، أَنْ أَتَّخِـذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

---

(١) الظَّعِينَة: المَرْأَةُ فِي هَوْدَجِهَا.

(٢) عِقَاصِهَا -بِالكَسْرِ- أَيْ: شَعْرِهَا المَضْفُور.

فَأَنْـزَلَ اللـهُ ﷻ السُّـورةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾[1].

لِيَهْـنِ رَكْـبٌ سَـرَوا لَيْـلاً، وَأَنْـتَ بِهِـمْ لِسَـيْرِهِمْ فِـي صَبَـاحٍ، منْـكَ، مُنبَلِـجِ
فَلْيَصْنَـعِ القَـوْمُ مَـا شَـاءُوا لِأَنفُسِـهِمْ هُمْ أَهْلُ بَدرٍ، فَلَا يَخشَونَ مِنْ حَرَجِ[2]

٤- لِقَاءُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَنْ قَدِمَ مُهَاجِرًا:

تَـأْتِي البَـشائِرُ بَـعْدَ طُـوْلِ مَشَـقَّةٍ كَـالغَـيْـثِ بَـعْـدَ الـبَـرْقِ وَالإِرْعَـادِ

وَفِـي الطَّرِيْـقِ إِلَـى مَكَّـةَ لَقِيَـهُ عَمُّـهُ العَبَّـاسُ ﵁ بِـذِي الحُلَيْفَـةِ، وَقِيْـلَ بِالجُحْفَةِ[3]، فَأَسْلَمَ وَرَجَعَ مَعَهُ وَبَعَثَ أَهْلَهُ وَمَتَاعَهُ إِلَى المَدِيْنَةِ.

وَفِي الطَّرِيْقِ -أَيْضًا- قَدِمَ بَعْضُ زُعَمَاءِ المُشْـرِكِيْنَ، فَأَعْلَنُوا إِسْـلامَهُمْ، فَفِي الأَبْوَاءِ قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ أَخُو الرَّسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيْرَةِ، فَأَسْلَمَا وَكَانَا شَدِيْدَيْنِ فِي مُعَادَاةِ الإِسْلاَمِ، فَكَانَ أَبُو سُـفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ يَهْجُو المُسْـلِمِيْنَ، وَيُقَاتِلُهُمْ فِي سَـائِرِ الحُرُوبِ عِشْـرِيْنَ سَـنَةً، حَتَّى قَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الإِسْـلاَمَ، وَحَسُـنَ إِسْـلاَمُهُ، فَكَانَ أَحَدَ الَّذِيْنَ صَمَدُوا مَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ حِيْنَ فَرَّ النَّاسُ.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ شَدِيْدَ العَدَاوَةِ لِلمُسْلِمِيْنَ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ ﷺ عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَصِهْرُهُ، فَهُوَ أَخُو أُمِّ سَلَمَةَ -أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ - لِأَبِيْهَا،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧٤)، ومُسْلِمٌ (٢٤٩٤).

(٢) «الكَشْكُول» (٢/ ٣٠) لِيَهْنِ أَيْ: هَنِيْئًا لَهُمْ. وَ مُنبَلِجِ: مُتَّضِح.

(٣) «سِيْرَةُ ابْن هِشَام» (٢/ ٤٠٠).

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ السُّقْيَا والعَرْجِ عَلَى طَرِيْقِ (المَدِيْنَةِ مَكَّةَ)، فَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتُشْهِدَ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1].

أَحَاطَ بِكَ التَّوْفِيْقُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَجَاءَتْكَ مِنْ كُلِّ البِلَادِ البَشَائِرُ[2]

٥- زيارةُ الرسولِ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ:

فلمْ أرَ يومًا كان أكثرَ باكيًا ... ووجهًا ترى فيه الكآبةَ تجنبُ

مَرَّ النبيُّ ﷺ بالأبواءِ فزارَ قبرَ أُمِّهِ فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زارَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَن أَسْتَغْفرَ لَهَا، فَلَم يُؤذَنْ لي، واستأْذَنْتُهُ فِي أَن أَزورَ قبرَها، فَأَذِنَ لي، فزورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكم الْمَوْتَ»[3].

٦- وصولُ النبيِّ ﷺ مَرَّ الظهرانِ:

وَلْيَهْنِ مَقَامُكَ الصعيدَ وَمَنْ بِهِ ... وَمَنِ البشيرُ لمكةَ أُمِّ القُرَى

واصلَ النبيُّ ﷺ سَيْرَهُ إلى مكةَ وهو صائمٌ والناسُ صيامٌ مَعَهُ، فلما انْتَهى إلى الكديدِ، بينَ عَسفانَ وقديدَ، وهو اسمُ وادٍ شمالَ مكةَ.

أفطرَ وأفطرَ الناسُ معه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانٍ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ،

---

(١) «تَتِمَّةُ اليَتِيْمَةِ» (٥/ ٥١).

(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (٣٤٥).

(٣) رَوَاهُ مُسلمٌ (٩٧٦).

وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا[١].

وفي « صحيح مسلم» مِنْ حَدِيثِ أَبي سَعِيدٍ «**إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ**» قَالَ: فَكَانَتْ رُخْصَةً فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ مُصَبِّحوا عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا**» فَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا[٢].

٧- جني الكباثِ:

ومَنْ ذا الذي يُحْصِي جليلَ خصالِهِ وهُنَّ بحورٌ ما لَهُنَّ سواحِلُ

لما نزلَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُهُ في عَسَفانَ بِمَرِّ الظهرانِ يجنونَ ثَمَرَ الكباثِ[٣].

عَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ نَجْنِي الْكَبَاثَ وَإِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ**». قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ رَعَاهَا؟**»[٤].

٨- عَسْكَرَ الجَيْشُ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ:

فَسَارَ مِنْ نَفسِهِ في جَحْفَلٍ حَرِدٍ وَسَارَ مِنْ جَيْشِهِ في عَسْكَرٍ لَجِبِ

عَسْكَرَ جَيْشُ الْمُسْلِمِيْنَ فِي مَرِّ الظَّهْرَانِ، فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ.

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٢٧٦).

(٢) رَوَاهُ مُسلمٌ (٩٧٦).

(٣) (الكباثُ) النضيجُ من ثمرِ الْأَرَاكِ حَبُّهُ فويقَ حَبِّ الكزبرةِ في الْقَدْرِ.

(٤) رواهُ البخاريُّ (٣٤٠٦).

فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرُو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ، فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «**احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الخَيْلِ**[١]**، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ**».

فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ.

قَالَ: مَا لِي وَلِغَفَارَ. ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ ابْنُ هُذَيْمٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمٌ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ، حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ[٢]، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟.

قَالَ: «**مَا قَالَ؟**»، قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: «**كَذَبَ سَعْدٌ**[٣]**، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ**»[٤].

---

(١) خَطْمِ الخَيْلِ: ازْدِحَامِهَا، وَهُوَ يَكُون عِنْدَ مَضِيْقِ الجَبَلِ، فَلَايَفُوتَهُ إِذَا وَقَفَ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الجَيْشِ.

(٢) يَوْمُ الذِّمَارِ: أي: يوم الهلاك.

(٣) كَلِمَةُ «كَذِبَ» كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى أَخْطَأَ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٠).

٩- اسْتِعْرَاضُ الجَيْشِ:

مَا جَاشَ فِي صَدْرِ المُلَطَّفُ صَدْرُهُ إِلاَّ ظَنَنْتُ الجَيْشَ قَدْ مَلأَ الفَضَا[١]

اسْتَعْرَضَ الجَيْشُ أَمَامَ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَدْرَكَ أَبُو سُفْيَانَ قُوَّةَ المُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ لاَ قِبَلَ لِقُرَيْشٍ بِهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلعَبَّاسِ: «**يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ**[٢]**، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا**».

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ: وَمَرَّتْ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّى نَفِدَتْ الْقَبَائِلُ، مَا تَمُرُّ بِهِ قَبِيلَةٌ إِلَّا يَسْأَلُنِي عَنْهَا، فَإِذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ، قَالَ: مَالِي وَلِبَنِي فُلَانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ[٣]، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لاَ يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنْ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟.

قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ[٤] وَلاَ طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٦/ ٤٨).

(٢) خَطْمُ الْجَبَلِ -بِالفَتْحِ-: أَنْفٌ يَتَقَدَّمُهُ، وَهُوَ مَحَلٌّ ضَيِّقٌ، وَفِي رِوَايَةٍ: «خَطْمُ الْخَيْلِ».

(٣) الكَتِيبَةُ: الطَّائِفَةُ العَظِيمَةُ مِنَ الجَيْشِ مُجْتَمِعَةً، وَالجَمْعُ كَتَائِبُ.

(٤) القِبَلُ - بِزِنَةِ العِنَبِ -: الطَّاقَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النَّمْلُ: ٣٧]، أَيْ لَا = =طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا، وَلاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَتِهَا.

أَخِيكَ الْغَدَاةَ[١] عَظِيمًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ. إِنَّهَا النُّبُوَّةُ.

قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ[٢].

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ ... بِأَيْدِيهِمُ بِيضٌ رِقَاقُ الْمَضَارِبِ[٣]

١٠- حِكَايَةُ دُخُولِ الْجَيْشِ الْمُظَفَّرِ مَكَّةَ:

فثبت اللهُ ما أتاك من حسنٍ ... تثبيت موسى ونصرًا كالذي نُصرا[٤]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ[٥] وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: «**ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ**».

فَدَعَوْتُهُمْ فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: «**هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا**»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «**مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا**».

---

(١) الْغَدَاةَ أَيْ: صَبَاحَ الْيَوْمِ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» (٨/ ١٠)، والحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرِكِ» (٣/ ٤٣)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (٥/ ٢٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٣٤١).

(٣) «الزَّهْرَةُ» (١٨٠) وَفُلُولُ السَّيْفِ: ثُلَمُهُ. وَقِرَاعُ الكَتَائِبِ: هُوَ أَنْ تَضْرِبَ بَعْضُ الجُيُوشِ بَعْضًا، وَهُوَ مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمِّ. وَالبِيضُ: جَمْعُ أَبْيَضَ، وَهُوَ السَّيْفُ.

(٤) «المحاسن والمساوئ» (١٨٦).

(٥) الْبَيَاذِقَةُ: هُمُ الرَّجَّالَةُ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِخِفَّتِهِمْ، وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ مَعَهُمْ مَا يُثْقِلُهُمْ.

قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ[1].

قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتْ الْأَنْصَارُ، فَأَطَافُوا بِالصَّفَا فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»**[2].

خَفَقَتْ لَهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ رَايَةٌ ... فِي الخَافِقَيْنِ سَرَتْ لَهَا أَخْبَارُ
وَالرُّعْبُ يَسْرِي لِلجَوَانِبِ قَبْلَهُ ... فَتُرَاعُ قَبْلَ وُرُودِهِ الأَقْطَارُ[3]

١١- كَيْفَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ؟:

وَدَخَلْتَ مَكَّةَ -يَا حَبِيبُ- مُظَفَّرًا ... بِفَيَالِقِ التَّوْحِيدِ وَالإِيْمَانِ

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ[4]، خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا لِلهِ، شَاكِرًا لِرَبِّهِ آلَاءَهُ وَإِنْعَامَهُ عَلَى نَاقَتِهِ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ[5].

وَكَانَ دُخُولُهُ عَامَ الفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ تَحْقِيقًا لِقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ هَجَا قُرَيْشًا، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ خَيْلَ اللهِ سَتَدْخُلُ مِنْ كَدَاءٍ.

قَالَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

---

(١) أَنَامُوهُ أَيْ: قَتَلُوهُ «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ» (٥/ ١٣١).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٠).

(٣) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤٥٠).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٩٠)، ومُسْلِمٌ (١٢٥٨).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨١).

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
ثَكِلْتُ[١] بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ[٢] مِنْ مَوْعِدُها كَدَاءُ
يُبَارِينَ[٣] الْأَعِنَّةَ[٤] مُصْعِدَاتٍ[٥] عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ[٦] الظِّمَاءُ[٧]
تَظَلُّ جِيَادُنَا[٨] مُتَمَطِّرَاتٍ[٩] تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ[١٠] النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ[١١]

ثُمَّ طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالكَعْبَةِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ[١٢]؛ كَرَاهَةَ أَنْ يُزَاحِمَ النَّاسَ، وَتَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ[١٣]، وَبَيَّنَ حُرْمَةَ مَكَّةَ، وَأَنَّهَا لَا تُغْزَى بَعْدَ الفَتْحِ[١٤].

---

(١) الثُّكْلُ: فُقْدَانِ الوَلَد.

(٢) تُثِيرُ النَّقْعَ أَيْ: تَرْفَعُ الغُبَارَ وَتُهَيِّجُهُ.

(٣) يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ أَيْ: أَنَّ الخُيُولَ لِصَرَامَتِهَا وَقُوَّةُ نُفُوسِهَا تُضَاهِي أَعِنَّتَهَا بِقُوَّةِ جَذْبِهَا لَهَا، وَهِيَ مُنَازَعَتِهَا لَهَا -أَيْضًا-.

(٤) الأَعِنَّةَ: جَمْعُ عِنَانٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ سَيْرُ اللِّجَامِ الَّذِي تُمْسَكُ بِهِ الدَّابَّةُ.

(٥) مُصْعِدَاتٍ أَيْ: مُقْبِلَاتٍ إِلَيْكُمْ وَمُتَوَجِّهَاتٍ.

(٦) الأَسَلُ -بِفَتْحَتَيْنِ-: الرِّمَاحُ.

(٧) الظِّمَاءُ: العِطَاشُ لِدِمَاءِ الأَعْدَاءِ.

(٨) الجِيَادُ: الخَيْلُ.

(٩) مُتَمَطِّرَاتٍ أَيْ: بِالعَرَقِ مِنْ سُرْعَةِ الجَرْيِ.

(١٠) الخُمُرُ: جَمْعُ خِمَارٍ، وَهُوَ مَا تُغَطِّي بِهِ المَرْأَةُ رَأْسَهَا، أَيْ: يُزِلْنَ عَنْهُنَّ الغُبَارَ، وَهَذَا لِعِزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا عِنْدَهُمْ.

(١١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٠).

(١٢) المِحْجَن -بِكَسْرِ المِيمِ- عَصَا مَحْنِيَّةُ الطَّرَفِ.

(١٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١/ ٤٣٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١٦٤٢).

(١٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣/ ٨٣)، وَصَحَّحَهُ وَالأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٧٣٧٢).

وَأَعْلَى مَكَانَةَ قُرَيْشٍ، فَأَعْلَنَ أَنَّهُ لاَ يُقْتَلَ قُرَشِـيٌّ صَبْرًا[١] بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[٢].

١٢- تَطْهِيرُ البَيْتِ مِنَ الأَوْثَانِ:

وَخُـبِّـرَتْ الأَوْثَـانُ أنَّ زَمَانَـهـا تَـوَلَّـى وَراحَ الـجَهْلُ وَالجُهَـلَاءُ[٣]

أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَحْطِيمِ الأَصْنَامِ،وَتَطْهِيرِ البَيْتِ الحَرَامِ مِنْهَا، وَشَارَكَ ذَلِكَ بِيَدِهِ، فَكَانَ يَهْوِي بِقَوْسِهِ إِلَيْهَا، فَتَسَاقَطُ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٨١][٤].

وَكَانَ حَوْلَ البَيْتِ سُتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ[٥].[٦].

وَلَطَّخَ بِالزَّعْفَرَانِ صُوَرَ إِبْرَاهِيْمَ، وَإِسْمَاعِيْلَ، وَإِسْحَاقَ، وَهُمْ يَسْتَقْسِمُونَ بِالأَزْلَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الصُّورُ دَاخِلَ الكَعْبَةَ، وَقَالَ: «**قَاتَلَهُمْ اللهُ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ**»[٧].

وَفِـي رِوَايَـةٍ: «أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ لَـمْ يَدْخُـلِ الكَعْبَـةَ إِلَّا بَعْـدَ أَنْ مُحِيَـتْ هَـذِهِ الصُّورُ مِنْهَا»[٨].

(١) قُتِلَ صَبْرًا أَيْ: مَحْبُوسًا مَأْسُورًا لَا فِي مَعْرَكَةٍ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨٢).

(٣) «دِيْوَانُ عَلِيٍّ الجَارِمِ» (٢).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨١).

(٥) النُّصُبِ -بِضَمَّتَيْنِ-: وَاحِدُالأَنْصَابُ، وَهُوَ مَا نُصِبَ، فَعُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٧)، ومُسْلِمٌ (١٧٨١).

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٨).

(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٨).

ثُمَّ دَخَلَ، فَصَلَّى فِيْهَا رَكْعَتَيْنِ، وَذَلِكَ بَيْنَ العَمُودَيْنِ المُقَدَّمِيْنَ مِنْهَا، وَكَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ مُتَوَازِنَةٍ، وَقَدْ جَعَلَ بَابَ الكَعْبَةِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَتَرَكَ عَمُودَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، وَعَمُودًا عَنْ يَمِيْنِهِ، وَثَلاَثَةً وَرَاءَهُ[١].

ثُمَّ خَرَجَ، فَدَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَعْطَاهُمْ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ، وَكَانَتْ الحجَايَةُ فِي بَنِي شَيْبَةَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَأَبْقَاهَا بِأَيْدِيَهِمْ[٢].

١٣- طواف النَّبيِّ ﷺ بالبيت:

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ اسْتَلَمَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَطَافَ مُهَلِّلاً مُكَبِّرًا، ذَاكِرًا شَاكِرًا، وَكَانَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ المِغْفَرُ، ثُمَّ لَبِسَ عِمَامَةً سَوْدَاءَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، لِمَنْ لَمْ يُرِدْ حَجًّا وَلاَ عُمْرَةً[٣].

غَنَّتْ بَوَاكِيرُ الصَّبَاحِ فحرَّكتْ ... شَجوُ الطُّيورِ وَلَهْفَةِ الأَزْهَارِ
غَنَّتْ فَمَكَّةُ وَجْهُهَا مُتَألِّقٌ ... أملًا وَوَجْه طُغَاتِهَا مُتوارِي
هلَّ الهلال فَلا العيُونُ تردَّدَتْ ... فيما رأتْهُ ولا العقولُ تُمارِ
أوْ مَا تَرَى الْبَطْحَاءَ تفتحُ قَلْبَهَا ... فرحًا بِمقْدَمِ سَيِّدُ الأبرارِ
عَطَشَى يلمَّضُها الحنينَ وَلَمْ تَزَلْ ... تَهْفُو إلى غيثِ الهدى المدرارِي

١٤-هَدْمُ أُوْثَانِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا:

بَيْتٌ بِهِ عُبِدَ الإلَهُ وبُطِّلَتْ ... بَعْدَ الغُلُوِّ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ[٤]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٩)، ومُسْلِمٌ (١٣٩٩).

(٢) (صَحِيْحٌ) مُصَنَّفُ عَبْد الرَّزَّاق»(٥/ ٨٣-٨٤-٨٥).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٨٩)، ومُسْلِمٌ (١٣٢٩).

(٤) «دِيْوَانُ ابْنِ رَشِيْقٍ» (١٣٥).

مَا إِنْ تَمَّ فَتْحُ مَكَّةَ، وَطُهِّرَتِ الكَعْبَةُ، حَتَّى أَرْسَلَ رَسُولُ ﷺ خَالِدَ بْنُ الوَلِيْدِ إِلَى نَخْلَةَ[1]، لِهَدْمِ العُزَّى، الَّتِي كَانَتْ مُضَرُ جَمِيْعًا تُعَظِّمَهَا، فَهَدَمَهَا[2].

وَأَرْسَلَ عَمْرُو بْنَ العَاص إِلَى سَوَاعٍ صَنَمٍ لِهُذَيْلٍ، فَهَدَمَهُ[3].

وَأَرْسَلَ سَعْدَ بْنَ زَيْدِ الأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ بِالمُشَلَّلِ (نَاحِيَةَ قُدَيْدٍ عَلَى طَرِيْقِ مَكَّةَ المَدِيْنَةِ) فَهَدَمَهَا[4].

وَبِذَلِكَ أُزِيْلَتْ أَكْبَرُ مَرَاكِزِ الوَثَنِيَّةِ، حَيْثُ ذَكَرَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيْم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النَّجْمُ: ١٨-١٩].

وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ نَزَلَتْ سُورَةُ النَّصْرِ[5]: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾.

وَدَخَلْتَ مَكَّةَ -يَا حَبِيْبُ- مُظَفَّرًا ... بِفَيَالِقِ التَّوْحِيْدِ وَالإِيْمَانِ
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ لَوْ أَمَرْتَ تَوَاثَبُوا ... لِلمَوْتِ كَالأَشْطَانِ دُونَ تَوَانِ
بِيْضُ الصَّوَارِمِ وَالثِّيَابِ قُلُوبُهُمْ ... وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَفَرَائِصُ الأَوْبَاشِ تَرْعَدُ بَعْدَمَا ... فَعَلُوا مِنَ الإِجْرَامِ وَالبُهْتَانِ
ظَنُّوكَ مُنْتَقِمًا كَعَادَةِ ظَنِّهِمْ ... مُذْ جِئْتَ بِالتَّوْحِيْدِ لِلدَّيَّانِ

(١) نَخْلَة: موضع قريب مِنْ مَكَّةَ.

(٢) «سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ»(٢/ ٤٣٦)، و«طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»(٢/ ١٤٥).

(٣) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»(٢/ ١٤٦).

(٤) «طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ»(٢/ ١٤٦).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٩٤).

فَــدَخَلْتَ مُنْكَسِرًا لِرَبِّـكَ خَاضِعًـا مُتَـوَاضِعًـا صَـفْوًا مِـنَ الأَضْغَـانِ[١]

١٥- دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ مِنْ دُونِ إِحْرَامٍ:

وَفَــتْحِ مَكَّــةَ ضَـاءَتِ الدُّنْيَا بِـهِ مُــذْ جَـاءَهَـا بِعَمَـامَةٍ سَـوْدَاءِ[٢]

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا لِرَبِّهِ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ.

عَـنْ جَابِـرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُـولَ ﷺ: «دَخَـلَ يَـوْمَ فَتْـحِ مَكَّـةَ وَعَلَيْـهِ عِمَامَـةٌ سَوْدَاءُ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ»[٣].

وَبِفَــتْحِ مَــكَّةَ وَالرِّجَـالُ ذَوَاهِـلٌ حَـيِـيٌّ بِخُلُـقٍ -لَوْ فَقِهْـتَ- جَدِيْـدِ
قَــدْ أَذْهَــبَ الـلهُ الشَّقَـاءَ وَأَهْلَـهُ وَأَتَـى بِحِـزْبٍ لاَ يُـرَامُ سَعِيْـدِ
مِــنْ كُـلِّ فَحْـلٍ فِـي العَرَمْـرَمِ صَائِـلٍ سَـامِي الجَـنَابِ مُـهَذَّبٍ صِنْدِيْـدِ[٤]

وَقَالَ آخَرُ:

هُـوَ الفَتْـحُ مَنْظُومًـا عَلَـى أَثْـرِهِ الفَتْـحُ وَمَـا فِيْهِمَـا عَهْـدٌ، وَلاَ فِيْهِمَـا صُلْـحُ
سِـوَى أَنَّ صَفْحًـا كَانَ مِـنْ بَعْـدِ قُـدْرَةٍ وَأَحْسَـنُ مَقْـرُونٍ إِلَـى قُـدْرَةٍ صَفْـحُ[٥]

وَقَالَ آخَرُ:

وَحِيْـنَ خاسَـتْ قُرَيْـشٌ بِالعُهُـودِ وَلَـم تُنْصِـفْ وَسَـارَتْ مِـنَ الأَهْـوَاءِ في نَقَمِ

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤١٢).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٥٨).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٤٤٢). والجَيْشُ العَرَمْرَمُ أَيِ: الكَثِيْرُ، وَالصِّنْدِيْدُ -بِالكَسْرِ-: السَّيِّدُ الشُّجَاعُ.

(٥) المَرْجِعُ السَّابِقُ (١٥/ ٣٠٩). وَالصَّفْحُ: إِزَالَةُ أَثَرِ الذَّنْبِ مِنَ النَّفْسِ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ العَفْوِ؛ فَقَدْ لَا يَأْخُذُ الإِنْسَانُ بِالذَّنْبِ، لَكِنَّهُ يَذْكُرُ لِلمُذْنِبِ إِسَاءَتَهُ وَعُدْوَانَهُ.

وَظَـاهَرَتْ مِـنْ بَنـي بَكْـرٍ حَلِيْفَتَهـا عَلَـى خُزَاعَـةَ أَهْـلِ الصِّـدْقِ فِـي الذِّمَمِ
قَـامَ النَّـبِيُّ لِنَصْـرِ الحَـقِّ مُعْتَزِمـًا بِجَحْفَـلٍ لِـجُمُوعِ الشِّـرْكِ مُـخْتَرِمِ
فَلَـمْ يَـزَلْ سَـائِراً حَتَّـى أَنَـافَ عَلَـى أَرْبَـاضِ مَكَّـةَ بِالفُرْسانِ وَالْبُهَـمِ
فَأَقْبَلـوا يَسْـأَلُونَ الصَّفْـحَ حِيْـنَ رَأَوْا أَنَّ اللَّجَـاجَـةَ مَدْعَـاةٌ إِلَـى الـنَّدَمِ
وَأَقْـبَلَ النَّـصْرُ يَتْلُـو وَهُـوَ مُبْتَسِـمٌ المَجْـدُ لِلسَّـيفِ لَيْـسَ المَجْـدُ لِلقَلَمِ[١]

١٦- دخولُ الناسِ في دينِ اللّهِ أفواجًا:

ألسـتُمْ خيـرَ مَـنْ رَكِـبَ المطايـا وأَنْـدَى العالَميـن بُطـونَ راحِ[٢]

لما انتصرَ رسـولُ اللهِ ﷺ على قريشٍ دخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجًا؛ لِأَنَّ قريشًـا كانـوا أَئِمَّـةَ النـاسِ وسـادَتَهم وأهـلَ البيـتِ الحـرامِ وكانتْ العربُ قاطبةً تُعَظِّمُ قريشًا كما تُعظِّمُ البيتَ الحرامَ.

عَنْ عَمْرِو بن سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بنا الرُّكْبَانُ، فَنسْـأَلُهُمْ مَا لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ الله أَرْسَـلَهُ أَوْحَـى إِلَيْـهِ، أَو أَوْحَـى الله بِكَـذَا، فَكُنْـتُ أَحْفَـظُ ذَلِـكَ الْـكَلَامَ، وَكَأَنَّما يُقَرُّ فِي صَدْرِي، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَومُ بِإِسْلَامِهِمْ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَـرَ عَلَيْهِـمْ فَهُـوَ نَبِـيٌّ صَـادِقٌ. فَلَمَّـا كَانَـتْ وَقْعَـةُ أَهْلِ الْفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْـلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْـلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِـيِّ حَقًّـا، فَقَـالَ: صَلُّـوا صَـلَاةَ كَـذَا فِي حِيـنِ كَـذَا وَصَلُّـوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلَيَؤُمَكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا، فَنَظَرُوا فَلَمْ

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١٧-١٨/ ٦٠٦). وَالأَرْبَاضُ: جَمْعُ رَبَضٍ -بِفَتْحَتَيْنِ-، وَهُوَ مَا حَوْلَ مَدِينَةٍ أَوْ قَصْرٍ مِنْ مَسَاكِنِ جُنْدٍ أَوْ غَيْرِهِمْ. والبُهَم: جَمْعُ بُهْمَةٍ، وَهِيَ الكَتِيْبَةُ.
(٢) ديوانُ جريرٍ (٩٣).

يَكُـنْ أَحَـدٌ أَكْثَـرَ قُرْآنًـا مِنِـي لِمَـا كُنْـتُ أَتَلَقَّـى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنا ابْنُ سِـتٍّ أَوْ سَـبْعِ سِـنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذَا سَـجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ؟ فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشيءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ[1].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٣٠٢).

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

١- هَوَازِنُ تَحْمِلُ رَايَةَ الشِّرْكِ:

لِـلـهِ يَـوْمُ حُنَيْـنٍ حِـيْنَ كَانَ بِـهِ   كَـسَاعَةِ البَعْـثِ تَهْوِيْـلٌ وَتَطْوِيْـلُ[١]

بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ سَقَطَتْ زَعَامَةُ قُرَيْشٍ، فَحَمَلَتْ هَوَازِنُ رَايَةَ الشِّرْكِ، وَهِيَ قَبِيْلَةٌ عَرَبِيَّةٌ شَهِيْرَةٌ، مُضَرِيَّةٌ عَدْنَانِيَّةٌ، تَفَرَّعَتْ مِنْهَا فُرُوعٌ جَمَّةٌ غَزِيْرَةٌ، مِنْهَا ثَقِيْفٌ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي الطَّائِفِ الحَصِيْنَةِ، فِي حِيْنٍ انْتَشَرَتْ بُطُونُ هَوَازِنُ الأُخْرَى عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ الأَحْمَرِ مِنْ حُدُودِ الشَّامِ إِلَى حُدُودِ اليَمَنِ.

تَجَمَّعَتْ هَذِهِ القَبِيْلَةُ فِي «حُنَيْنٍ»، وَالَّتِي تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ سِوَى عِشْرِيْنَ كَيْلاً شَرْقِيَّ مَكَّةَ، وَتُعْرَفُ الآنَ بِالشَّرَائِعِ[٢].

٢- عَدَدُ جَيْشُ هَوَازِنُ:

فَـإِنْ تَـكُ فِـي عُلْيَـا هَـوَازِنَ شَـوْكَةٌ   تُـخَافُ فَفِيْكُـم حَـدُّ نَـابٍ ومِخْلَـبِ

كَانَ عَدَدُ جَيْشُ هَوَازِنُ - كَمَا ذَكَرَ الوَاقِدِيُّ - عِشْرِيْنَ أَلْفًا[٣]، وَرَجَّحَ ذَلِكَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ[٤]، وَذَلِكَ بِقِيَادَةِ مَالِك بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ، وَكَانَ فِي الثَّلَاثِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ، وَقَدْ عُرِفَ بِالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ البَلَاءِ فِي القِتَالِ، وَأَسْلَمَ فِيْمَا بَعْدُ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ[٥].

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٦٢).
(٢) انْظُرْ: «السِّيْرَة النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة» لِلعُمْرِيِّ (٢/ ٤٨٩).
(٣) «مَغَازِي الوَاقِدِيِّ» (٣/ ٨٩٣).
(٤) «فَتْحُ البَارِيّ» (٨/ ٢٩).
(٥) «الفُصُولُ» لابْن كَثِيرٍ (٢٤١).

٣- اسْتِعْدَادُ النَّبِيِّ ﷺ لِغَزْوَةِ حُنَيْنٍ:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا(١)

عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «سَارَ إِلَى حُنَيْنٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ، جَمَعَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ النَّصْرِيُّ بَنِي نَصْرٍ، وبَنِي جُشَمَ، وبَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَأَوْزَاعًا(٢)، مِنْ بَنِي هِلَالٍ -وَهُمْ قَلِيلٌ- وَنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَعَوْفِ بْنِ عَامِرٍ، وَأَوْعَبَتْ(٣) مَعَهُ ثَقِيفُ الأَحْلافِ(٤)، وَبَنُو مَالِكٍ.

ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَاقَ مَعَهُ الأَمْوَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَبْنَاءَ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيَّ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، حَتَّى تَعْلَمَ لَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ.

فَدَخَلَ فِيهِمْ، فَمَكَثَ فِيهِمْ يَوْمًا أَوِ اثْنَيْنِ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ خبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «**أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ**»؟

فَقَالَ عُمَرُ: كَذِبَ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ: وَاللهِ لَئِنْ كَذَّبْتَنِي يَا عُمَرُ لَرُبَّمَا كَذَّبْتَ بِالْحَقِّ.

فَقَالَ عُمَرُ: أَلا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ؟، فَقَالَ: قَدْ كُنْتَ يَا عُمَرُ ضَالا فَهَدَاكَ اللهُ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ

---

(١) «الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ» (٦٠).

(٢) أَوْزَاعًا أَيْ: جَماعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً.

(٣) أَوْعَبَ بَنِي فُلَانٍ: إِذَا خَرَجُوا كُلُّهُمْ إِلَى الغَزْوِ.

(٤) لأَنَّ ثَقِيفًا فِرْقَتَان: بَنُو مَالِكِ بْنِ حُطَيْطِ بْنِ جُشَمَ بْنِ قَيْسُ بْنُ مُنَبِّهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَبَنُو عَوْفِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَهُمُ الأَحْلَافُ، وَسُمُّو بِذَلِكَ لِتَحَالُفِهِمْ عَلَى بَنِي مَالِكٍ.

أُمَيَّةَ، فَسَأَلَهُ أَدْرَاعًا عِنْدَهُ، مِائَةَ دِرْعٍ، وَمَا يُصْلِحُهَا مِنْ عُدَّتِهَا.

فَقَالَ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «**بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إِلَيْكَ**».

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَائِرًا»[١].

٤- عَدَدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِيْنَ:

كَأَنَّهُ وَحْدَه جَيْشٌ لَهُ لَجَبٌ ... صَوَاهِلُ الأَرْضِ شَتَّى مِنْ صَوَاهِلِهِ[٢]

سَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلَافٍ، الَّذِيْنَ كَانُوا مَعَهُ فِي الفَتْحِ، وَأَلْفَيْنِ مِنْ طُلَقَاءِ مَكَّةَ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ حُنَيْنًا، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خَمْسٍ خَلَتْ مِنْ شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ.

٥- ذَاتُ أَنْوَاطٍ:

فَهَذَا عَظِيْمُ الشِّرْكِ قَدْ جَاءَ خَاضِعًا ... وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ إِلَيْكَ مُحَكِّمَا[٣]

مَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى شَجَرَةٍ يُعَظِّمُهَا المُشْرِكُونَ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ[٤]، فَقَالَ بَعْضُ جُهَّالِ الأَعْرَابِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْتُمْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٣٨]، **لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[٥].

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ (٣/ ٤٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «إِرْوَاءِ الغَلِيْل» (١٥١٥).

(٢) «دِيْوَانُ ابْنُ الرُّومِيِّ» (٣٥٦٩).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٢/ ١٦).

(٤) سُمِّيَتْ بِذَلكَ؛ لأَنَّ المُشْرِكُونَ كَانُوا يَنُوطُونَ بِهَا سِلاحَهُمْ - أَيْ: يُعَلِّقُونَهُ بِهَا - وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا يَوْمًا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ كُلَّ سَنَةٍ.

(٥) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٩٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَوَارِدِ الظَّمْآن» (١٥٤٠).

٦- المَعْرَكَةُ:

فَانْهَضْ بِجِدِّكَ قَاطِنًا أَوْ ظَاعِنًا وَاقْطَعْ بِحَدِّكَ مُغْمَدًا أَوْ مُنْتَضَى(١)

نَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَافَى حُنَيْنًا - وَهُوَ وَادٍ حَدُورٌ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ- وَقَدْ كَمَنَتْ لَهُمْ هَوَازِنُ فِيهِ، وَذَلِكَ فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ -أَيْ: ظَلامِهِ -، وَحَمَلُوا عَلَى المُسْلِمِيْنَ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ لاَ يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ(٢).

فَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى -: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٥-٢٦].

أَنْعِمْ بِهِ جَارًا، وِطِبْ نَفْسًا، فَمَا سَقَطَ اللِّوَاءُ، وَلاَ خَلاَ المَيْدَانُ
واللهُ نِعْمَ المُسْتَعَانُ إِذَا الهَوَى غَلَبَ النُّفُوسَ، وَقَلَّتِ الأَعْوَانُ
لِلحَقِّ صَوْلَتُهُ وَشِدَّةُ بَأْسِهِ وَلِمَنْ يُحَارِبُ جُنْدَهُ الخِذْلاَنُ(٣)

٧- ثَبَاتُ النَّبِيِّ ﷺ:

يَسِيْرُونَ لِلهَيْجَاءِ مِلْءَ صُدُورِهِمْ ثَبَاتٌ وَعَزْمٌ لاَ يُبَالُونَ بِالقَتْلِ(٤)

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤٦/ ٤٨) قَاطِنًا أَوْ ظَاعِنًا أَيْ: مُقِيْمًا أَوْ مُرْتَحِلًا. مُغْمَدًا أَوْ مُنْتَضَى أَيْ: دَاخِلَ غِمْدِهِ أَوْ خَارِجَهُ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٧٦-٣٧٧)، وَالتِّرمِذِيُّ (٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَةِ «فِقْهُ السِّيْرَةِ» (٤٤٢).

(٣) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٠٩).

(٤) «دِيْوَانُ ابْنِ سَحْنُونَ» (١٢٠)، وَالهَيْجَاءُ: الحَرْبُ.

ثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يفِرَّ، قَالَ البَرَاءُ رضي الله عنه وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مَنْ قَيْسٍ: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟.

فَقَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَتْ هَوَازِنُ رُمَاةً، قَالَ: وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا، فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ فَاسْتُقْبِلْنَا بِالسِّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْن الحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا: وَهُوَ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ**»(١).

كَأَنَّ ثُبُوتَ الرَّاسِيَاتِ ثُبُوتُهُ ... إِذَا خَفَّ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلُّ مُحْجِمِ
كَأَنَّ أَدِيمَ الأَرْضِ رَاحَةُ كَفِّهِ ... وَفِي بَسْطِهَا قَبْضٌ عَلَى كُلِّ مُجْرِمِ(٢)

وَقَالَ آخَرُ:

أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا الْأَبْطَالِ ذَاهِلَةٌ ... وَالْهُنْدُوَانِيُّ فِي الْأَعْنَاقِ وَاللِّمَمِ
فَكُنْتَ أَثْبَتَهُمْ قَلْبًا وَأَوْضَحَهُمْ ... دَرْبًا، وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ رِيبَةِ التُّهَمِ(٣)

٨- شِدَّةٌ يَعْقُبُهَا فَرَجٌ:

كَمْ بَابَ نَصْرٍ، وَكَمْ بَابًا إِلَى فَرَجٍ ... فَتَحْتَ يَا فَائِزَ المَسْعَى وَظَافِرَهُ(٤)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ رضي الله عنه: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣١٧)، ومُسْلِمٌ (١٧٧٦).

(٢) «خَرِيْدَةُ القَصْرِ» (١٢٧)، والمُحْجِم: المُتَأَخِّر عَنِ الأَمْرِ. وَأَدِيْمُ الأَرْضِ: ظَاهِرُهَا.

(٣) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٥/ ٥٦٠). وَالْهُنْدُوَانِيُّ -بِالكَسْرِ وَتُضَمُّ إِتِّبَاعًا لِلدَّالِ- السَّيْفُ المَطْبُوعُ مِنْ حَدِيْدِ الهِنْدِ. وَاللِّمَمِ -بِالكَسْرِ- جمعُ لِمَّةٍ، وَهِيَ الشَّعْرُ المُسْتَرْسِلُ إِلَى المَنْكِبِ.

(٤) «دِيْوَانُ ابْنِ نُبَاتَةَ» (٨٤٤).

نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ(١) قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**»(٢).

فَقَالَ عَبَّاسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: -وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا-(٣)، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**»(٤).

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا(٥)، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا(٦).

---

(١) يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ أَيْ: يَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى كَبِدِهَا لِتُسْرِعَ.

(٢) أَصْحَابَ السَّمُرَةِ: هِيَ الشَّجَرَة الَّتِي بَايَعُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَالمَعْنَى: نَادِ أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ.

(٣) صَيِّتًا أَيْ: قَوِيَّ الصَّوْتِ.

(٤) الْوَطِيسُ: التَّنُّورُ يُسْجَرُ فِيهِ، وَيُضْرَبُ مَثَلًا لِشِدَّةِ الحَرْبِ الَّتِي يُشْبِهُ حَرَّهَا حَرَّهُ.

(٥) حَدَّهُمْ كَلِيلاً أَيْ: قُوَّتَهُمْ ضَعِيفَةً.

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٥).

٩- سَبَبُ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلَ الأَمْرِ:

فَلاَ يَأْسٌ إِذَا مَا الحَرْبُ طَالَتْ مِنَ النَّصْرِ المُرَجَّى فِي الخِتَامِ[١]

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَيْ حَدِيْثِ العَبَّاسِ- دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فِرَارَهُمْ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ الْفِرَارُ مِنْ جَمِيعِهِمْ، وَإِنَّمَا فَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُؤَلَّفَةِ، وَمُشْرِكِيهَا الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَسْلَمُوا، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ فَجْأَةً لِانْصِبَابِهِمْ عَلَيْهِمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَرَشْقِهِمْ بِالسِّهَامِ، وَلِاخْتِلَاطِ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، وَمِمَّنْ يَتَرَبَّصُ بِالْمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرَ، وَفِيهِمْ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ خَرَجُوا لِلْغَنِيمَةِ فَتَقَدَّمَ إِخْفَاؤُهُمْ فَلَمَّا رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَّوْا فَانْقَلَبَتْ أُولَاهُمْ عَلَى أُخْرَاهُمْ إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى سَكِينَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ»[٢].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا -أَيْ: سِكِّيْنًا ذَاتَ حَدَّيْنِ -، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا هَذَا الْخِنْجَرُ**»؟، قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا - أَيْ: مَنْ سِوَانا- مِنَ الطُّلَقَاءِ[٣] انْهَزَمُوا بِكَ[٤]؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ**

---

(١) «دِيوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٣٠).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيُّ عَلَى مُسْلِم» (١٢/ ١١٥).

(٣) الطُّلَقَاءُ: هُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَكَانَ فِي إِسْلَامِهِمْ ضَعْفٌ؛ لِأَنَّ الإِيْمَانَ لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدُ.

(٤) انْهَزَمُوا بِكَ أَيْ: انْهَزَمُوا عَنْكَ، فَالبَاءُ بِمَعْنَى عَنْ، وَرُبَّمَا تَكُونُ لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ: انْهَزَمُوا بِسَبَبِكَ لِنِفَاقِهِمْ.

كَفَى وَأَحْسَنَ»[١].

هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ، وَلِأَبِي دَاوُدَ نَحْوُهُ، وَفِيهِ: «أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا فَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ»[٢].

١٠- النَّصْرُ العَظِيمُ:

سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ يَسْمُو إِلَى الوَغَى ... يَهُزُّ لِوَاءَ النَّصْرِ، وَالنَّصْرُ بَاسِمُ[٣]

عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ، تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ، فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا.

وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ[٤]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَى ابْنُ الأَكْوَعِ فَزَعًا فَلَمَّا غَشُوا**»[٥] رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»[٦]، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ -عَزَّ وَ جَلَّ- وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»[٧].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٠٩).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٧١٨).

(٣) «دِيوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٢١٢).

(٤) الشُّبْهَةُ فِي الأَلْوَانِ: البَيَاضُ الغَالِبُ عَلَى السَّوَادِ.

(٥) فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيْ: أَتَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(٦) شَاهَتِ الْوُجُوهُ: أَيْ قَبُحَتْ.

(٧) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٧).

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ النَّصْرُ ... وَأَنْ يَهْدِمَ الإِيمَانُ مَا شَادَهُ الكُفْرُ
وَأَنْ يُرْجِعَ الأَعْلاجَ بَعْدَ عِلاجِهَا ... خَزَايَا عَلَى آثَارِهَا الذُّلُّ والقَهْرُ[1]

١١- نزول الملائكة:

وببابه وقفت صدور أولي النهى ... ومشت ملائكة العلى بركابه

أَيَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رسولهُ ﷺ والمؤمنين بِأَنْ أَنْزَلَ الملائكةَ قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ وَأَنَّ قِتَالَهُمْ لَمْ يَخْتَصَّ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَهَذَا هو الصوابُ»[2].

١٢- تَعَقُّبُ الفَارِّيْنَ نَحوَ نَخْلَةِ أَوْطَاسٍ:

إِذَا مَا رَكِبْتَ الحَزْمَ مُستبطِنًا لَهُ ... سَبَقْتَ بِهِ مَنْ لاَ تَظُنُّ لَهُ سَبْقًا[3]

انْحَازَتْ طَوَائِفُ مِنْ هَوَازِنَ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ أَبَا عَامِرٍ الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ، مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا

---

(١) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧/ ٣٠٨). والأَعْلَاج: جَمْعُ عِلْجٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّخْمُ مِنْ كِبَارِ العَجَمِ، وَبَعْضُ العَرَبِ يُطْلِقُهُ عَلَى الكَافِرِ مُطْلَقًا.

(٢) شَرْحُ النوويِّ على مسلمٍ (١٥/ ٦٦).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤١/ ١٥٢).

عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ ابْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي، تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي.

قَالَ أَبُو مُوسَى: فَقَصَدْتُ لَهُ فَاعْتَمَدْتُهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى عَنِّي ذَاهِبًا، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟، أَلَسْتَ عَرَبِيًّا؟، أَلَا تَثْبُتُ؟ فَكَفَّ، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ، فَاخْتَلَفْنَا أَنَا وَهُوَ ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: إِنَّ اللهَ قَدْ قَتَلَ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ. (أَيْ: ظَهَرَ وَجَرَى).

فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ يَسِيرًا، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ[1]، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرْ لِي.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ» حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) مُرْمَلٍ: هُوَ الَّذِي يُنْسَجُ فِي وَجْهِهِ بِالسَّعْفِ وَغَيْرِهِ، وَيُشَدُّ بِشرِيطٍ وَنَحْوِهِ.

فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ- أَوْ مِنَ النَّاسِ-»، فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا»(١).

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ(٢)

وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا ... فُصُولَ(٣) حَتْفٍ(٤) لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ(٥)

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ(٦) ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي(٧)

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا(٨) ... مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ(٩)

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا(١٠) ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهُمِ(١١)(١٢)

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٣)، ومُسْلِمٌ (٢٤٩٨).

(٢) المُصْطَدَم: مَكَانَ الاصْطِدَامِ، أَيْ: مُلْتَقَى الجَيْشِ.

(٣) الفُصُول: المَوَاسِمُ.

(٤) الحَتْفُ: المَوْتُ.

(٥) الوَخَمُ: الوَبَاءُ.

(٦) نَشْرَهُمُ أَيْ: رَائِحَتِهِمْ.

(٧) الكمِيُّ -بِزِنَةِ الغَنِيِّ-: لَابِسُ السِّلَاحِ والشُّجَاعُ.

(٨) الرُّبَا: جَمْعُ رَبْوَةٍ، وَهِيَ الأَرْضُ المُرْتَفِعَةُ.

(٩) الْحَزْم -بِالفَتْحِ- ضَبْطُ الأَمْرِ، وَالأَخْذُ مِنْهُ الثِّقَةِ. والحُزُم -بِضَمَّتَيْنِ- جَمْعُ حِزَامٍ، وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ الوَسَطُ.

(١٠) الفَرَق -بِفَتْحَتَيْنِ- الخَوْفُ.

(١١) البَهْمُ-بِالفَتْحِ-جَمْعُ بَهْمَةٍ،وَهِيَ أَوْلَادُ الغَنَمِ وَالبَقَرِ. البُهَمُ-بِزِنَةِ الغُرَفِ- جَمْعُ بُهْمَةٍ -بِالضَّمِّ-، وَهُوَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَسْتَبْهِمُ مَأْتَاهُ عَلَى أَقْرَانِهِ (أَيْ: تَخْفَى عَلَيْهِمْ مُقَاتِلُهُ).

(١٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٧٥).

١٣- عَدَدُ مَنْ قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ:

وَهُنِّئْتُمُ مَا نِلْتُمْ مِنْ كَرَامَةٍ   إِلَى كَرَمٍ فُزْتُمْ بِهِ وَمَكَارِمِ[١]

كَانَ أَبُو عَامِرٍ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ اسْتُشْهِدُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَالثَّانِي أَيْمَنُ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَالثَّالِثُ يَزِيْدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الأَسْوَدِ، وَالرَّابِعُ سُرَاقَةُ بْنُ الحَارِثِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَّا المُشْرِكُونَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيْرٌ[٢].

قَالَ حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ   قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حَيْنَ أَتَّصِلُ

مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عُهُودُهُمُ   وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ إِذْ قُتِلُوا[٣]

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ» (٤١٦٠).

(٢) «الفُصُولُ» (٢٣٧).

(٣) «الحَمَاسَةُ المَغْرِبِيَّةِ» (١/ ٥٧٣).

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

عَاجُوا إِلَى الطَّائِفِ الحِصْنِ الحَصِيْنِ، وَقَدْ ظَنُّوا بِهَا رادعًا عَنْ كُلِّ مُصْطَدَمِ(١)

بَعْدَ أَنْ شَتَّتَ المُسْلِمُونَ هَوَازِنَ، وَتَعَقَّبُوهَا فِي نَخْلَةَ وَأَوْطَاسَ، اتَّجَهُوا إِلَى مَدِيْنَةِ الطَّائِفِ، الَّتِي تَحَصَّنَتْ فِيْهَا ثَقِيْفٌ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ قَائِدُ هَوَازِنَ.

١- حَالُ الطَّائِفِ:

تَبْعُدُ الطَّائِفُ عَنْ مَكَّةَ حَوَالِيْ تِسْعِيْنَ كَيْلاً، وَتَمْتَازُ بِمَوْقِعِهَا الجَبَلِيِّ، وَبِأَسْوَارِهَا القَوِيَّةِ، وَحُصُونِهَا الدِّفَاعِيَّةِ، وَلَيْسَ إِلَيْهَا مَنْفَذٌ سِوَى الأَبْوَابِ الَّتِي أَغْلَقَتْهَا ثَقِيْفٌ، بَعْدَ أَنْ أَدْخَلَتْ مِنَ الأَقْوَاتِ مَا يَكْفِي لِسَنَةٍ كَامِلَةٍ، وَهَيَّأَتْ مِنْ وَسَائِلِ الحَرْبِ مَا يَكْفُلُ لَهَا الصُّمُودَ طَوِيْلاً(٢).

٢- حِصَارُ الطَّائِفِ:

حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ، أَهْلَ الطَّائِفِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَذِنَ بِالرَّحِيْلِ(٣).

٣- الإِيْذَانُ بِالرَّحِيْلِ:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَنَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَحْهُ؟

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الكَرِيْمِ العِمَادُ -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) انْظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَة» لِلعُمْرِيِّ (٢/ ٥٠٧).

(٣) «جَوَامِعُ السِّيْرَةِ» لابْنِ حَزْمٍ (٢٤٨).

فَقَالَ لَهُمْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ غَدًا**»، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَـالَ لَهُـمْ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ: «**إِنَّـا قَافِلُـونَ غَـدًا إِنْ شَـاءَ اللـهُ**»، قَـالَ: فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ:

«مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَصَدَ الشَّفَقَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَالرِّفْقَ بِهِمْ بِالرَّحِيلِ عَنِ الطَّائِفِ لِصُعُوبَةِ أَمْرِهِ، وَشِدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ فِيهِ، وَتَقْوِيَتِهِمْ بِحِصْنِهِمْ ومَعَ أَنَّـهُ ﷺ عَلِـمَ أَوْ رَجَـا أَنَّـهُ سَـيَفْتَحُهُ بَعْـدَ هَـذَا بِـلَا مَشَـقَّةٍ كَمَـا جَـرَى، فَلَمَّا رَأَى حِـرْصَ أَصْحَابِـهِ عَلَـى الْمُقَـامِ وَالْجِهَـادِ أَقَـامَ، وَجَـدَّ فِـي الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الْجِرَاحُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ قَصَدَهُ أَوَّلًا مِنَ الرِّفْقِ بِهِمْ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ؛ لِمَا رَأَوْا مِـنَ الْمَشَـقَّةِ الظَّاهِـرَةِ، وَلَعَلَّهُـمْ نَظَـرُوا فَعَلِمُـوا أَنَّ رَأْيَ النَّبِـيِّ ﷺ أَبْـرَكُ وَأَنْفَـعُ وَأَحْمَـدُ عَاقِبَـةً، وَأَصْـوَبُ مِـنْ رَأْيِهِـمْ، فَوَافَقُـوا عَلَى الرَّحِيلِ، وَفَرِحُوا فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَةِ تَغَيُّرِ رَأْيِهِمْ. وَاللهُ أَعْلَمُ»[2].

إِذَا مَـا دَنَـوْا أَدْنَـاهُمُ، وَإِذَا هَفَـوْا — تَـجَاوَزَ عَنْهُـمْ نَاظِـرًا فِـي الْعَوَاقِـبِ
شَـفِيْقٌ عَلَى الأَقْصِيْنَ أَنْ يَرْكَبُوا الرَّدَى — فَكَيْـفَ بِـهِ فِي وَاشِـجَاتِ الأَقَارِبِ؟![3]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٥)، ومُسْلِمٌ (١٧٧٨).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيُّ عَلَى مُسْلِم» (١٢/ ١٢٤).

(٣) الأَبْيَاتِ لابْنِ المَولَى، كَمَا فِي «الأَغَانِي» (٣/ ٢٩٠)، يُقَالُ: رَحِمٌ وَاشِـجَةٌ أَيْ: مُشْـتَبِكَةٌ مُتَّصِلَةٌ مُتَدَاخِلَةٌ.

٤- حِكَايَةُ عَبِيْدِ الطَّائِفِ:

تَسْتَعْبِدُونَ بِهَا الأَحْرَارَ دَهْرَكُمُ ... فَكَمْ عَبِيدٍ لَكُمْ فِي النَّاسِ أَحْرَار

وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ نِدَاءً إِلَى عَبِيْدِ الطَّائِفِ:

أَنَّ مَنْ نَزَلَ مِنْهُمْ مِنَ الحِصْنِ، وَخَرَجَ إِلَى المُسْلِمِيْنَ فَهُوَ حُرٌّ، فَخَرَجَ ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ العَبِيْدِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ فَأَسْلَمُوا فَأَعْتَقَهُمْ.

فَعَنْ أَبِي العَالِيَةِ، أَوْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا وَأَبَا بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: عَاصِمٌ قُلْتُ: لَقَدْ شَهِدَ عِنْدَكَ رَجُلاَنِ حَسْبُكَ بِهِمَا، قَالَ: أَجَلْ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَنَزَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الطَّائِفِ»[1].

إِنَّمَا النَّاسُ جَمِيْعًا أُخْوَةٌ ... لَيْسَ فِيْهِمْ مِنْ عَبِيدٍ أَوْ خَدَمْ
هُمْ سَوَاءٌ، وَلِكُلٍّ حَقُّهُ ... ذَاكَ حُكْمُ اللهِ، لاَ حُكْمُ الصَّنَمْ[2]

٥- عُمرَةُ الجِعْرَانَةِ:

لاَ تَخَلْ مَعْشَرًا قَضَوْا فِي سَبِيْلِ اللَّـ ... ـهِ مَوْتَى، بَلْ هُمْ مِنَ الأَحْيَاءِ[3]

اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالطَّائِفِ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ إِلَى الْجِعْرَانَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فَقَضَى عُمْرَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ»[4].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٢٧).

(٢) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (١٠٥٠).

(٣) «دِيْوَانُ مُحَمَّد العِيْد آل خَلِيْفَةِ» (٣٩٧).

(٤) «زَادُ المِعَادِ» (٣/ ٤٩٨).

وَفِـي حُنَيْـنٍ إِذْ اِرتَـدَّتْ هَـوَازِنُ عَـنْ ... قَصْـدِ السَّـبِيْلِ وَلَـم تَرْجِـعْ إِلَـى الحَكَمِ

سَـرَى إِلَـيْها بِبَحْـرٍ مِـنْ مُلَمْلَمَـةٍ[١] ... طَامِي[٢] السَّـرَاة[٣] بِمَوْجِ البِيْضِ مُلتَطِمِ

حَتَّـى اسْـتَذَلَّتْ وَعَـادَتْ بَعْـدَ نَخْوَتِهَـا ... تُلْـقِي إِلَـى كُلِّ مَـنْ تَلْقَـاهُ بِالسَّـلَمِ

وَيَمَّـمَ[٤] الطَّائِـفَ الغَنَّـاءَ[٥] ثُـمَّ مَضَـى ... عَنْهَـا إِلَـى أَجَـلٍ فِـي الغَيْـبِ مُكْتَتَـمِ[٦]

---

(١) كَتِيْبَةٌ مُلَمْلَمَةٌ أَيْ: مُجْتَمِعَةٌ مَضْمُومٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.

(٢) بَحْرٌ طَامٍ أَيْ: مُرْتَفِعٌ.

(٣) سَرَاةُ كُلِّ شَيْءٍ -بِفَتْحِ السِّيْنِ- ظَهْرُهُ، والجَمْعُ سَرَوَاتٌ.

(٤) يَمَّمَ: قَصَدَ.

(٥) الغَنَّاء أَي: العَامِرَةُ الوَافِرَة العُشْبِ وَالأَهْلِ والبُنْيَانِ.

(٦) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ» (١٩/ ٦٠٦).

غَنَائِمُ حُنَيْنٍ

أَعْطَى المُؤَلَّفَة القُلُوبِ رِضَاهُمُ كَرَمًا، وَرَدَّ أَخَايِذَ الأَحْزَابِ(١)

بَشَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المُسْلِمِيْنَ بِغَنَائِمِ كَثِيْرَةٍ، وَمِنْهَا غَنَائِم حُنَيْنٍ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ** ﴾ [الفَتْحُ: ٢٠].

وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ المُسْلِمِيْنَ بِأَنَّ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ مِنْ نَصِيْبِهِمْ.

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً، فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «**تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٢).

وَقَدْ حَظِيَ بِكَثِيرٍ من تلك الغنائِمِ الطُّلَقَاءُ الأعرابُ.

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي مِنَ الغَنِيْمَةِ العَطَاءَ الجَزِيْلَ، لِأُنَاسٍ حُدَثَاءِ عَهْدٍ بِكُفْرٍ؛ يَتَأَلَّفُهُمْ.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ،

---

(١) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٢٨).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٥٠١)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢١٨٣).

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»[١].

وعن رافِعِ بنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال: أعطى رسولُ اللهِ ﷺ أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ يومَ حُنَينٍ، وصفوانَ بنَ أُمَيَّةَ، وَعُيَينَةَ بنَ حِصْنٍ، والأقرعَ بنَ حابسٍ، وعَلْقَمةَ بنَ عُلاثَةَ: كُلَّ إنسانٍ منهم مائةً منَ الإبلِ، وأعطى عباسَ بنَ مرْداسٍ دونَ ذلك، فقال عباسُ بنُ مرداسٍ:

أَتجْعَلُ نَهْبي ونَهْبَ الْعُبَيـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ؟[٢]
فَما كان بَدْرٌ ولا حَابسٌ يَفُوقانِ مِرْدَاسَ في مَجْمَعِ
وما كُنْتُ دُونَ امرئٍ منهما وَمَنْ تَخْفِضِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال: فأتمَّ له رسولُ اللهِ ﷺ مائةً[٣].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ؛ أَتَأَلَّفُهُمْ**»[٤].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٤).
(٢) العُبَيْدُ: اسمُ فَرَسٍ- النَّهْبُ: الغنيمةُ- وجَمْعُ النهبِ: نِهَابٌ وَنُهُوبٌ. النهايةُ ٥/ ١٣٣.
(٣) رواهُ مسلمٌ (١٠٦٠).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٦)، ومُسْلِمٌ (١٠٥٩).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا؛ لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا؛ لِمَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ**»(١). وَقَدْ أَثْمَرَ هَذَا الْعَطْفُ فِي نُفُوسِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ.

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ(٣)، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»(٤).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُكَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ**»(٥). لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ تَمَكُّنِ الْإِيمَانِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، دَاسُوا الدُّنْيَا بِأَقْدَامِهِمْ.

فَهَذَا حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**».

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨٨١).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٨).

(٣) أَيْ: كَثِيرَةً كَأَنَّهَا تَمْلَأُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٢).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٠٨)، ومُسْلِمٌ (١٥٠).

قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا[١] بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا.

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ»[٢].

ذكرتُكُمُ لَيْلاً فَنَوَّرَ ذِكْرُكُم دُجَى اللَّيْلِ، حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دَيَاجِرُهْ
فَوَاللهِ، مَا أَدْرِي أَضَوْءٌ مُسَجَّرٌ لِذِكْرَاكُمُ،أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ؟![٣]

وقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

يَا سَيِّدِي، أَدَّبْتَهُمْ فَتَأَدَّبُوا أَدَبَ الكِرَامِ، فَأَثْمَرَ التَّأْدِيبُ
فَرَأَيْتَهُمْ شُمَّ الأُنُوفِ أَكَارِمًا عَافُوا العَطَايَا، وَالزَّمَانُ خَصِيبُ
يَطْوُونَ طَاوِيَةَ الكُشُوحِ تَعَفُّفًا وَتَقَرُّبًا لِلهِ، وَهُوَ قَرِيبُ
عَرَفُوا حَقِيقَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَلَمْ تَخْدَعْهُمُ، وَشِرَاكُهَا مَنْصُوبُ

---

(١) لاَ أَرْزَأُ: لَا أَنْقُصُ مَالَ أَحَدٍ.
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٧٢)، ومُسْلِمٌ (١٠٣٥).
(٣) «دِيْوَانُ المَعَانِي» (٣٥٣).

قِصَّةُ ذي الخُوَيْصِرَةِ

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ- وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بني تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فقال رسول الله ﷺ «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلُ**»، فَقَالَ عُمَرُ بن الخطاب: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُم صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِم، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ[١]، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَضِيِّهِ وَهو قِدْحُهُ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ[٢]، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ[٣]، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ والدَّمَ[٤]، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ[٥]، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»، قَالَ أبو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بن أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرتُ إِلَيهِ عَلَى نَعْتِ النَّبيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَ[٦].

---

(١) النَّصْلُ: هو حديدُ السَّهْمِ، والرصافُ: هو مَدْخَلُ النَّصْلِ من السَّهْمِ.

(٢) النضيء: عودُ السَّهْمِ.

(٣) القُذَذُ: هي ريشُ السَّهْمِ. فشبْه النبيَّ ﷺ مُروقَهم وخروجَهم من الدينِ بالسَّهْمِ الذي يخرجُ بسرعةٍ شديدةٍ نحو الرميَّةِ.

(٤) الفرثُ: الروثُ في الكَرْشِ، أي: أن السَّهْمَ من شدةِ سُرْعَتِهِ خرجَ من الناحيةِ الأُخرى ولم يُصِبْهُ فَرْثٌ ولا دَمٌ.

(٥) البَضْعَةُ - بفتح الباء-: القطعةُ عن اللحمِ، تَدَرْدَرُ: أي: تضطربُ وتذهبُ وتجيءُ.

(٦) رواهُ البخاريُّ (٣٦١٠)، ومسلمٌ (١٠٦٤).

قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِنَ

إِنَّ السُّيوفَ غُدُوَّهَا وَرَوَاحَهَا　　تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلِ قَرْنِ الأَعْضَبِ[١]

بَعْدَ قِسْمَةِ الغَنَائِمِ، قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ يُعْلِنُ إِسْلامَهُ، وَيَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَدَّ الأَمْوَالِ وَالسَّبْيِ عَلَيْهِمْ، فَخَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ السَّبْيِ والمَالِ، فَاخْتَارُوا السَّبْيِ.

فَعَنْ مَرْوَانُ بْنِ الحَكَمِ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ**».

وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ - ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ لَهُمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا.

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ**».

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٨٧). الأَعْضَبِ: المَكْسُور، القَرْنِ: الدَّاخِلِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**» فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا»[١].

إِذَا كَانَ هَذَا الجِيْلُ أَتْبَاعَ نَهْجِهِ ... وَقَدْ حَكَمُوا السَّادَاتِ فِي البَدْوِ وَالحَضَرْ
فَقُلْ: كَيْفَ كَانَ المُصْطَفَى وَهُوَ رَمْزُهُمْ ... مَعَ نُورِهِ لَا تُذْكَرُ الشَّمْسُ وَالقَمَرْ؟!

زواجُ النبيِّ ﷺ بالجونيةِ

لو اقْسمَتْ أخلاقُهُ العُزُّ لم تَجِدْ ... معيبًا ولا خلقًا من الناسِ عائبا[٢]

تزوَّجَ النبيُّ ﷺ أميمةَ بنتَ النعمانِ بنِ شراحيلَ الجونيةَ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ ابْنَةَ الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ودَنَا مِنْهَا قَالَتْ: أَعُوذُ باللهِ مِنْكَ، فَقَالَ لهَا: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ**»[٣].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهَا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ ﷺ وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَبِي نَفْسَكِ لِي**». قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسَّوقَةِ؟ قَالَ: فأهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتسْكُنَ. فَقَالَتْ: أَعُوذُ باللهِ مِنْكَ. فقال: «**قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ**». ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا**»[٤].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣١٩).
(٢) ديوانُ أبي تمامَ (٦٢).
(٣) رواهُ البخاريُّ: (٥٢٥٤).
(٤) رواهُ البخاريُّ: (٥٢٥٧).

فَتْحُ الطَّائِفِ

كُلُّ يَوْمٍ فَتْحٌ مُبِيْنٌ وَنَصْرٌ ... وَاعْتِلاءٌ عَلَى الأَعَادِي وَقَهْرُ[١]

كَانَتْ شَفَقَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَحَدَبُهُ عَلَيْهِمْ حِيَالَ حُصُونِ الطَّائِفِ المَنِيْعَةِ، جَعَلَتْهُ يَأْذَنُ لَهُمْ بِالْقُفُولِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يَهْدِي أَهْلَ الطَّائِفِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ**»[٢].

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلائِلُ حَتَّى جَاءَ وَفْدُ الطَّائِفِ دُونَ قِتَالٍ، يَتَقَدَّمُهُمْ مَلِكُهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَالَّذِي أَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ[٣].

فَتَحَتْ مَبَادِئُه الحُصُونَ أَمَامَهُ ... قَبْلَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا[٤] الرَّعَّافِ

غَزَتِ القُلُوبَ بِسِحْرِهَا فَكَأَنَّهَا ... قَدْ لامَسَتْ مِنْهُنَّ كُلَّ شِغَافِ[٥]

أَيْنَ الَّذي يَغْزو القُلُوبَ مِنَ الَّذي ... يَغْزو الرِّقَابَ بِحِدَّةِ الأَسْيَافِ؟![٦]

---

(١) «دِيْوَانُ أُسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ» (٣٧٤).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيْجُهُ.

(٣) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيْرَةِ الرَّسُولِ» لِابْنِ كَثِيْرٍ (٢٤١).

(٤) القَنَا: جَمْعُ قَنَاةٍ، وَهِيَ الرُّمْحُ.

(٥) الشَّغَاف –بِالفَتْحِ–: غِلافُ القَلْبِ، أَوْ حِجَابُهُ، أَوْ سُوَيْدَاؤُهُ.

(٦) «مُخْتَارَاتٌ مِنْ أَجْمَلِ الشِّعْرِ» (٤٣).

مَوْعِظَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلأَنْصَارِ رضي الله عنهم

وَإِنَّـكَ لَـنْ تَلْقَـى مِـنَ النَّـاسِ مَعْشَـرًا أَعَـزَّ مِـنَ الأَنْصَـارِ عِـزًّا وَأَفْضَـلا[١]

تَأَثَّرَ بَعْضُ الأَنْصَارِ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ لِعَدَمِ شُمُولِهِمْ بِالأُعْطِيَّاتِ.

فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ: فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنْ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ؛ يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ».

وَالَّذِي نُقِلَ عَنِ الأَنْصَارِ إِنَّمَا هُوَ عَنْ بَعْضِ شَبَابِهِمْ، لاَ عَنْ شُيُوخِهِمْ وَكُهُولِهِمْ، كَمَا قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ[٢].

وَمَعَ ذَلِكَ جَمَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَبَابًا وَكُهُولاً وَشُيُوخًا، وَوَعَظَهُمْ مُوْعِظَةً بَلِيْغَةً، اشْتَمَلَتْ عَلَى مَنَاقِبَ عَظِيْمَةٍ لَهُمْ، وَجَلَتْ لَهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الدُّمُوعُ.

---

(١) «دِيْوَانُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه» (١٩٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٣١)، ومُسْلِمٌ (١٠٥٩).

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالُوا: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ؟، حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ -أَيِ: الكَلَامُ الرَّدِيءُ - حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللهِ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ، لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ.

قَالَ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي؟، قَالَ: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ**».

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ:

«**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ** -أَيْ كَلَامٌ- **وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ** -أَيْ: سَخَطٌ وَغَضَبٌ-، **أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللهُ؟، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ؟، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**».

قَالُوا: بَلَى، اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ**»، قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ،وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا - أَيْ: الشَّيْءِ التَّافِهِ الحَقِيْرِ-، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟!.**

أَلَا تَرْضَوْنَ - يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟!!

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ!».

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[1]، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا[2].

وآزَرَهُ أَبْنَاءُ قِيْلَةَ[3] فَابْتَنَوا ... مِنَ المَجْدِ بُنْيَانًا أَغَرَّ مُشَهَّرَا
وَسَمَّاهُمُ الرَّحْمَنُ أَنْصَارَ دِيْنِهِ ... وَكَانَ عَطَاءُ اللهِ أَعْلَى وَأَكْبَرَا

---

(١) أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ أَيْ: أَبَلُّوهَا بِالدُّمُوعِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٩٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، و(٤٣٣١)، و(٤٣٣٧)، عَنْ أَنَسٍ، ومُسْلِمٌ (١٠٥٩) عَنْ أَنَسٍ، و(١٠٦١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، وَأَحْمَدُ (٣/ ٧٦-٧٧-٨٩) عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ.

(٣) أَبْنَاءُ قِيْلَةَ: هُمُ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، وَهُمُ الأَنْصَار.

وَقَالَ أحمد محرم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خير النَّبِيينَ يصفيكُمْ مودتَهُ ... واللهُ يَشْكُرُكُمْ فَضَلًا وإِحْسَانًا[١]

هَجْرُ النبيِّ ﷺ أَزْواجَهُ

عليك بالهجر علَّ الهجرَ يُرجعها ... إلى الوصالِ ولا أستطيع أهجرها

هَجَرَ النبيُّ ﷺ أزواجَهُ، وآلى مِنْهُنَّ شهرًا، واعتزلَ عنهنَّ في مَشْرَبَةٍ له[٢].

١- سَبَبُ هَجْرِ رَسولِ اللهِ ﷺ أزواجَهُ:

كان من أسبابِ هَجْرِ النبيِّ ﷺ هو ما جاء عن عبيدِ بنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْد زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ فيشربُ عِنْدهَا عَسَلًا. قَالَت: فتواصيتُ أَنا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتنَا دخل عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلْتَقُلْ لَهُ: إِنِّي أَجِدُ مِنْك ريحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مغَافِيرَ، فَدخَلَ على إِحْدَاهمَا فَقَالَتْ ذَلِك لَهُ. قَالَ: «لا، **بل شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْد زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ، وَلنْ أَعُودَ لَهُ**». فنزلَ: ﴿**لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ**﴾ [التَّحْرِيمُ] إلى ﴿**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ**﴾ [التَّحْرِيمُ] لعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ. ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا**﴾ [التَّحْرِيمُ] لِقَوْلِهِ: «**بل شَرِبْتُ عَسَلًا**»[٣].

وعن أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَمَةٌ يطَؤُهَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَة وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ - تَعَالَى-: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ**﴾[٤].

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم» (٩٦٦).
(٢) مَشْرَبَةٌ له، أي: غُرْفَةٌ.
(٣) رواهُ البخاريُّ (٥٢٦٧).
(٤) أخرجَهُ النسائيُّ في الكبرى (٧/ ٧١)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ النسائيِّ» (٣٩٥٩).

٢- قِصَّةُ هَجْرِ النبيِّ ﷺ أزواجَهُ:

فَدَتْهُ نَفْسِي فما نَفْسٌ تُشَابِهُهُ مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ والنَّاسُ أشْبَاهُ!

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ لَهُمَا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مِنَ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ[1]، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي، فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي، فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَيْ حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اليَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَهْلِكِينَ لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَهْجُرِيهِ، وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ

(١) «العوالي» هو ضيعةٌ بينَها وبينَ المدينةِ أربعةُ أميالٍ، وقيلَ: ثلاثةٌ.

كَانَتْ جَارتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عَائِشَةَ- وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ، فَفَزِعْتُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ، فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ: مَا يُبْكِيكِ؟ أَوَ لَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: لَا أَدْرِي هُوَ ذَا فِي المَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ، فَجِئْتُ المِنْبَرَ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ، حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَإِذَا الغُلَامُ يَدْعُونِي قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِيءٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: «لَا»، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: لَو رَأَيْتَنِي، وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ

ﷺ يُرِيدُ عَائِشَةَ-، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَ اللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «**أَوَ فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ: «**مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ**[1]، **حِينَ عَاتَبَهُ اللهُ**» فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: عَائِشَةُ إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ**»، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ: آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**»، قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ:** ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ**﴾ [الأحزاب:٢٨] إِلَى قَوْلِهِ ﴿**عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب:٢٩]»، قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ[2].

---

(١) «موجدتُهُ» أي: الغَضَبُ.

(٢) رواهُ البخاريُّ (٥١٩١).

غَزْوَةُ تَبُوكَ

مَضَى عَلَى الحَقِّ، لَمْ تَعْصِفْ بِهِمَّتِهِ رِيْحُ الضَّلَالِ، وَلَمْ يَحْفَلْ بِتَهْوِيْلِ(١)

١- مَوْقِعُهَا:

تَقَعُ شَمَالَ الحِجَازِ، تَبْعُدُ عَنِ المَدِيْنَةِ ثَمَانِيَةً وَسَبْعِيْنَ وَثَمَانِمَائَةِ كَيْلٍ، حَسَبَ الطُّرُقِ المُعَبَّدَةِ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ،وَكَانَتْ مِنْ دِيَارِ قُضَاعَةَ الخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِ الرُّومِ آنَذَاكَ.

٢- سَبَبُ الغَزْوَةِ:

لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٩].

نَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ المَدِيْنَةِ، وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِغَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تَسْعٍ»(٢).

٣- التَّوَجُّهُ لِتَبُوكَ كَانَ مُعْلَنًا:

فِي طَاعَةِ اللهِ مَمْسَاهُ وَمَصْبَحُهُ وَمِنْهُ لِلْخَيْرِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ(٣)

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وُجْهَةِ الجَيْشِ، بَعْدَ أَنْ ظَلَّ يَعْتَمِدُ عَلَى عُنْصُرِ المُفَاجَأَةِ فِي غَالِبِ

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٤٣٥).

(٢) «الفُصُولُ» (٢٤٢-٢٤٣).

(٣) «دِيْوَانُ إِبْرَاهِيْمَ اليَازِجِيّ» (٧٣).

غَزَوَاتِهِ؛ لِأَنَّ العَدَدَ كَثِيْرٌ، وَالمَسَافَةَ بَعِيْدَةٌ، والحَرُّ شَدِيْدٌ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الاسْتِعْدَادِ والتَّزَوُّدِ[١].

فَعَنْ كَعْبِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، اسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا -أَيْ الصَّحَرَاءَ الَّتِي لاَ مَاءَ فِيهَا -، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى[٢] لِلْمُسْلِمِينَ أَمَرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ[٣]»[٤].

٤-تَسْمِيَةُ غَزْوَةِ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ العُسْرَةِ:

شُكْرًا وَأَجْرًا لِمَا أُوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... فِي عُسْرَةٍ أَظْلَمَتْ فِيْهَا مَطَالِعُنَا[٥]

سُمِّيَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ بِغَزْوَةِ العُسْرَةِ، لِمَا لَقِيَهُ المُسْلِمُونَ مِنْ عُسْرَةٍ وَجَهْدٍ، وَعَطَشٍ وَبَلاَءٍ، وَحَرٍّ شَدِيْدٍ، وَمَسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التَّوبَة: ١١٧].

٥- النَّفَقَةُ عَلَى الجِهَادِ:

وَجَهَّزَ جَيْشًا سَارَ فِي وَقْتِ عُسْرَةٍ ... تَعَذَّرَ مِنْ قُوتٍ بِهِ الصَّاعُ والمَدُّ[٦]

حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى النَّفَقَةِ، وَوَعَدَ المُنْفِقِيْنَ بِعَظِيْمِ الأَجْرِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

(١) انْظُرْ «صَحِيْحِ السِّيْرَةِ» العَلِيِّ (٥٨٤).

(٢) فَجَلَّى أَيْ: أَوْضَحَ وَكَشَفَ لَهُمْ الأَمْرَ.

(٣) وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ أَيْ:لَمْ تُقَيَّدْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سِجِلٍّ؛ حَتَّى يُعْرَفَ الحَاضِرُ مِنَ الغَائِبِ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٩٤٨)، ومُسْلِمٌ (٢٧٦٩).

(٥) «دِيْوَانُ ابْنُ نَبَاتَةَ المَصْرِيِّ» (٢١٥٢).

(٦) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

فَسَارَعَ أَغْنِيَاءُ الصَّحَابَةِ وَفُقَرَاؤُهُمْ إِلَى تَقْدِيْمِ الأَمْوَالِ، وَكَانَ عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَكْثَرِ الْمُنْفِقِيْنَ عَلَى جَيْشِ تَبُوكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، فَجَهَّزَهَا عُثْمَانُ[١].

وَجَاءَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ بِصَاعِ التَّمْرِ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فَعَنْ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ أَيْ: رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأَى رَجُلاً مُبْيِضاً[٢] يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ[٣]، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**»، فَإِذا هوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِيْنَ لمَزَهُ المُنَافِقُونَ[٤]»[٥].

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التَّوْبَة: ٧٩].

يَشُوقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ حِلْمٍ وَنَجْدَةٍ ... تَجَلَّتْ بِكُلٍّ مِنْهُمَا الشِّيْبُ وَالمُرْدُ[٦]

بِهَالَيْلُ[٧] أَمَّا بَذْلُهُمْ فِي جِهَادِهِمْ ... فَأَنْفُسُهُمْ،والمَالُ، والنُّصْحُ،والحَمْدُ[٨]

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ «الفَضَائِلِ» (٦١/ ٧)، وَهُوَ فِي البُخَارِيِّ (٢٧٧٨) عَنْ عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مُبْيضاً أَيْ: لَابِسًا البَيَاض.

(٣) يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ أَيْ: يَتَحَرَّكُ وَيَنْهَض، وَالسَّرَابُ: هُوَ مَا يَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ فِي الهَوَاجِرِ فِي البَرَارِي كَأَنَّهُ مَاءٌ.

(٤) لمَزَهُ المُنَافِقُونَ أَيْ: عَابُوهُ واحْتَقَرُوهُ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٦٩).

(٦) المُرْد: جَمْعُ أَمْرَدَ، وَهُوَ الَّذِي خَدَّاهُ أَمْلَسَانِ لَا شَعْرَ فِيْهَا.

(٧) البَهَالِيْلُ: السَّادَةُ، وَاحِدُهُمْ: بُهْلُولٌ.

(٨) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

٦- شَأْنُ الأَشْعَرِيِّينَ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الحُمْلَانَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ العُسْرةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «**وَاللهِ لا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ وَوَافَقْتُهُ، وَهُوَ غَضْبَانُ وَلَا أَشْعُرُ**» وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً، إِذْ سَمِعْتُ بلالًا يُنَادِي: أَيْ عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «**خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ، وَهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ - لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ-، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ اللهَ، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ**»[١].

٧- عَدَدُ جَيْشِ المُسْلِمِينَ:

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ[٢]

نَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْبَرِ جَيْشٍ قَادَهُ فِي حَيَاتِهِ، إِذْ كَانُوا ثَلَاثِيْنَ أَلْفًا، وَهُوَ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَى مَدَى اسْتِجَابَةِ المُؤْمِنِيْنَ لِدَوَاعِي العَقِيْدَةِ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ القَاسِيَةِ مِنَ الحَرِّ الشَّدِيْدِ والعُسْرَةِ[٣].

فَغَالَبَهُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سِلَاحَهُمْ ... نُيُوبٌ وَأَظْفَارٌ لَهُمْ فَهُمُ أُسْدُ

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٤١٥)، ومسلمٌ (١٦٤٩).

(٢) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّام» (٢٠).

(٣) انْظُرْ: «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحَة» لِلعُمْرِيِّ (٢/ ٥٠٧).

ثِـقَاتٌ مِـنَ الإِسْـلَامِ إنْ يَعِـدُوا يَفُـوا   وإنْ يُسْأَلُوا يُهْدُوا، وإنْ يُقْصَدُوا يُجْدُوا[١]
وَأَمَّــا مَــكَانُ الـصِّدْقِ مِنْهُـمْ فَإِنَّـهُ   مَقَالُهُمْ، وَالطَّعْنُ، والضَّرْبُ، والوَعْدُ[٢]

٨- اسْتِخْلَافُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النِّسَاءِ والذُّرِّيَّةِ:

جَعَلْـتُكَ مِنِّــي يَـا عَلِـيُّ بِمَنْـزِلٍ   كَهَـارُونَ مِـنْ مُوسَـى النَّجِيْـبُ المُكَلَّمُ

اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَليَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النِّسَاءِ والذُّرِّيَّةِ: فَآذَاهُ المُنَافِقُونَ، فَقَالُوا: تَرَكَهُ عَلَى النِّسَـاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، فَلَحِقَ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ فَشَـكَا إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ سَعْدُ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**يَا عَلِيُّ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟، غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي**»[٣].

صِهْـرَ النَّبِـيِّ وَمَـوْلاهُ وَنَاصِـرَهُ   أَضْحَـتْ مَنَاقِـبُهُ نُـورًا وبُـرْهَانَا
وَكَـانَ مِـنْهُ عَلَـى رَغْـمِ الحَسُـودِ لَـهُ   مَكَانَ هَارُونَ مِنْ مُوسَـى بْنِ عِمْرَانَا[٤]

٩- أُنَاسٌ في المدينةِ أَخَذُوا أَجرَ الغَزْوِ:

أخبرَ النبيُّ ﷺ بِأَنَّ في المدينةِ أناسًا أَخَذُوا أَجْرَ الغزوِ مَعَهُمْ كاملًا حَبَسَهُمُ العُذْرُ.

عَـنْ أَنَـسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَانَ فِـي غَـزاةٍ فَقَـالَ: «**إِنَّ أَقْوَامًـا بِالْمَدِينَـةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلا وَادِيًا إِلَا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٥].

---

(١) يُجْدُوا: يُعْطُوا.

(٢) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيّ» (٩/ ٣).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤١٦)، ومُسْلِمٌ (٢٤٠٤).

(٤) «الحَمَاسَةُ المَغْرِبِيَّة» (٢/ ٧٩٥).

(٥) رواهُ البخاريُّ (٢٨٣٩).

يَا ظَاعِنِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقش لَقَدْسِرْتُمْ جُسُومًا وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وَعَنْ قَدْرٍ وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ فَقَدْ رَاحَا

١٠- بَرَكَةُ الطعامِ:

كَمْ آيةٍ لرسولِ اللهِ مُعْجِزَةٍ تَكِلُّ عن مُنتهاها أَلْسُنُ الفُصَحَا[١]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**افْعَلُوا**»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ**»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ**»[٢].

١١- بَرَكَةُ الماءِ:

قبلَ أَنْ يَصِلَ النبيُّ ﷺ إلى تبوكَ بيومٍ واحدٍ قال لأصحابِهِ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا

(١) ابنُ زُمْرُكٍ (٢٩).
(٢) رواهُ مسلمٌ (٢٧).

مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبَضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟**» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ - شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ- حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ، يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيءَ جِنَانًا**»[1].

١٢- عَدَدُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ:

سَيُقْبِلُ عَهْدٌ بِالمَسَرَّاتِ بَاسِمٌ ... وَيُدْبِرُ عَهْدٌ مِنْ نِفَاقٍ وَبُهْتَانِ[2]

تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ النِّسَاءُ، وَالذُّرِّيَّةُ، وَمَنْ عَذَرَهُ اللهُ مِنَ الرِّجَالِ، مِمَّنْ لَا يَجِدُ ظَهْرًا يَرْكَبُهُ، أَوْ نَفَقَةً تَكْفِيهِ، وَمِنْهُمْ العِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: ﴿**وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾**﴾ [التَّوْبَة: ٩٣][3].

وتَخَلَّفَ مُنَافِقونَ كُفْرًا وعِنادًا وكَانُوا نَحْوَ الثَّمَانِينَ رَجُلًا، وتخلَّفَ عُصَاةٌ، مِثْلُ: مُرارَةَ بْنِ الرَّبيعِ، وَكَعْبِ بْنِ مالكٍ، وهِلالِ بْن أُمَيَّةَ، ثُمَّ تَابَ اللهُ عليهم

---

(١) رواهُ مسلمٌ (٧٠٦).

(٢) «دِيْوَانُ ابْنِ سَحْنُونَ» (٢٢٧).

(٣)(صَحِيْحٌ)أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٤/ ١٢٦-١٢٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٩٣٧).

بَعْدَ قُدُومِهِ ﷺ بخمسين[١].

١٣- مُرُورُ المُسْلِمِيْنَ بِدِيَارِ الظَّالِمِيْنَ:

فَمَـنْ مُبْلِـغُ الفِتْيَـانِ: أَنِّي بَعْدَهُـمْ مُقِـيْمٌ بِـدَارِ الـظَّالِمِيْنَ وَحِيْـدُ[٢]

سَـارَ النَّبِـيُّ ﷺ، فَمَـرَّ فِـي طَرِيْقِـهِ الحِجْـرِ، وَهِـيَ مَدَائِنُ ثَمُودَ، المَعْرُوفَةُ اليَوْمَ بِاسـمِ مَدَائِنِ صَالِحٍ، فَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا بَاكِيْنَ، وَأَلَّا يَشْرَبُوا إِلَّا مِنْ بِئْرِ النَّاقَةِ.

فَعَنِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**». ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا[٣].

وَعَنْهُ قَالَ: «أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ أَرْضِ ثَمُودَ، فَاسْـتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَـا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُـوا الْإِبِـلَ الْعَجِيـنَ، وَأَمَرَهُـمْ أَنْ يَسْـتَقُوا مِـنْ الْبِئْـرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»[٤].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَجَازَهَا مُقْنِعًا»[٥].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِدِيَارِ الظَّالِمِينَ، وَمَوَاضِعِ الْعَذَابِ، وَمِثْلُهُ الْإِسْرَاعُ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ هَلَكُوا

---

(١) «الفصول» (٢٤٥-٢٤٦) وأصله في «الصحيحين».

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٤٠١).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٨١)، ومُسْلِمٌ (٢٩٨٠).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٧٩)، ومُسْلِمٌ (٢٩٨٠).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٧٩).

هُنَاكَ، فَيَنْبَغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُرَاقَبَةُ وَالْخَوْفُ وَالْبُكَاءُ، وَالِاعْتِبَارُ بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»(١).

١٤- مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا بَلَغَ تَبُوكَ؟:

لما وَصَلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى تبوكَ ضُرِبَتْ له قُبَّةٌ.

عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ(٢).

١٥- مُصَالَحَةُ أَهْلِ أَيْلَةَ:

جاءَ إلى النبيِّ ﷺ وهو بِتَبُوكَ يَحْنَةُ بنُ رَوْبَةَ، صاحِبُ أَيْلَةَ، فصالَحَ النبيَّ ﷺ، وأعطاهُ الجِزْيَةَ ثلاثمائةَ دينارٍ كُلَّ سَنَةٍ، وكان مَعَهُ ثلاثُمائةِ رَجُلٍ، وأهدى للنبيِّ ﷺ بُرْدًا وكَتَبَ له ولِأَهْلِ أَيْلَةَ كِتابًا.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ الْقُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**اخْرُصُوا**». وَخَرَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ. فَقَالَ لَهَا: «**أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا**». فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلا يَقُومَن أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ**». فَعَقَلْنَاهَا، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ الْقُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «**كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ؟**» قَالَتْ: عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، خَرْصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي مُتَعَجِّلٌ**

(١) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِم» (١٨/ ١١١-١١٢).
(٢) رواهُ البخاريُّ (٣١٧٦).

إِلَـى الْمَدِينَـةِ، **فَمَـنْ أَرَادَ مِنْكُـمْ أَنْ يَتَعَجَّـلَ مَعِـي فَلْيَتَعَجَّـلْ**». فَلَمَّـا قَالَ الرَّاوِيُ كَلِمَـةً مَعْنَاهَـا أَشْـرَفَ عَلَـى الْمَدِينَـةِ قَـالَ: «هَـذِهِ طَابَـةُ». فَلَمَّـا رَأَى أُحُدًا قَالَ: «**هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟**» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «دُورُ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الأَشْـهَلِ ثُمَّ دُورُ بَنِي سَـاعِدَةَ أَوْ دُورُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ - يَعْنِي- خَيْرًا»[١].

١٦- أَسْرُ أُكَيْدِرٍ ثمَّ مُصَالَحَتُهُ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَهُ إِلَى أُكَيْدِرِ دُومةَ، وَهُوَ أُكَيْـدِرُ بْـنُ عَبْـدِ الْمَلِـكِ رَجُـلٌ مِـنْ كِنْـدَةَ كَانَ مَلِـكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَالِدٍ إِنَّك سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ. فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ وَفِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ وَهُوَ عَلَى سَـطْحٍ لَهُ وَمَعَ امْرَأَتِهِ فَبَاتَـتْ الْبَقَـرُ تَحُـك بِقُرُونِهَـا بَـابَ الْقَصْـرِ فَقَالَـتْ لَـهُ امْرَأَتُهُ هَلْ رَأيت مِثْلَ هَذَا قَـطُّ؟ قَـالَ: لَا وَاللهِ قَالَـتْ: فَمَـنْ يَتْـرُكُ هَـذِهِ؟ قَـالَ لَا أَحَـدَ. فَنَـزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِـهِ فَأُسْـرِجَ لَـهُ وَرَكِـبَ مَعَـهُ نَفَـرٌ مِـنْ أَهْـلِ بَيْتِـهِ فِيهِـمْ أَخٌ يُقَـالُ لَهُ حُسَـانُ. فَرَكِبَ وَخَرَجُـوا مَعَـهُ بِمَطَارِدِهِـمْ. فَلَمَّـا خَرَجُـوا تَلَقَتْهُـمْ خَيْلُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَتْهُ وَقَتَلُـوا أَخَـاهُ وَقَـدْ كَانَ عَلَيْـهِ قَبَـاءٌ مِـنْ دِيبَـاجٍ مُخَـوصٍ بِالذَّهَـبِ فَاسْـتَلَبَهُ خَالِدٌ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ[٢] حديثُ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ

(١) رواهُ البخاريُّ: (١٤٨١).

(٢) سيرةُ ابنُ هشامٍ (٤/ ١٦٩- ١٧٠)، والحديثُ حَسَنٌ؛ لأَنَّهُ قد ثَبَتَ سماعُ عاصمٍ عن أنسٍ كما قال الحافظُ في التقريبِ كما صَرَّحَ ابنُ إسحاقَ بالسماعِ عن شيخِهِ عاصمٍ في المغازي، وذلك في =

يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا، أَوْ أَلْيَنُ»(١).

١٧- رجوعُ النبيِّ ﷺ من تبوكَ:

أقامَ النبيُّ ﷺ في تبوكَ عشـرينَ ليلةً(٢) لم يَلْقَ عَدُوًّا ورأى أن دُخُولَهُمْ إلى أرْضِ الشَّامِ يَشُقُّ عليهم، فَعَزَمَ على الرُّجُوعِ، وَكَانَ رُجُوعُهُ ﷺ من هذه الغَزْوَةِ في رمضانَ سنةَ تِسْعٍ(٣).

١٨- مُحَاوَلَةُ اغتيالِ النبي ﷺ:

يُسِـرُّ لَـكَ الْبَغْضَـاءَ كُلُّ مُنَافِـقٍ   كَمَـا كُلُّ ذي دِيـنٍ عَلَيْـكَ شَـفِيقُ(٤)

خرج مع النَّبِيِّ ﷺ في غَزْوَة تَبُوكَ قِلَّةٌ مِنَ المُنافقينَ، وحاولوا اغتيالَ النَّبيِّ ﷺ في طريقِ العَوْدَةَ، فعصمه اللهُ منهم، وهم خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، تعاهدوا أَنْ يَدْفَعُوه عَنْ راحِلَتِهِ إِلى الوادي، إذا تسنَّم العَقَبَةَ باللَّيلِ.

فعن أبي الطُّفَيْلِ قال: لمَّا أَقبَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخذَ العَقَبَةَ(٥)؛ فَلاَ يَأْخُذْهَا أَحَدٌ.

= تَكْمِلَـةِ الحديـثِ حيثُ قال: فحدَّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: «رأيتُ قبـاءَ أكيـدرَ حيثُ قَدِمَ به على رسـولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ المسـلمونَ يَلْمِسُـونه بأيدِيهم ويتعجبون منه...». وذكر الحديثَ. (ابنُ هشامٍ: سيرةٌ ٤/ ٢٣٢).

(١) رواهُ البخاريُّ (٢٦١٥)، ومسلمٌ (٢٤٦٨).

(٢) الطبقاتُ (٢/ ١٢١) وعند ابنِ هشامٍ (٤/ ١٧٠) بِضْعَ عَشْرةَ ليلةً.

(٣) «الفصولُ» (٢٤٩).

(٤) ديوان جَريرٍ (٤١٢).

(٥) العَتَبَـةُ: طريـقٌ في الجَبَـلِ وَعِرٌ، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ في «شـرحه على مسـلم» (١٧/ ١٢٦): «هذِهِ العقبةُ لَيْسَـتِ الْمَشْـهُورةِ بِمِنى الَّتي كَانتْ بها بَيْعَةُ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وإنَّما هذهِ عَقَبَةٌ على طريقِ =

فَبَيْنَمَا رسولُ اللهِ ﷺ يَقُودهُ حُذَيْفةُ، وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ، إذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ على الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا، وَهُوَ يَسُوقُ برسولِ الله ﷺ، وأقبلَ عمَّارُ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «**قَدْقَدْ**»[1] حتَّى هَبَطَ رسولُ اللهِ ﷺ فلمَّا هَبَطَ رسولُ اللهِ ﷺ نَزَلَ، ورَجَعَ عَمَّارٌ فقال: «**يا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟**».

فقال: قَدْ عَرَفْتُ عامَّةَ الرَّوَاحِلِ، والْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ.

قال: «**هَلْ تَدْرِي ما أَرَادُوا؟**».

قال: الله ورَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال: «**أرادوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَطْرَحُوهُ**».

فعذرَ رسول اللهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً؛ قالوا: واللهِ، ما سَمِعْنا مُنَادي رسولِ الله ﷺ، وما عَلِمْنَا ما أَرَادَ القَوْمُ.

فقال عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِيةَ حَرْبٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ في الحياةِ الدُّنْيا، ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ[2].

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ في هؤلاءِ قَوْلَهُ: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التَّوبة:٧٤].

قال ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: «قَدْ يَظُنُّ بَعْضُ مَنْ لا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّ أَصحابَ العَقَبةِ

= تَبُوكَ، اجتمع المنافقون فيها للغَدْرِ برسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوة تَبُوكَ، فعصمه اللهُ مِنْهُمْ».

(١) أَيْ: حَسْبُكَ، وهي بِمَعْنَى: كَفَى كَفَى.

(٢) (صحيح) أخرجه أحمدُ (٢٣٢٨)، وقال الهَيْثَميُّ في «المجمع» (٦/ ١٩٥) «رجالُهُ رجالُ الصَّحيحِ»، وقال الأرناؤوط: إسنادُهُ قويٌّ على شَرْطِ مُسْلِمٍ، وأَصْلُ الحديثِ في «صحيح مسلم» (٢٧٧٩) مُخْتَصرًا.

المَذْكُورِينَ في هذا الحديثِ هُمْ أصحابُ العَقَبَةِ الَّذين بايعوا النَّبيَّ ﷺ في أَوَّلِ الإسلامِ، وحاشَاهُمْ منْ ذلك.

إنَّما هُؤلاءِ قَوْمٌ عَرَضُوا لِرَسُولِ الله ﷺ في عَقَبةٍ صَعِدَهَا، لمَّا قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَقَدْ كان أَمَرَ مُنادِيًا، فنادى: لا يَطْلَعُ العقبةَ أَحَدٌ، فلمَّا أَخَذَها النَّبيُّ ﷺ عَرَضُوا لَهُ، وهُمْ مُتَلَثِّمونَ؛ لِئَلَّا يُعْرَفُوا، أرادوا بِهِ سُوءًا، فَلَمْ يُقْدِرْهُمُ اللهُ -تعالى-»[١].

فَعَنْ حُذَيفةَ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**في أُمَّتي**[٢] **اثْنَا عَشَرَ مُنافقًا**[٣]، لا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ، ولا تَجدُونَ رِيْحَها، حتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الْخِيَاطِ[٤]، ثمانيةٌ مِنْهُمْ تكفيكَهُمُ[٥] الدُّبَيْلَةُ سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ في أَكْتَافِهِمْ[٦] حتَّى يَنْجُمَ[٧] من صُدُورِهِمْ»[٨].

---

(١) «جامع الأصول» (٩٣٠٦/١).

(٢) وفي رواية «في أصحابي» أَيْ: مُنْدَسِّينَ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسُوا مِنْهُمْ على الحقيقةِ، كما قال - تعالى -: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، فَهُمْ يُنْسَبُونَ إلى صُحْبتي، فهم في الظاهرِ معي، لكن في الباطنِ هُمْ ضِدِّي.

(٣) اثْنَا عَشَرَ مُنافقًا: وهمُ الَّذين جاءُوا مُلَثَمِين وَقَدْ قَصَدُوا النَّبيَّ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، فحماه اللهُ مِنْهُمْ، وأَعْلَمَهُ بأسمائهم.

(٤) سمُّ الخياطِ: بتثليث السَّين، والفتح أشهرُ: ثَقْبُ الإبرةِ، ومعناه: لا يدخُلُهم الجنَّة أبدًا، كما لا يدخلُ الجَمَلُ في ثَقْبِ الإبرةِ أبدًا.

(٥) «تكفيكهم» أَيْ: تَدْفَعُ شَرَّهُمْ.

(٦) «يَظْهَرُ في أَكْتَافِهِمْ» أَيْ: وَرَمٌ حارٌّ يحدثُ في أكتافِهِمْ، بحيثُ لا يَظْهَرُ أَثَرُ تَرْكِ الحرارةِ، وشدَّةِ لَهيبِهَا في صُدُورِهِمْ ممتلةً بِسَراجٍ مِنْ نارٍ، وَهُوَ شُعْلَةُ المِصْبَاحِ.

(٧) ينجم: يظهر ويَطْلُع ويعلو.

(٨) رواه مسلم (٢٧٧٩).

١٩- مَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِيْنَ اقْتَرَبَ مِنْ المَدِيْنَةِ؟

إِذَا مَـا ذَكَرْنَـا طِيْـبَهُ بَعْـدَ بُرْهَـةٍ ... مِـنَ الدَّهْـرِ عَاوَدْنَـاهُ، وَالعَـوْدُ أَحْمَدُ[١]

لَمَّا اقْتَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ المَدِيْنَةِ، أَسْـرَاعَ، وَقَالَ كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ**»، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فقَالَ: «**هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[٢].

إِلَـى طَـيْـبَةَ الـغَرَّا هُيَامٌ يَشُـدُّنِي ... بِـهَـا مَسْـجِـدٌ لِلـزَّائِرِيْنَ يُـعَظَّمُ
بَـنَـاهُ رَسُـولُ الـعَالَمِيْنَ مُحَمَّـدٌ ... شَفِيْـعُ الـوَرَى بَـرٌّ يَجُـودُ وَيَرْحَـمُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَحِيْـنَ أَوْفَـى عَلَـى وَادِي تَبُـوكَ سَـعَى ... إِلَيْـهِ سَاكِنُـهَـا طَـوْعـًا بِـلَا رَغَـمِ
فَصَالَـحُوهُ وَأَدَّوا جِزْيَـةً وَرَضُـوا ... بِحُكْـمِهِ وَتَبِيْعُ الرُّشْـدِ لَـمْ يَـهِمِ
أَلْفَـى بِهَـا عَيْـنَ مَـاءٍ لا تَبِـضُّ[٣] فَمُـذْ ... دَعَا لَهَا انْفَجَرَت عَنْ سَائِغٍ[٤] سَنِمِ[٥]
وَرَاوَدَ الـغَـيْـثَ فَـانْهَلَّتْ بَـوَادِرُهُ ... بَـعْدَ الجُمُـودِ بِمُنْهَـلٍّ وَمُنْسَجِمِ[٦]
وَأَمَّ طَـيْـبَـةَ مَسْـرُوراً بِعَوْدَتِـهِ ... يَطْـوِي المَنَـازِلَ بِالوَخَّـادَةِ الرُّسُـمِ[٧]

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣١/ ٣٥٣).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٤٢).
(٣) بَضَّ: يَبِضُّ بَضِيضًا أَيْ: سَالَ قَلِيْلًا قَلِيْلًا.
(٤) السَّائِغ: هُوَ الَّذِي يَسْهَلُ انْحِدَارُهُ.
(٥) السَّنِمُ: العَالِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.
(٦) انْسَجَمَ المَاءُ فَهُوَ مُنْسَجِمٌ: إِذَا نَصَبَّ.
(٧) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي» (٧٦/ ٥٦٠).

٢٠- اسْتِقْبَالُ النَّاسِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:

وَيَشُوْقُنِي مِنْ نَحْوِ طَيْبَةَ نَسْمَةٌ تُبْنَى المَشُوقَ بِطَيِّبِ الأَطْيَابِ[١]

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَرَجَ النَّاسُ لاسْتِقْبَالِهِ عِنْدَ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

فَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ خَرَجَ النَّاسُ يَتَلَقَّوْنَهُ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ»[٢].

شَرُفَتْ بِكَ الأَرْضُ البَسِيْطَةُ بَعْدَمَا أُسْكِنْتَهَا، وَتَجَلَّتِ الأَقْطَارُ
فَالأَرْضُ حَيْثُ أَقَمْتَ فِيهَا جَنَّةٌ وَالأَرْضُ حَيْثُ رَحَلْتَ عَنْهَا نَارُ[٣]

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٣/ ٣٦٢).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٨٢).

(٣) «الإِبَانَةُ عَنْ سَرِقَاتِ المُتَنَبِّي لَفْظًا وَمَعْنًى» (١٦٨).

قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا (١)

إِنْ خَالَفُوا المَجْدَ، لَمْ يَعْدِلْ مُخَالِفَةً أَوْ أَخْلَفُوا الوَعْدَ، لَمْ يُتْبِعْهُ إِخْلافَا(٢)

تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ثَلاثَةٌ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ:

١- مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيْعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٢- كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣- هِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٣).

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا -قَطُّ-، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ(٤) قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.

---

(١) أصناف المتخلفين عن تبوك.

المتخلفون عن تبوك أربعة أصناف:

١- مأمورون مأجورون، وهم: علي بن أبي طالب، ومحمد بن مسلمة، وابن أم مكتوم.

٢- معذورون، وهم الضعفاء، والمرضى، والفقراء، كالبكائين ونحوهم.

٣- عصاة مذنبون، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية.

٤- ملومون مذمومون وهم: الأعراب والمنافقون.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٧٩/ ٢٤٩).

(٣) إِذَا أَرَدَّتَ حِفْظَ أَسْمَائِهِمْ، فَقُلْ: (مَكَّةَ) فَالمِيْمُ مُرَارَةُ، وَالكَافُ كَعْبٌ، وَالهَاءُ هِلَالٌ.

(٤) العِيْرُ - بِالكَسْرِ- الإِبِلُ تَحْمِلُ المِيْرَةَ (أَيْ: الطَّعَامَ)، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى كُلِّ قَافِلَةٍ.

قَالَ: وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟**»، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ(١)، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ(٢)، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ،وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ.

حَتَّى جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي - وَاللهِ - لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا -أَيْ فَصَاحَةً وَقُوَّةً فِي الكَلَامِ-، وَلَكِنِّي -وَاللهِ- لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ -قَطُّ- أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**».

---

(١) البُرْد -بِالضَّمِّ- وَاحِدُ البُرُودِ، وَهِيَ ثِيَاب مِنَ اليَمَنِ فِيهَا خُطُوطٌ.

(٢) عِطْفَا الإِنْسَان - بِالكَسْرِ- جَانِبَاهُ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ.

فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟، قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟

قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ.

قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ.

قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ[1]، بِأَعْلَى صَوْتِهِ، يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ.

قَالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ

(١) سَلْع -بِالفَتْحِ- جَبَلٌ عِنْدَ المَدِيْنَةِ.

إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا.

وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**».

قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟، قَالَ: «**لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**».

قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٦-١١٧][١].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤١٨)، ومُسْلِمٌ (٢٧١٩)، بِاخْتِصَارٍ قَلِيلٍ.

الوُفُــودُ

الـسَّـمَـاوَاتُ شَـيِّـقَـاتٌ ظِـمَـاءُ والـفَـضَـا والـنُّـجُـومُ وَالأَضْـوَاءُ
كُـلُّـهَـا لَـهْـفَـةٌ إِلَـى الـعَـلَـمِ الـهَـا دِي، وَشَـوْقٌ لِـذَاتِـهِ واحْـتِـفَـاءُ

اشْتَهَرَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَزِيْرَةِ العَرَبِ، وَمَا حَوْلَهَا، وَكَانَتِ العَرَبِ تَقُولُ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ فَتْحِ مَكَّـةَ مَعْرَكَـةً فَاصِلَـةً، عَرَفَـتِ العَـرَبُ لِأَجْلِهَـا الحَـقَّ مِنَ البَاطِلِ، وَزَالَتْ عَنْهُمُ الشُّبُهَاتُ، فَسَارَعُوا إِلَى الدُّخُولِ فِي دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجًا.

وَمِمَّـا يَـدُلُّ عَلَـى ذَلِـكَ حَدِيْـثُ عَمْـرِو بْـنِ سَـلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: «كُنَّـا بِمَاءٍ مَمَـرَّ النَّـاسِ، وَكَانَ يَمُـرُّ بِنَـا الرُّكْبَـانُ، فَنَسْـأَلُهُمْ: مَـا لِلنَّـاسِ، مَـا لِلنَّاسِ، مَا هَذَا الرَّجُلُ؟، - أَيْ: النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ- أَوْ أَوْحَى اللـهُ بِكَـذَا - فَكُنْـتُ أَحْفَـظُ ذَلِـكَ الْـكَلَامَ وَكَأَنَّمَـا يُغْرَى[1] فِي صَدْرِي، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ[2] بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ[3] كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا، فَقَالَ: «**صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا ...**»[4].

(١) يُغْرَى أَيْ: مِنَ التَّغْرِيَةِ أَيْ: كَأَنَّمَا يُلْصَقُ.

(٢) تَلَوَّمُ أَيْ: تَنْتَظِرُ وَتَتَرَبَّصُ، وَأَصْلُهُ بِتَاءَيْنِ، فَحُذِفَتْ إِحْدَاهُمَا تَخْفِيفًا.

(٣) بَادَرَ: أَسْرَعَ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٠٢).

لَـهَا أَحَادِيـثُ مِـنْ ذِكْـرَاكِ تَشْـغَلُهَا   عَــنِ الطَّـعَامِ وَتُلْهِيهَـا عَـنِ الـزَّادِ
لَـهَـا بِوَجْـهِكَ نُـورٌ تَسْـتَضِيءُ بِـهِ   وَمِـنْ حَـدِيثِك فِـي أَعْقَابِهَـا حَـادِي
إِذَا اشْـتَكَتْ مِنْ كَلَالِ[1] السَّـيْرِ أَوْعَدَهَا   رُوْحُ الْقُــدُومِ فَتَـحْيَا عِـنْدَ مِيْعَـادِ

وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ المَغَازِي: أَنَّ عَدَدَ الوُفُودِ يَزِيْدُ عَدَدُهَا عَلَى سَبْعِيْنَ وَفْدًا، وَسَوْفَ أَقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِهَا:

١- وَفْدُ بَنِي تَمِيْمٍ:

وَإِذَا أُنَـادِمُ[2] عُصْبَـةً عَرَبِيَّـةً   بَـدَرَتْ إِلى ذِكْـرِ الـفَخَارِ تَمِيْـمُ[3]

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْـرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللهِ، قَدْ بَشَّـرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَرُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ[4].

٢- وَفْدُ الأَشْعَرِيْنَ:

قَـوْمٌ إذا هَـطَلَتْ جُـودًا أكفُّهُـمُ   عَلِمْـتَ أنَّ النَّـدَى مُـذْ كَانَ في الْيَمَنِ[5]

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُـولُ الله ﷺ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ، أَرَقُّ أَفئِدَةً، فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ، فيهم أَبُو مُوسَى، فَجَعَلُوا لَمَّا دَنَوْا مِنَ المدِينَة

---

(١) الكِلَال -بِالفَتْحِ- التَّعَبُ وَالإِعْيَاء.
(٢) نَادَمَهُ مُنَادَمَةً وَنِدَامًا: جَالَسَهُ عَلَى الشَّرَابِ.
(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١/ ٣٣٣).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٦٥).
(٥) «ديوان أبي تمام» (٣٩٠)..

جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ، يَقُولُونَ: غَدًا نَلْقَى الأَحِبَّةْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: يَقْدُمُ غدًا أقوامٌ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا للإِسْلَامِ مِنْكُمْ، قَالَ: فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ، مِنْهُمْ أَبُو مُوسى الأَشْعَرِيُّ، فَلَمَّا دَنُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ: يَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الأَحبَّةَ مُحَمَّدًا وحِزْبَهْ

فَلَمَّا أنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فكَانُوا أوَّلَ مَنْ أحْدَثَ المُصَافَحَةَ»[١].

٣- وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ:

أَمَلٌ أَنَاخَ بِهِمْ وُفُوداً فَاغْتَدَوا مِنْ عِنْدِه وَهُمُ مُنَاخُ وفُودِ[٢]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ[٣] أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ**».

قَالُوا: رَبِيعَةُ.

فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**»[٤].

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يُسُرٍ أَهْلُ العِبَادَةِ حَفَّاظُونَ لِلْجَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلا يُمَارُونَ -إِنْ مَارَوْا- بِإِكْثَارِ

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (١٢٠٤٩)، وأبو داود (٢٧٦١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٨).

(٢) «أَمَالِي القَالِي» (١/ ٢٣٩).

(٣) عبد القيس قبيلة من قبائل العرب الكبيرة، ينتمون إلى ربيعة وكانوا يسكنون البحرين، والبحرين في القديم تمتد على ساحل الخليج العربي، وتشمل الكويت، والإحساء، والقطيف، وقطر، والبحرين حاليًا، وكانت الأحساء عاصمة هذا الإقليم.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٣)، ومُسْلِمٌ (١٧).

٤- وَفْدُ دَوْسٍ:

سَلِمْتَ وَصَادَفَتْ خَيْراً وَيُمْناً ... رِكَابُكَ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارِ[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»[٢].

رَحْمَةً أَنْتَ جِئْتَ بِالنُّورِ وَالْخَيْـ ... ـرِ وَبِالبِشْرِ وَالْهُدَى وَالصَّلَاحِ
تَفْتَحَ الْمِصْرَ بِالسُّيُوفِ وَطَوْرًا ... بِالدُّعَا، وَالدُّعَاءُ خَيْرُ سِلَاحِ[٣]

٥- وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ:

شَخَصَتْ لِمَوْكِبِهِ العُيُونُ فَأَبْصَرَتْ ... بَدْراً تَأَلَّقَ فِي غَمَامِ وُفُودِ[٤]

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ! إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ!، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ

---

(١) «دِيوَانُ أَحْمَدُ مُحَرَّم» (٦٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٩٢)، ومُسْلِمٌ (٢٥٢٤).

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا – حَفِظَهُ الله–.

(٤) «دِيوَانُ إِبْرَاهِيم اليَازِجيِّ» (٣٣).

فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**». فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ!

فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ! يَا مُحَمَّدُ! وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ. وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟!، قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ، رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا، وَاللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ[1].

جَزَاهُمُ اللهُ عَنْ دِينِ الرَّسُولِ، فَمَا ... أَحْلَى مَآثِرَهُمْ فِي سَالِفِ الحِقَبِ[2]
لَوْلاَ لَطَائِفُ صُنْعِ اللهِ مَا نَبَتَتْ ... تِلْكَ المَكَارِمُ فِي لَحْمٍ وَلاَ عَصَبِ[3]

٦- وَفْدُ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٩١)، ومُسْلِمٌ (١٧٦٤).

(٢) حِقْبَةٍ –بِالكَسْرِ– وَهِيَ السَّنَةُ.

(٣) انْظُرْ: «رَسَائِلُ الثَّعَالِبِيِّ» (٣٢).

وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ**»، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ(١).

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «**إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ**»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ**»(٢) (٣).

ظَلَامُ بَنِي حَنِيْفَةَ عَادَ ضَوْءاً ... بِصُحْبَةِ مَنْ أَظَلَّتْهُ الغَمَامَةْ
لَقَدْ ذَهَبُوا إِلَى رِبْحٍ وَوَلَى ... إِلَى الخُسْرَانِ كَذَّابُ الْيَمَامَة

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١١٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٢٤).

(٣) **قَالَ الحَافِظُ** رَحِمَهُ اللهُ **في الفتح (٧/ ٦٩١-٦٩٢):**
«وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِمَامَ يَأْتِي بِنَفْسِهِ إِلَى مَنْ قَدِمَ يُرِيدُ لِقَاءَهُ مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا تَعَيَّنَ ذَلِكَ طَرِيقًا لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ».
قَوْلُهُ: (وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ يُجِيبُكَ عَنِّي) أَيْ لِأَنَّهُ كَانَ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ فَاكْتَفَى بِمَا قَالَهُ لِمُسَيْلِمَةَ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ يُرِيدُ الْإِسْهَابَ فِي الْخِطَابِ فَهَذَا الْخَطِيبُ يَقُومُ عَنِّي فِي ذَلِكَ، وَيُؤْخَذُ مِنْهُ اسْتِعَانَةُ الْإِمَامِ بِأَهْلِ الْبَلَاغَةِ فِي جَوَابِ أَهْلِ الْعِنَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَالَ آخَرُ:

فَـآمَـنَ أَقْـوَامٌ بِـذَاكَ وَأَيْقَـنُوا ... فَأَمْسَـوْا بِحَمْـدِ اللـهِ مُجْتَمِعِـي الشَّـمْلِ
وَأَنْكَـرَ أَقْـوَامٌ فَـزَاغَتْ قُلُوبُهُـمْ ... فَزَادَهُمْ ذُو الْعَرْشِ خَبْلًا[١] عَلَى خَبْلِ[٢]

٧- وَفْدُ نَجْرَانَ:

تَـسَامَى فِـي ذُرَا نَجْـرَانَ وَفْـدٌ ... جَـدِيْـرٌ بِالـوَفَـا والمَـكْرَمَاتِ[٣]

عَـنْ حُذَيْفَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: جَـاءَ العَاقِـبُ وَالسَّـيِّدُ، صَاحِبَـا نَجْـرَانَ، إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ يُرِيـدَانِ أَنْ يُلاَعِنَـاهُ، قَـالَ: فَقَـالَ أَحَدُهُمَـا لِصَاحِبِـهِ: لاَ تَفْعَـلْ، فَوَاللـهِ لَئِـنْ كَانَ نَبِيًّـا فَلاَعَنَّـا لاَ نُفْلِـحُ نَحْـنُ وَلاَ عَقِبُنَـا مِـنْ بَعْدِنَـا، قَـالاَ: إِنَّـا نُعْطِيـكَ مَـا سَـأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: «**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**».

فَاسْتَشْـرَفَ[٤] لَـهُ أَصْحَـابُ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ فَقَـالَ: «**قُـمْ يَـا أَبَـا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ**» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[٥].

٨- وَفْدُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ:

سَـرَيْنَا وُفُـودَ الشُّـكْرِ مِـنْ كُلِّ تَلْعَـةٍ[٦] ... إِذَا مَا وَزَعْنَا اللَّيْلَ بِاسْـمِكَ أُسْـرِجَا[٧]

عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَـالَ: بَيْنَمَـا نَحْـنُ جُلُـوسٌ مَـعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي

---

(١) الخَبْلُ -بِالفَتْحِ- الفَسَادُ، والجَمْعُ خُبُولٌ.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ١٩٨).

(٣) «المَذَاهِبُ الأَدَبِيَّة فِي الشِّعْرِ الحَدِيْثِ» (٢٢٣).

(٤) الاسْتِشْرَافُ لِلشَّيْءِ: التَّعَرُّضِ لَهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الارْتِفَاعِ والعُلُوِّ، وَكَأَنَّهُمْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ لِذَلِكَ.

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٤٥)، ومُسْلِمٌ (٢٤٢٠).

(٦) التَّلْعَةُ -الفَتْحِ- الأَرْضُ المُرْتَفِعَةُ الغَلِيْظَةُ - العَرِيْضَةُ، والجَمْعُ تِلَعٌ وَتِلاَعٌ.

(٧) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣/ ٢٢٥).

الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ[١]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[٢]، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ، فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ.

فَقَالَ: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**»، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟

فَقَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ،آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟.

قَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ.

قَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا.

فَقَالَ: «**اللهُمَّ نَعَمْ**».

فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ[٣].

(١) عَقَلَهُ أَيْ: شَدَّ عَلَى سَاقِهِ مَعَ ذِرَاعِهِ حَبْلًا، بَعْدَ أَنْ ثَنَى رُكْبَتَهُ.

(٢) ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَيْ: فَنَادَهُ بِقَوْلِهِ: يَابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣)، ومُسْلِمٌ (١٢).

٩- وَفْدُ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَأَخْبَارُهُ:

فِتْـنَةُ الـدَّجَّالِ كَـمْ مِـنْ جَاهِـلٍ رَاحَ يُلْـقِي نَفْـسَهُ فَـيْهَا فَطَاحَـا

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ[١] الدَّجَّالِ[٢]، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا[٣] إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ[٤]، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ[٥] كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ.**

---

(١) قِيلَ لَهُ: المَسِيحُ؛ لِأَنَّهُ يَمْسَحُ الأَرْضَ، أَوْ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ العَيْنِ أَعْوَرُهَا.

(٢) قِيلَ لَهُ: الدَّجَّالُ؛ لِأَنَّهُ مَطْمُوسُ العَيْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ: دَجَلَ الأَثَرُ: إِذَا انْمَحَى، وَقِيلَ: مِنْ دَجَلَ أَيْ: كَذَبَ.

(٣) أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ: لَجَئُوا إِلَيْهَا.

(٤) أَقْرُبُ السَّفِينَةِ: قَوَارِبُهَا الصِّغَارِ الَّتِي يَكُونُ مَعَ السَّفِينَةِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَالوَاحِدُ قَارِبٌ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ هَا هُنَا عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ.

(٥) أَهْلَبُ أَيْ: كَثِيرُ الشَّعْرِ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَهْلَبُ: إِذَا كَانَ شَعْرُ ذِرَاعِيْهِ غَلِيظًا.

فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟، فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ[١]، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟.

قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ[٢]،فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ.

قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ.

قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟.

قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟.

قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ.

فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟.

فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟، قَالَتْ: اعْمِدُوا[٣] إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[٤]، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ

(١) الْجَسَّاسَةُ: سُمِّيَتْ لِتَجَسُّسِهَا الأَخْبَارَ لِلدَّجَالِ عَمَّا يَحْدُثُ عِنْدَ النَّاسِ، وَجَاءَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: أَنَّهَا دَابَّةُ الأَرْضِ المُذْكُورَةُ فِي القُرْآنِ.

(٢) الدَّيْرِ -بِالفَتْحِ- القَصْرُ الكَبِيْر.

(٣) اعْمِدُوا -بِكَسْرِ المِيْمِ- أَي: اقْصِدُوا.

(٤) بَيْسَانَ-بِالفَتْحِ-: هِيَ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ شَمَالَ فِلَسْطِيْنَ.

شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟.

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ؟.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟، قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ؟، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ(١)، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟، قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟.

قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟، قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ.

قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ، فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ، وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا(٢) يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ(٣) مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

---

(١) زُغَرَ: هِيَ بَلْدَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الجَانِبِ القِبْلِيِّ مِنَ الشَّامِ.

(٢) صَلْتًا أَيْ: مُتَجَرَّدًا مَسْلُولًا مِنْ غَمْدِهِ، تَهَيَّئُوا لِلضَّرْبِ بِهِ.

(٣) النَّقْبُ -بِالفَتْحِ- الطَّرِيْقُ فِي الجَبَلِ، وَالجَمْعُ أَنْقَابٌ.

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ[١] **فِي الْمِنْبَرِ، هَذِهِ طَيْبَةُ،هَذِهِ طَيْبَةُ،هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ، أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟**».

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ.

قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

١٠- وَفْدُ حَضْرَ مَوْتَ:

سَتَسْمَعُ مَا تُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا التَقَتْ على حضر موتٍ جامحاتُ القصائدِ[٣]

عن سُويدِ بنِ حنظلةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجْنا نُريدُ رسولَ اللهِ ﷺ ومَعَنا وائلُ بنُ حِجرٍ، فَأَخَذَهُ عدوٌّ له فتحرَّجَ الناسُ أَنْ يَحْلِفوا، وَحَلَفْتُ أَنَّه أخي، فخلِّي عنه، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «**أنت كُنْتَ أبرَّهُم وأَصْدَقَهُمْ، صَدَقْتَ المُسْلِمُ**[٤] **أخو الْمُسْلِمِ**»[٥].

وعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْطَعَهُ أَرْضًا وَأَرْسَلَ مَعَهُ مُعَاوِيَةَ أَنْ أَعْطِهَا إِيَّاهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَرْدِفْنِي خَلْفَكَ قَالَ: لَا تَكُنْ مِنْ

---

(١) المِخْصَرَة -بالكَسْرِ-: عَصَا أَوْ قَضِيْبٌ كَانَتْ تَكُونُ مَعَ المَلِكِ إِذَا تَكَلَّمَ أَوْ الخَاطِبِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

(٣) «ديوان الفرزدق» (٣٦).

(٤) في المسندِ «صدقتَ، المسلمُ..».

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٧٩). وهو من طريقِ إسرائيلَ في أبي داودَ ٣/ ٢٢٤ (٣٢٥٦)، وابنِ ماجةَ ١/ ٦٨٥ (٢١١٩)، وصحَّحه الألبانيُّ. وصحَّحه الحاكمُ على شرطِ الشيخين ٢/ ٢٩٩، ووافقه الذهبيُّ.

أَرْدَافِ الْمُلُوكِ فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَكَ فَقَالَ: انْتَعِلْ ظِلَّ النَّاقَةِ فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ مُعَاوِيَةُ أَتَيْتُهُ فَأَقْعَدَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَذَكَرَ لِي الْحَدِيثَ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُهُ بين يَدَيَّ[١].

١١- وَفْدُ مَذْحَجَ:

نحن الرؤوسُ على منهاجِ أَوَّلِنا مَنْ يُسَوِّي الرَّأْسَ بالذَّنَبِ[٢]

قَدِمَ وَفْدُ مَذْحَجَ على الرسولِ ﷺ وكان فيهم هاني بنُ يزيدَ رضي الله عنه.

عَنِ ابْنِ هَانِئٍ: أَنَّ هَانِئًا لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ فَسَمِعَهُمْ يَكْنُونَ هَانِئًا أَبَا الْحَكَمِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هو الحَكَمْ وإِلَيْهِ الحُكْمُ**» قَالَ: قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَضُوا بِي حَكَمًا فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: «**إِنَّ ذَلِكَ لَحَسَنٌ فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟**» قَالَ: شَرَيْحٌ وَعَبْدُ اللهِ وَمُسْلِمٌ قَالَ: «**فَأَيُّهُمْ أَكْبَرُ؟**» قَالَ: شُرَيْحٌ قَالَ: «**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**» فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ فَلَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ الرُّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَرْضًا حَيْثُ أَحَبَّ فِي بِلَادِهِ قَالَ: أَبُو شُرَيْحٍ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِيَ الْجَنَّةَ قَالَ: «**طيبُ الكلامِ وَبَذْلُ السلامِ وإطعامُ الطعامِ**»[٣].

وُفُودٌ أَقْبَلَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ تَمُوجُ كَأَنَّهَا لُجَجُ البِحَارِ
سَلِمَتْ وَصَادَفَتْ خَيْرًا وَيُمْنًا رِكَابُكَ فِي رَوَاحٍ وَابْتِكَارِ

---

(١) أخرجه أحمدُ (٦/ ٣٩٩) وصحَّحهُ ابنُ حِبَّانَ ١٦/ ١٨٢ (٧٢٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في التعليقاتِ الحِسانِ على «صحيحِ ابنِ حِبَّانَ» (٧١٦١).

(٢) ديوان الطرماح (٥).

(٣) أخرجَهُ ابنُ حِبَّانَ (٥٠٤)، والحاكِمُ (٧٠)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصحيحةِ» (١٩٣٩) و«الإرواء» (٢٦١٥).

وَقَالَ آخَرُ:

ثُمَّ اِسْتَهَلَّتْ وُفُودُ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَى حِماهُ فَلاقَتْ وَافِرَ الكَرَمِ
فَكَانَ عَامَ وُفودٍ كُلَّما اِنْصَرَفَتْ عِصَابَةٌ أَقبَلَتْ أُخْرَى عَلَى قَدَمِ(١)

وقال آخَرُ:

فَمَنْ يَعْمَرُ الأوقات طُرًّا بِذكرهِ فليسَ نَصِيبٌ في الهدي كَنَصِيبهِ
نبي هدانا من ضلالٍ وحيرةٍ إلى مرقى سامي المحل خصيبه
فهل ينكر الملهوف فضل مجيره ويغمط شاكي الداء شكر طبيبه(٢)

وفاةُ أُمِّ كلثومٍ بنتِ رسولِ اللّه ﷺ

سقى أم كلثُومٍ على نأي دَارِها وَنِسْوَتَها جَوْنُ الحَيَا(٣) ثُمَّ باكرُ

توفِّيتْ أمُّ كلثومٍ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ في أواخرِ السنةِ التاسعةِ للهجرةِ.

عن أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصارِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ فَأَلْقَى حَقْوَهُ فَقَالَ: «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**»(٤).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، قَالَ: فَقَالَ: «**هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟**» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: فَانْزِلْ، قَالَ: فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا(٥).

---

(١) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِي»(١٩/ ٦٠٦).

(٢) نفح الطيب (٥/ ٤٥٦).

(٣) الحيا: المطر.

(٤) رواهُ البخاريُّ (١٢٥٣)، ومسلمٌ (٩٣٩).

(٥) رواه البخاريُّ (١٢٨٥).

حَجُّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِالنَّاسِ

فَلِلَّهِ صِدِّيْقُ النَّبِيِّ الَّذِي لَهُ ... فَضَائِلُ لَمْ يُدْرِكْ بَعْدٌ لَهَا حَدُّ
وَمَنْ كَانَ لِلمُخْتَارِ فِي الغَارِ ثَانِيًا ... وَجَادَ إِلَى أَنْ صَارَ لَيْسَ لَهُ وَجْدُ[(١)]

لَمْ يَحُجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، بَلِ اعْتَمَرَ مِنَ الجِعْرَانَةِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ، وَرَجَعَ إِلَى المَدِيْنَةِ.

وَقَدْ حَجَّ المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ مَعًا فِي العَامِ الثَّامِنِ، وَالَّذِي حَجَّ بِالمُسْلِمُونَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ أَمِيْرُ مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ التَّاسِعُ مِنَ الهِجْرَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيْقَ أَنْ يَحُجَّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ فِي ذِي الحِجَّةِ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ، نَزَلَتْ سُورَةِ (بَرَاءَةٌ)، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِصَدْرِ سُورَةُ (بَرَاءَةٌ)؛ لِيُعْلِنَهَا عَلَى النَّاسِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ العَاشِرُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَقَالَ: «**لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**».

فَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: أُخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةٍ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ

---

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩/ ٣).

رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَضْبَاءَ، حَتَّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قَالَ: أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟

فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَيَا.اهـ

فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْحَجِّ، الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ، قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ،

وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ»[1].

وَأَجَّلَ النَّاسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذَّنَ فِيهِمْ، لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ لَا عَهْدَ لِمُشْرِكٍ وَلَا ذِمَّةَ إِلَّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَى مُدَّةٍ، فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ. فَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. ثُمَّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَلَمْ يَكُنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِوَحْدِهِ، بَلْ كَانَ هُنَاكَ مُؤَذِّنُونَ آخَرُونَ، ثَبَّتَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمَجَامِعِ الْكَبِيرَةِ؛ يُعِينُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ، وَيُصِيحُونَ هُنَا وَهُنَاكَ: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**».

---

(١) (حَسَنٌ أَخْرَجَهُ ابْنِ هِشَامٍ فِي السِّيْرَةِ» (٢/ ٥٤٥)، وَهُوَ مُرْسَلٌ، لَكِنْ لَهُ شَوَاهِدُ يَتَقَوَّى بِهَا، ذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي «السِّيْرَةِ» (٤/ ٧٠-٧٢) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي حَاشِيَةِ «فِقْه السِّيْرَةِ» (٤٥٢).

فَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ، يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: «**لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ**»[1].

ولادةُ إبراهيمَ ابنِ رسولِ اللّه ﷺ

وأفاك إبراهيم طفل قد صفا معه السرور فطاب مورد ريه

في شَهْرِ ذي القَعْدةِ من السنةِ الثامنةِ للهجرةِ، وُلِدَ إبراهيمُ ابنُ رسولِ اللهِ ﷺ بالعاليةِ حَيْثُ أَنْزَلَ ﷺ أُمَّهُ ماريةَ القبطيةَ.

وكان ﷺ يَخْتَلِفُ إلى ماريةَ القبطية ويَطَؤُها بِمِلْكِ اليمينِ، ومع ذلك ضَرَبَ عليها الحِجَابَ.

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**وُلِدَ لِي الليلةَ غُلام، فسمَّيتُه باسمِ أبي إِبرهيمَ**»[2].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٩)، (٣١٧٧)، ومُسْلِمٌ (١٣٤٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣١٥).

بَعْثُ مُعَاذٍ وَأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى اليَمَنِ

بَــعَــثَ الرَّسُــولُ مُــعَلِّمًا وَمُهَذِّبًا ... يَبْنِــي الحَيَــاةَ جَــدِيْدَةً يَتَأَنَّــقُ(١)

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلَانِ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِتٌ، فَقَالَ: **«مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى»** - **أَوْ «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ؟»**.

قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ قَلَصَتْ، قَالَ: **«لَنْ نَسْتَعْمِلَ - أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ - عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى -أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ-»**، فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مُعَاذٌ، قَالَ: انْزِلْ، وَأَلْقَى لَهُ وِسَادَةً، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ، قَالَ: مَا هَذَا؟.

قَالَ: هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ رَاجَعَ دِينَهُ دِينَ السُّوءِ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: نَعَمْ اجْلِسْ، قَالَ: لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ قَضَاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ تَذَاكَرَا قِيَامَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ- أَوْ أَقُومُ وَأَنَامُ- وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا

---

(١) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٨٨٢).

أَرْجُو فِي قَوْمَتِي»[١].

أحيا بك الله أرواحًا قد اندثرت   في تُرْبَةِ الْوَهْمِ بَيْنَ الكأسِ والصَّنَمِ
نَفَضْتَ عنها غُبَارَ الذُّلِّ فاتَّقَدَتْ   وأبْدَعَتْ وَرَوتْ مَا قُلْتَ للأُمَمِ[٢]

موتُ إبراهيمَ ابنِ رسولِ اللّه ﷺ

لمَّا رُزِقْتَ بإبراهيمَ وامتلأَتْ به   حياتُكَ باتَ الأمرُ كالعَدَمِ

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبي سَيْفٍ الْقَيْنِ[٣]، وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[٤]، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّها رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، والْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ[٥].

وعَن أَنسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أحدًا أَرْحَمَ بالعيالِ من رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مَسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عوالي الْمَدِينَة، وَكَانَ ينْطَلقُ وَنحنُ مَعَه، فَيدْخُلُ الْبَيْتَ، وَإِنَّهُ ليدخنُ، وَكَانَ ظئرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخذُهُ فيُقَبِّلُهُ، ثمَّ يرجعُ. قَالَ عَمْرو: فَلَمَّا تُوفي إِبْرَاهِيمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إن إِبْرَاهِيمَ ابْني، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثدي، وَإِن لَهُ لظِئْرَين تُكْمِلانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ**»[٦].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٤٧)، ومُسْلِمٌ (١٩).

(٢) «موسوعة الشعر الإسلامي» (٧٥/ ٥٦٠).

(٣) الْقَيْنُ: الحدَّادُ.

(٤) الظِئْرُ: بِكَسْرِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَة بَعْدهَا همزَةٌ زَوْجُ الْمُرضعَةِ.

(٥) رواه البخاريُّ (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

(٦) رواه مسلم (٢٣١٦).

قال الحافظ: وُلِدَ في ذي الحجة سنة ثمانٍ، قال مصعب الزبيري: ومات سنة عشر، جزم به الواقديُّ، وقال: يوم الثلاثاءلِعَشْرٍ خَلَوْنَ من شهرِ ربيعٍ الأولِ[١].

قدومُ وَفْدِ بُجَيْلَةَ

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى ونعمت القبيلة

عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لجَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللهِ، ذَكَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ ذَكَرَكَ [آنِفًا] بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ- أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ- رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلَا إِنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ**[٢]»[٣].

قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللهَ عَلَى مَا أَبْلَانِي.

إسلامُ جريرٍ رضي الله عنه:

إذا نَشَرَ الْفَخْرُ أَحْسَابَهُ تبَسَّم عَنْهُنَّ عِرْقُ الثَّرى

أسلمُ جريرٌ رضي الله عنه وبايَعَ رسولَ اللهِ ﷺ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[٤].

وكان جريرًا رضي الله عنه أثيرًا عند رسولِ اللهِ ﷺ فعَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا

(١) الإصابةُ (١/ ١٠٥) وانظر: عيونَ الأَثَرِ (٢/ ٣٧٤).

(٢) أي: أَثَرٌ ظاهِرٌ منه وَجَمَالٌ.

(٣) أخرجَهُ أحمدُ (٤/ ٣٥٩) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في (٣١٩٣) وشيخُنا الوادعيُّ في «الصحيحِ المُسْنَدِ مِمَّا ليسَ في الصحيحين» (٢٢٧).

(٤) رواهُ البخاريُّ (٥٧).

حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي[(١)].

هَدْمُ ذي الخَلَصَةِ:

نسفوا بناءَ الشِّرْكِ، فهو خرائِبٌ واستأْصلوا الأصنامَ، فَهِيَ هَبَاءُ

ذي الخُلْصَةِ بيتٌ فيه صنمٌ باليمنِ لِدَوْسٍ، وَخَثْعَم، وبُجَيْلَةَ، ومن كان ببلادِهم من العربِ، وكان يُسَمَّى الكعبةَ اليمانيةَ.

فَعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟**» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى الكَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، قَالَ: وَكُنْتُ لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا**».

فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفُ أَوْ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ[(٢)].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٠٣٥)، ومسلمٌ (٢٤٧٥).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٣٠٢٠).

حنينُ الجِذْعِ إليه ﷺ

عُمِلَ مِنْبَرُ رسولِ اللهِ ﷺ فَخَطَبَ عليه، فحنَّ إليه الجِذْعُ.

أهـلُ السَّـماءِ وأهـلُ الأرضِ تَذْكُـرُهُ والجِـذعُ حَـنَّ لَـهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ

عَنْ جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إلى شَـجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «**إِنْ شِـئْتُمْ**»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِـعَ إِلـى الْمِنْبَـرِ، فَصَاحَـتْ النَّخْلَـةُ صِيَـاحَ الصَّبـيِّ، ثُـمَّ نَـزَلَ النَّبيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْـمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا[1].

أنـتَ الـذي حـنَّ الجمـادُ لِعَطْفِـهِ وشـكا لـك الحيـوانُ يـومَ رآكا
والجـذعُ يُسـمعُ بالحنيـنِ أنينُـه وبـكاؤُه شـوقًا إلـى لُقيـاكا
مـاذا يزيـدُك مَدْحُنـا وثناؤنـا واللـهُ بالقـرآنِ قـد زكَّاكا

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٥٨٤).

بَعْثُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى اليَمَنِ

ثُغُورُ النَّصْرِ بَاسِمَةٌ إِذَا مَا تَجَهَّزَ جَحْفَلٌ، وَتَلاهُ بَعْثُ[1]

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْفُلَ[2] خَالِدًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلاَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلْيُعَقِّبْ[3] مَعَهُ.

قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا فَصَلَّى بِنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا[4]، فَكَتَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ خَرَّ[5] سَاجِدًا، ثُمَّ

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٨٧/ ٢٩٧).

(٢) أَقْفَلَهُ: أَرْجَعَهُ.

(٣) التَّعْقِيْبُ: أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا ثُمَّ تَعُودَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً.

(٤) هَمْدَانُ: مِنْ أُمَّهَاتِ القَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ، وَمِنْ أَشَدِّهَا بَأْسًا، وَمِمَّنْ سَارَعَتْ إِلَى الإِسْلامِ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرْتَدَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَدْ فَشَا فِيهِمْ الإِسْلامُ قَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ،وَ هَمْدَانُ هِيَ قَبَائِلُ بَكِيلٍ وَحَاشِدٍ جَمِيْعُهَا، وَيُضْرَبُ بِهَا المَثَلُ فِي الأَخْلاقِ وَالمُرُوءَةِ، وَالنَّجْدَةِ وَالغَيْرَةِ الشَّدِيْدَةِ عَلَى الأَعْرَاضِ وَالدِّمَاءِ حَتَّى يَوْمَ النَّاسِ هَذَا.

(٥) خَرَّ: سَقَطَ، وَبَابُهُ ضَرَبَ وَدَخَلَ.

رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ**»[١].

لِهَمْدَانَ أَخْلَاقٌ، وَدِينٌ يُزِينُهُمْ ... وَأُنْسٌ- إِذَا لَاقَوْا - وَحُسْنُ كَلامِ

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ ... لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامِ[٢]

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ (٢/ ٣٦٩)، وَأَخْرَجَ صَدْرَهُ البُخَارِيُّ (٤٣٤٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الإِرْوَاءِ» (٤٧٤).

(٢) «دَوَاوِينُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١١/ ٢٠٦).

حَجَّةُ الوَدَاعِ

عَلَـيْكَ سَـلاَمُ اللـهِ مَـا حَـجَّ مُحْـرِمٌ وَهَلَّـلَ فِـي تِلْـكَ البِقَـاعِ وَكَبَّـرَا[1]

١- سَبَبُ تَسْمِيَةِ هَذِهِ الحَجَّةَ بِحَجَّةِ الوَدَاعِ:

كَانَتْ حَجَّةُ الوَدَاعِ فِي العَامِ العَاشِرِ مِنَ الهِجْرَةِ، وَسُمِّيَتْ حَجَّةَ الوَدَاعِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ النَّاسَ فِيهَا، وَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا.

فَعَنْ ابْـنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: «كُنَّـا نَتَحَـدَّثُ بِحَجَّـةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا،وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ»[2].

وَفِـي رِوَايَـةٍ عَنْـهُ قَـالَ: «وَقَـفَ النَّبِـيُّ ﷺ يَـوْمَ النَّحْـرِ بَيْـنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا، وَقَالَ: **هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ**»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اشْهَدْ**»، وَوَدَّعَ النَّاسَ؛ فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ[3].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ: (وَلَا نَدْرِي مَا حِجَّةُ الْوَدَاعِ) كَأَنَّهُ شَيْءٌ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَحَدَّثُوا بِهِ وَمَا فَهِمُوا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَدَاعِ وَدَاعُ النَّبِيِّ ﷺ،حَتَّى وَقَعَتْ وَفَاتُهُ ﷺ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ، فَعَرَفُوا الْمُرَادَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ وَدَّعَ النَّاسَ بِالْوَصِيَّةِ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا أَنْ لَا يَرْجِعُوا بَعْدَهُ كُفَّارًا، وَأَكَّدَ التَّوْدِيعَ بِإِشْهَادِ اللهِ -تَعَالَى - عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ شَهِدُوا

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ١٩٩).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٠٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦٥٥).

أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِهِ، فَعَرَفُوا حِينَئِذٍ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِمْ: حِجَّةُ الْوَدَاعِ(١).

٢- وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ:

مَعَالِمُ شَيَّدَهُنَّ الخَلِيْلُ وَأَذَّنَ بِالحَجِّ فِيْهَا مُشِيْدا(٢)

لَمَّا عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الحَجِّ، أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِهِ، فَتَجَهَّزُوا لِلخُرُوجِ، يُرِيْدُونَ الحَجَّ مَعَهُ ﷺ.

قَالَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ»(٣).

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ يَا سَعْدَ مَنْ حَجُّوا مَعَكْ
يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ رُوْ حِي وَدَمِي لِأَمْنَعَكْ
يَا سَعْدَ مَنْ أَصْغَى إِلَيْـ كَ مُنْصِتًا كَيْ يَسْمَعَكْ
يَا فَخْرَ مَنْ أَحْنَى إِلَيْـ كَ ظَهْرَهُ لِيَرْفَعَكْ
يَا عِزَّ مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقَيْهِ حَتَّى يَتْبَعَكْ(٤)

٣- فَضْلُ حِجَّةِ الْوَدَاعِ:

لَقَدْ سَعِدَ الحُجَّاجُ إِذْ كُنْتَ فِيْهِمُ وَحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَسْعَدُوا وَيُوَفَّقُوا(٥)

كَانَتْ حِجَّةُ الْوَدَاعِ أَعْظَمَ حَجَّةٍ فِي التَّارِيْخِ وَأَفْضَلَهَا؛ لِأَنَّ فِيْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ إِمَامُهُمْ.

---

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٨/ ١٠٧).

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٤١/ ٤٧٢).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٩).

(٤) قَالَهُ أُسْتَاذُنا – حَفِظَهُ اللهُ–.

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٣٣/ ٢٩٢).

وَقَدْ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا شَعَائِرَ اللهِ ﷻ، وَعَظَّمَ حُرُمَاتِهِ، وَصَدَعَ بِدِينِهِ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَنَاسِكَهُمْ، وَخَطَبَ يُنْذِرُهُمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ.

وَحَجَّةٌ أَنْتَ فِيهَا لاَ يُقَاسُ بِهَا ... طُولَ الْمَدَى حِجَّةٌ مِنْ مَنْشَإِ الحَرَمِ
سُنِّيَّةٌ خَطَوُهَا، نُورٌ مَسَالِكُهَا ... عَلَمٌ مَنَاسِكُهَا، مَوْفُورَةُ النِّعَمِ[١]

٤- الخُرُوجُ إِلَى الحَجِّ:

رَأَى الحُجَّاجُ يَوْمَ حَجَجْتَ بَدْرًا ... وَبَحْرًا لَنْ يُغَامَ، وَلَنْ يُجَازَا[٢]

صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ يَوْمَ الخَمِيسِ، لِستٍّ بَقِيْنَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، مِنْ سَنَةِ عَشْرٍ بِالمَدِيْنَةِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَمَنْ تَجَمَّعَ مِنَ الأَعْرَابِ، فَصَلَّى العَصْرَ بِذِي الحُلَيْفَةِ (هُوَ مِيقَاتُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَيُعْتَبَرُ جُزْءًا مِنْ وَادِي العَقِيْقِ) وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ رَبِّهِ ﷻ وَهُوَ فِي وَادِي العَقِيْقِ، يَأْمُرُهُ رَبُّهُ أَنْ يَقُولَ فِي حَجَّتِهِ هٰذِهِ: «**حَجَّةٌ فِي عُمْرَةٍ**»[٣].

فَأَصْبَحَ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ[٤]، وَسَاقَ الهَدْيَ مِنْ ذِي الحُلَيْفَةِ، وَأَمَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يُهِلَّ كَمَا أَهَلَّ ﷺ، وَسَارَ ﷺ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلْفَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ أُمَمًا، لاَ يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، كُلُّهُمْ قَدِمَ؛ لِيَأْتَمَّ بِهِ ﷺ.

إذا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا ... كَفَى لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاكَ حَادِيَا[٥]

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا – حَفِظَهُ الله–.

(٢) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٥/ ٤٠).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٣٤).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧)، ومُسْلِمٌ (١١٩٢).

(٥) زَهْرَةُ الأَدبِ (٢/ ٥٥١).

فَلَمَّا قَدِمَ ﷺ مَكَّةَ، طَافَ لِلقُدُومِ، ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ، وَأَمَرَ الَّذِيْنَ لَمْ يَسُوقُوا هَدْيًا أَنْ يَفْسَخُوا حَجَّهُمْ إِلَى عُمْرَةٍ، وَيَتَحَلَّلُوا حِلًّا تَامًّا، ثُمَّ يُهِلُّوا بِالحَجِّ وَقْتَ خُرُوجِهِمْ إِلَى مِنًى، وَقَالَ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً»[١].

وَقَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ اليَمَنِ هَدْيًا، فَأَشْرَكَهُ ﷺ فِي هَدْيِهِ، وَكَانَ حَاصِلُهَا مِائَةَ بَدَنَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ ﷺ إِلَى مِنًى، فَبَاتَ بِهَا، وَكَانَتْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، التَّاسِعَ مِنْ ذِي الحجَّةِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَسَارَ إِلَى عَرَفَةَ، وَخَطَبَ بِنَمِرَةَ خُطْبَةً عَظِيْمَةً، شَهِدَهَا مِنَ أَصْحَابِهِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِيْنَ أَلْفًا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ - وَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ، ثُمَّ وَقَفَ بِعَرَفَةَ، ثُمَّ بَاتَ بِالمُزْدَلِفَةِ، وَجَمَعَ بَيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ لَيْلَتَئِذٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَصَلَّى الفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا.

ثُمَّ سَارَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى مِنًى، فَرَمَى جَمْرَةِ العَقَبَةِ، وَنَحَرَ وَحَلَقَ، ثُمَّ أَفَاضَ، فَطَافَ بِالبَيْتِ طَوَافَ الفَرْضِ، وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَخَطَبَ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ خُطْبَةً عَظِيْمَةً، وَوَصَّى وَحَذَّرَ وَأَنْذَرَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ.

فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، ﷺ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ ﷺ مُنْصَرِفًا إِلَى المَدِيْنَةِ، وَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ لَهُ دِيْنَهُ[٢].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥٦٨)، ومُسْلِمٌ (١٢١٨).

(٢) انْظُرْ: «الفُصُولُ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ» لابْنِ كَثِيرٍ (٢٥٤-٢٥٩) بِاخْتِصَارٍ شَدِيْدٍ.

غَسَلَ الكَرَى[١] عَنْ أَعْيُنِ الدُّنْيَا كَمَا ... يُجْلَى الدُّجَى بِالفَجْرِ فِي فَلَقَاتِهِ

وَأَنَارَ بِالآيَاتِ كُلَّ بَصِيْرَةٍ ... فَكَأَنَّ نُورَ الشَّمْسِ مِنْ قَسِمَاتِهِ[٢]

وَاقْتَادَ لِلْجَنَّاتِ أَسْمَى مَوْكِبٍ ... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَمْتَمَاتُ حُدَاتِهِ[٣][٤]

---

(١) الكَرَى: النُّعَاسَ.

(٢) القَسَمَات: مَلَامِحُ الوَجْهِ، وَاحِدُهَا: قَسِمَةٌ - بِكَسْرِ السِّيْنِ -.

(٣) الحُدَاة: جَمْعُ حَادٍ، والحُدَاءُ: هُوَ رَجَزُ الحَادِي خلْفَ الإِبِلِ (الرَّجَزُ: ضَرْبٌ مِنَ الشِّعْرِ).

(٤) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٣/ ٥٦٠).

مَرَضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتُهُ

وَنَـقُـولُ لِلـهِ المُهَيْمِـنِ حِكْمَـةٌ   فِـي مَرْضَـةٍ حَـصَلَتْ بِـهِ مَرْضَاتُـهُ

بَعْـدَ أَنْ تَكامَلَـتِ الدَّعْـوَةُ، وَبَلَّـغَ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ البَـلاغَ المُبِيْنَ، أَخَذَتْ طَلائِعُ التَّوْدِيْعِ لِلحَيَاةِ تَلُوحُ فِي الآفَاقِ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١- نَعْيُ[1] اللّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ إِلَى نَفْسِهِ:

وَلَـمَّا أَنْ نَعَـى النَّاعِـي نَبِيَّنَـا   حَسِبْـتُ سَمَاءَهُمْ دُهِيَـتْ بِلَيْـلِ[2]

قَـالَ اللـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النَّصْرُ: ١-٣].

عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: كَانَ عُمَـرُ بْـنُ الْخَطَّـابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْنِينِـي، فَقَالَ لَـهُ عَبْـدُ الرَّحْمَـنِ بْـنُ عَـوْفٍ: إِنَّ لَنَـا أَبْنَـاءً مِثْلَـهُ، فَقَـالَ: إِنَّـهُ مِـنْ حَيْـثُ تَعْلَمُ، فَسَـأَلَ عُمَـرُ ابْـنَ عَبَّـاسٍ عَـنْ هَـذِهِ الْآيَـةِ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فَقَـالَ: أَجَـلُ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ أَعْلَمَـهُ إِيَّـاهُ، فَقَـالَ: مَـا أَعْلَـمُ مِنْهَـا إِلَّا مَـا تَعْلَمُ»[3].

---

(١) النَّعْيُ: الإِعْلامُ بِخَبَرِ المَيِّتِ.

(٢) «الأَغَانِي» (١٢-٢٣٤)، وَدُهِيَتْ بِلَيْلٍ أَيْ: أَظْلَمَتْ نَهارًا، كَأَنَّ لَيْلًا دَهَاهَا.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٢٧).

٢- نَعْيُ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى النَّاسِ:

فَـقَـدْ نَعَـى مِـلْءَ أَفْـوَاهٍ وَأَفْئِـدَةٍ   وَقَـدْ نَعَى مِـلْءَ أَبْصَـارٍ وَأَسْـمَاعِ[١]

عَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»[٢].

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ**»[٣].

٣- ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ ﷺ:

تَفْدِيْـكَ رُوْحِـي وَأُمِّـي فِـي الوَرَى وَأَبِي   فَـإِنَّمَا أَنْـتَ خَيْـرُ الْمُنْجِبِيْـنَ أَبَـا[٤]

عَـنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَـتْ: «رَجَـعَ إِلَـيَّ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ ذَاتَ يَـوْمٍ مِـنْ جِنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، فَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسَاهُ.

قَالَ: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ**».

«**قَـالَ: وَمَـا ضَـرَّكِ لَـوْ مِـتِّ قَبْلِـي، فَغَسَّـلْتُكِ وَكَفَّنْتُـكِ، وَصَلَّيْـتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ؟**».

قَالَتْ: لَكَأَنِّي بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ.

---

(١) «دِيْوَانُ ابْنِ رَشِيْقٍ» (٥٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٢٩٧).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨).

(٤) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ٢٧٧).

قَالَتْ: «**فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ**»[١].

٤- خُطْبَتُهُ ﷺ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ:

ماذا الوداع الوافق الكمد هذا الوداعُ وداعُ الرَّوحِ للجَسَدِ

خَطَبَ ﷺ قبلَ وفاتِهِ بخَمْسَةِ أيامٍ:

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لمَّا ثَقُلَ رسولُ اللهِ واشتدَّ وجَعُهُ، اسْتأْذَنَ أزواجَهُ في أَنْ يمرَّضَ في بيتي، فَأَذِنَّ له، فخرجَ وهو بين رجُلينِ تَخُطُّ رِجلاه في الأرضِ بينَ عَبَّاسَ وَرَجُلٍ آخرَ، قال ابنُ عبَّاسٍ هو عليٌّ قالَتْ: ولمَّا دَخَلَ بيتي، واشتدَّ وَجَعُهُ قال: «**أَهْرِيقُوا عليَّ مِنْ سبعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أوكيتُهُنَّ، لعلِّي أعهدُ إلى النَّاسِ**» فأَجْلَسْناه في مخضبٍ لِحَفْصَةَ، ثمَّ طَفِقْنا نَصُبُّ عليه من تلك القِرَبِ، حتى طَفِقَ يُشيرُ إلينا بيدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، ثمَّ خرجَ إلى النَّاسِ فصلَّى بهم وخَطَبَهُمْ»[٢].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَا خْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاتَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ إِلا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**»[٣].

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٣٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الإِرْوَاءِ» (٧٠٠).

(٢) البخاريُّ (١٩٨)، ومسلمٌ (٤١٨).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٤٦٦)، ومسلمٌ (٢٣٨٢).

وعَن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَعدَ النَّبي ﷺ الْمِنْبَرَ، وَلم يَصْعَدهُ بعد ذَلِك الْيَوْم، فَحَمدَ اللهُ وَأثْنى عَلَيْهِ، ثمَّ قَالَ: أوصيكم بالأنصارِ، فَإِنَّهُم كرشي وعيبتي، وَقد قَضَوا الَّذِي عَلَيْهِم، وَبَقِي الَّذِي لَهُم، فاقْبلوا من مُحْسِنِهم، وتجاوَزُوا عَن مُسِيئِهم»[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُتَعَطِفًا بِهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْمَاءُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلَيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**»[2].

ثم ذَكَرَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَقَالَ: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيّ بَعْدَهُ»[3].

٥- إخبارُهُ ﷺ أنَّ المنافقين سيخرجون على عُثْمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ومَنْ كعثمانَ ذي النورين في كرمٍ   يجهِّزُ الجيشَ يعطي مالَهُ غَدَقَا

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فجاءَ فخلا به، فجعل يُكَلِّمُهُ وَوَجْهُ عثمانَ يَتَغَيَّرُ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٧٩٩).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٣٨٠٠).

(٣) رواهُ البخاريُّ (٣٧٣٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَلَمَّا رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَتْ إِحْدَانَا عَلَى الأُخْرَى. فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلامٍ كَلَّمَهُ أَنْ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ. وَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ ﷻ عَسَى أَنْ يُلْبسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي. يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي. ثَلاثًا[١].

٦- هَمُّ النبيِّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ الكتابَ:

قالـوا كتبـتَ فمـل يُكتَـبْ فواحزنـي   إن كان يمنعُـه أن يكتـبَ الوَجَـعُ

في يـومِ الخميـسِ قبـلَ وفاتِـهِ ﷺ بأربعـةِ أيـامٍ، هـمَّ ﷺ أن يَكْتُـبَ كتابًا لا تَضِلُّ الأمةُ بَعْدَهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ: «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ**».

قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا، فاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ قَـالَ: «**قُومُـوا عَنِّـي وَلا يَنْبَغِـي عِنْـدِي التَّنَازُعُ**». فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ[٢].

٧- وصيةُ النبيِّ ﷺ:

واقبـلْ وصيـة مشـفِقٍ متـودِّدٍ   واسـمعْ بفهـمٍ حاضـرٍ يقظـانِ[٣]

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «اشْـتَدَّ الوجَعُ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ وَأَوْصَى عِنْد

(١) أخرجَـهُ أحمـد (٦/ ٨٦)، وقـال شـيخُنا الوادعـيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيـحِ المسـندِ مِمَّـا ليـس في الصحيحين» (٢٣١٩) صحيحٌ على شَرْطِ مسلمٍ.

(٢) رواهُ البخاريُّ (١١٤).

(٣) ديوانُ ابنِ مشرفٍ (٢٥٠).

مَوتِهِ بثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكين من جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وأَجِيزوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهم. وَنَسِيْتُ الثَّالِثةَ»(١).

٨- تحذيرُ النبيِّ ﷺ من اتِّخاذِ قَبْرِهِ مَسْجِدًا:

قد حذر المختار عن كل بدعة وقام بذا فَوْق الْمَنَابِرِ يَخْطُبُ

حَذَّرَ النبيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يُتَّخَذَ قبرُهُ مَسْجِدًا، وأخبرَهم أن شرارَ الناسِ الذين يَتَّخِذون قبورَ أنبيائِهم مساجِدَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». قَالَتْ: وَلَوْلا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا(٣).

٩- إنفاقُ النبيِّ ﷺ ما عندَهُ:

أَنْفِقْ ولا تَخْشَ من ذي العَرْشِ إقْلالا ولا تُطِعْ في سبيلِ الجُوْدِ عُذَّالا(٤)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**يا عائشة! ما فَعَلتِ الذَّهَبُ؟**» قَالَتْ: قُلْتُ: هِيَ عِنْدِي قَالَ: «**فَأْتِينِي بِهَا**» وَهِيَ بَيْنَ السَّبْعَةِ وَالْخَمْسَةِ- فَجِئْتُ فَوَضَعْتُهَا فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ باللهِ**

(١) رواهُ البخاريُّ (٤٤٣١).

(٢) أخرجهُ أحمدُ (٢/ ٢٤٦)، وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «أحكامِ الجنائزِ» [ص: ٢١٦]. وحَسَّنَهُ شيخُنا الوادعيُّ رَحِمَهُ اللهُ في الصحيحِ المُسْنَدِ (١٤٤٣).

(٣) رواهُ البخاريُّ (١٣٣).

(٤) ديوانُ ابنِ مُشَرَّفٍ (١٩١).

لَوْ لَقِيَ اللهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ! أَنْفِقِيهَا»[١].

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ خَتَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا وَلا عَبْدًا وَلا أَمَةً وَلا شَيْئًا، إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً»[٢].

لم يَقْتَطِفْ زهرةَ الدنيا وزينَتَها   بَلْ مالَ عَنْها ولاحَتْ روضَةُ أَنفَا
هو الكريمُ الذي ما ردَّ سائِلَهُ   ما شكَّ شَخْصانِ في هذا ولا اخْتَلَفَا

١٠- رجوعُ جيشِ أسامةَ من الجُرْفِ[٣]:

كفى حَزَنًا أَنْ لا أطيق وداعَكم   ولا لي إلى حُسْنِ العزاءِ سبيلُ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَبَطْتُ، وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَصْمَتَ فَلَا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ يَصُبُّهَا عَلَيَّ، أَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي[٤].

---

(١) أخرجَهُ أحمدُ (٦/ ١٠٤)، وقال الألبانيُّ في «التعليقِ الرغيبِ» (٢/ ٤٢)، «الصحيحةُ» (١٠١٤)، حَسَنٌ صحيحٌ وصحَّحَهُ شيخُنا الوادعيُّ في «الصحيحِ المُسْنَدِ» (٢٢١٦).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٢٧٣٩).

(٣) الجُرْفُ - بالضمِّ ثُمَّ السكونِ- ما تَجَرَّفَتْهُ السيولُ فَأَكَلَتْهُ من الأرضِ، وهو مَوْضِعٌ على ثلاثةِ أميالٍ من المدينةِ، به كانتْ أموالٌ لِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولأهلِ المدينةِ. وقِيلَ: سمِّيَ الجُرْفَ؛ لأنَّ تُبعًا مرَّ به، فقال: جَرْفُ الأرضِ، وكان يُسَمَّى: العرضَ، وكان الجُرْفُ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ بمثابةِ معسكرٍ للجيوشِ النبويةِ. والجُرفُ اليومَ من أحياءِ المدينةِ الشماليةِ الكبيرةِ، يمتَدُّ من مزارعِ العيونِ شرقًا، حتَّى طريقِ المدينةِ تبوكَ غربًا.

(٤) أخرجَهُ أحمدُ (٥/ ٢٠١) حَسَّنَهُ الألبانيُّ في تعليقِهِ على «المِشْكاةِ» (٦١٧٥)، وحَسَّنَهُ شيخُنا الوادعيُّ في «الصحيحِ المسندِ مِمَّا ليسَ في الصحيحين» (١٧).

١١- ثِقَلُ الوَجَعِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ:

لَــوْ كَــانَ يَــبْغِي الفِدَاءَ قُلْتُ لَـهُ   هَــا أَنَــا دُوْنَ الحَبِيْـبِ يَـا وَجَـعُ[١]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، تَخُطُّ[٢] رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ.

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَ مَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ، قَالَ: «**هَرِيقُوا**[٣] **عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ**[٤]**، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ**».

فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ[٥] لِحَفْصَةَ، ثُمَّ طَفِقْنَا[٦] نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ القِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا «**أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ**».

---

(١) «دِيْوَانُ المَعَانِي» (١٦٦).

(٢) تَخُطُّ: يَمشِي مُتَثَاقِلًا، تُؤَثِّرُ رِجْلَاهُ فِي الأَرْضِ، كَأَنَّهَا تَخُطُّ خطًّا، إِخْبَارٌ عَنْ مَبْلَغِ ضَعْفِ قُوَاهُ، وَأَنَّ رِجْلَيْهِ لَمْ تُقِلَّهُ، بَلْ كَانَ يَجُرُّهُمَا بِالأَرْضِ.

(٣) هَرِيقُوا: صُبُّوا.

(٤) أَوْكِيَتُهُنَّ: جَمْعُ وِكَاءٍ -بِالكَسْرِ-، وَهُوَ مَا يُرْبَطُ بِهِ فَمُ القِرْبَةِ، وَالغَرَضُ مِنْ أَنَّهَا لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ المُبَالَغَةُ فِي كَوْنِهَا طَاهِرَةً.

(٥) المِخْضَب -بِالكَسْرِ- إِنَاءٌ وَاسِعٌ تُغْسَلُ فِيهِ الثِّيَابُ.

(٦) طَفِقْنَا: شَرَعْنَا.

قُلْتُ: «ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ، وَخَطَبَهُمْ ...»[١].

إِقْـرَأْ مَعَـانِي الوَحْـيِ فِي كَلِمَاتِـهِ   فِـي نُسْكِـهِ، وَحَيَـاتِهِ، وَمَمَاتِـهِ
لَـوْ نُظِّـمَتْ كُلُّ النُّجُـومِ مَدَائِحًـا   كَانَـتْ قَـلَائِدُهُنَّ بَعْـضَ صِفَاتِـهِ[٢]

١٢- أَمْرُهُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ:

وَقَـامَ مِـنْ بَـعْدِهِ الصِّدِّيْـقُ مُقْتَدِيًـا   بِهَدْيِـهِ تَابِـعًا لِلحَـقِّ إِذْ خَلَفَـا[٣]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[٤]، وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُومُ مَقَامَكَ لا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ.

فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**»، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُومُ مَقَامَكَ لا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قَالَ: «**إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**[٥]**، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**».

فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلاةِ، وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَقَامَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٤٢)، واللَّفْظُ لَهُ، ومُسْلِمٌ (٤١٨).

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٤/ ١٠٢٤).

(٣) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٩٠/ ٣٦).

(٤) أَسِيْف: رَقِيْقُ القَلْبِ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكَاءُ.

(٥) صَوَاحِبُ يُوسُفَ: هُنَّ امْرَأَةُ العَزِيْزِ وَمِنْ مَعَهَا، فَقَدْ أَدْخَلَتِ امْرَأَةُ العَزِيْزِ النِّسَاءَ دَارَهَا، وَأَكْرَمَتْهُنَّ، وَلَمْ تَقْصِدْ إِكْرَامَهُنَّ، بَلْ قَصَدَتْ أَنْ يَرَيْنَ يُوسُفَ؛ فَيَعْذُرْنَهَا فِي افْتِتَانِهَا بِجَمَالِهِ، فَأَظْهَرَتْ شَيْئًا، وَأَبْطَنَتْ غَيْرَهُ، فَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، اعْتَذَرَتْ بِأَنَّ أَبَاهَا رَجُلٌ أَسِيْفٌ، وَهِيَ لاَ تَقْصِدُ هَذَا، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ أَلَّا يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَبِيْهَا، فَيَمُوتُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ قَدْ صَلَّى بِالنَّاسِ، لَكِنْ مَا أَرَادَهُ اللهُ شَيْءٌ أَعْظَمُ، فَقَدْ كَانَتْ صَلَاةُ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ هِيَ مِنْ أَكْبَرِ التَّمْهِيْدِ لِأَنْ يَكُونَ خَلِيْفَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأُمَّةِ.

يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ[١]، وَرِجْلاهُ يَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ»[٢].

١٣- نَظْرَةُ الوَدَاعِ:

مَاذَا الوَدَاعُ وَدَاعُ الوَامِقِ[٣] الكَمِدِ[٤] هَذَا الوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلجَسَدِ[٥]

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ[٦]، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاَةِ «**فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ**»[٧].

يَا مَنْ بَنَى لِلْكَوْنِ أَكْرَمَ أُمَّةٍ مِنْ عِلْمِهِ، مِنْ حِلْمِهِ، وَأَنَاتِهِ[٨]

(١) يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ: أَيْ: كَانَ يَمْشِي بَيْنَهُمَا، يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا مِنْ ضَعْفِهِ وَتَمَايُلِهِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١٣)، ومُسْلِمٌ (٤١٨).

(٣) الوَامِق: المُحِبُّ.

(٤) الكَمِد: المَغْمُوم.

(٥) «دِيوَانُ المُتَنَبِّي» (٥٠).

(٦) أَيْ: في الجَمَالِ البَارِعِ، وَحُسْنِ البَشَرَةِ، وَصَفَاءِ الوَجْهِ وَاسْتِنَارَتِهِ.

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٨٠)، ومُسْلِمٌ (١٤٩).

(٨) الأَنَاة: الحِلْمَ وَضَبْطُ النَّفْسِ.

صَـــارُوا مُـلُـوكًـا لِلْأَنَـامِ بُعَيْـدَ أَنْ ... كَـانُوا رِعَـاءَ الشَّـاءِ فِـي فَلَواتِـهِ[١][٢]

١٤- احتضارُ النبيِّ ﷺ:

تفيـضُ كفـاهُ مـن فواضِلِـهِ ... ومشـرقُ الوجـهِ حيـن يُحْتَضَـرُ[٣]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبي ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، (يغطي ما اشتدَّ به المرضُ) فَقَالَت فَاطِمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «**لَيْسَ عَلَى أَبيكِ كربٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**» فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِردَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهْ إِلى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُم أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ[٤].

صَبَـرْتَ وَبَلَّغْـتَ الرسـالةَ صادقًـا ... وقُمْـتَ صليـبَ الديـنِ أَبْلَـجَ صافيَـا

فلـو أَنَّ ربَّ النَّـاسِ أبقـاك بيننـا ... سُـعِدْنا ولكـن أَمْـرُهُ كان ماضِيَـا

١٥- بَلِ الرَّفِيْقُ الأَعْلَى:

لَـهُ السُّـؤْدَدُ الأَعْلَـى عَلَـى كُلِّ سُـؤْدَدٍ ... وَمَـا بَعْـدَ ذَاكَ الفَخْـرِ فَخْـرٌ وَسُـؤْدَدُ[٥]

عَـنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَـتْ: كَانَ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُـولُ وَهُـوَ صَحِيـحٌ: «**إِنَّـهُ لَـمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ ثُمَّ يُخَيَّرَ**».

فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**».

(١) الفَلَوَات: جَمْعث فَلاةٍ، وَهِيَ الصَّحَرَاء.

(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلاَمِيِّ» (٧٤/ ١٠٢٤).

(٣) ديوانُ بَشَّارَ (٧٤٩)

(٤) رواه البخاريُّ (٤٤٦٢).

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٣/ ١٥٧).

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَوْلَهُ: «**اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى**»[1].

وَإِذَا لِقَاءُ اللهِ يَأْسِرُ فِي رِضَا ... وَتَشَوُّقٍ مَنْ كَانَ عَبْدَ حِصَاتِهِ
وَرَأَى جِنَانَ الْخُلْدِ حَقًّا فَازْدَرَى ... دُنْيَاهُ وَاسْتَعَلَى عَلَى لَذَّاتِهِ
فَتَأَلَّقِي -يَا نَفْسُ- فِي نَفَحَاتِهِ ... وَاسْتَشْرِ فِي الغَايَاتِ مِنْ غَايَاتِهِ[2]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللهُ-:

قَضَى حَيَاةَ الضَّنَى شَوْقًا لِخَالِقِهِ ... حَتَّى أَتَى الوَعْدُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ
تَشْتَاقُهُ الخُلْدُ والفِرْدَوْسُ نَاظِرَةٌ ... والحُورُ فِي عُرْسِهَا مَوْفُورَةُ العَدَدِ

١٦- اليومُ الذي مات فيه النبيُّ ﷺ:

بأبي وأمي مَنْ شهدتُ وفاتَهُ ... في يومِ الاثنينِ النبيُّ المهتدي

توفِّي النبيُّ ﷺ حين اشتدَّ الضُّحَى من يومِ الاثنينِ الثاني عَشَرَ من ربيع الأولِ من السنةِ الحاديةِ عشرةَ للهجرةِ بِاتِّفاقِ المُحَدِّثينَ.

وَرَدَ في ذلك النصِّ الصريحِ الصحيحِ عن أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه أنه قال لِابْنَتِهِ عائشةَ رضي الله عنها: (فِي أَيِّ يَوْم تُوُفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: يَوْمَ الاثْنَيْنِ)[3].

أرى ضحوةَ الإثنينِ يومَ تقطَّعَتْ ... قُوَى عزةٍ ما خِلْتُها أَنْ تَقَطَّعا
ففاضتْ دموعٌ لَا تقومُ بحقِّهِ ... وَلَوْ نَزَحَتْ أَمْوَاهَ دِجْلَةَ أَجْمَعا[4]

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٦٣)، ومُسْلِمٌ (٢٤٤٤).
(٢) «مَوْسُوعَةُ الشِّعْرِ الإِسْلَامِيِّ» (٧٤/ ١٠٢٤).
(٣) رواه البخاريُّ (١٣٨٧).
(٤) ديوانُ ابنِ حيوسَ (٧٣٨).

١٧- ماتَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثلَاثٍ وَسِتِّينَ:

ومـا العمـرُ إلا كالبنـاءِ فـإنْ يَـزِدْ على حَـدِّهِ فهـو الرفيـعُ المشـيَّدُ

بُعِثَ رسـولُ اللهِ ﷺ وهو ابنُ أربعين سَـنَةً، فَمَكَثَ في مَكَّةَ ثلاثَ عَشْـرَةَ سنةٍ، وبالمدينةِ عَشْرَ سِنين، ثم قَبَضَهُ اللهُ إليه وقد تَمَّ له ثلاثٌ وسِتونَ سنةً ﷺ.

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بُعِثَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَـنَةً، فَمَكُـثَ بِمَكَّـةَ ثَـلَاثَ عَشْـرَةَ سَـنَةً يُوحَـى إِلَيْـهِ، ثُـمَّ أُمِـرَ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْـرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ[١].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (قُبِضَ النبيُّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وقُبِضَ أبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين، وقُبِضَ عُمَرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ)[٢].

١٨- اليوم الذي دُفِنَ فيه النبيِّ ﷺ:

دَفَنُـوكَ وانقلبـوا بأعظـمِ حيـرةٍ فكأنمـا دفنـوا الكتـابَ المحْكَمَـا

دُفِنَ ليلةَ الأربعاءِ، وهو الذي عليه الأكثرون، واستَدَلُّوا لذلك بما رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ)[٣].

قـال ابـنُ كثيـرٍ رَحِمَهُ اللهُ بعـد أَنْ ذكـرَ القـولَ الثـاني في دَفْنِـهِ - عليـه الصـلاةُ والسلامُ- يومَ الثلاثاءِ: «هو قولٌ غريبٌ، والمشهورُ عن الجمهورِ ما أَسْلَفْناهُ من أَنَّه - عليه الصلاةُ والسلامُ- تُوفِّي يومَ الاثنينِ، ودُفِنَ ليلةَ الأربعاءِ»[٤].

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٩٠٢).

(٢) مسلمٌ (٢٣٤٨).

(٣) رواهُ أحمدُ في «المسندِ» (٤١/ ٣٠٠) وقال المحقِّقون في طبعةِ مؤسسةِ الرسالةِ: إِسنادُهُ محتملٌ للتَّحْسينِ. وذكروا متابعاتِهِ التي يَحْسُنُ لأَجْلِها.

(٤) البدايةُ والنهايةُ (٥/ ٢٩٢).

قال حسانُ بنُ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد غَيَّبوا حِلمًا وعلمًا ورحمةً عشيةَ عَلَّوْهُ الثرى لا يُوسَّدُ
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيُّهم وقد وَهَنَتْ منهم ظهورٌ وأعْضُدُ
يُبَكُّون من تبكي السماواتُ يومَهُ ومَنْ قد بَكَتْهُ الأرضُ فالناسُ أَكْمَدُ
وهل عَدَلَتْ يومًا رزيةُ هالكٍ رزيةَ يومٍ ماتَ فيه مُحَمَّدُ[1]

وَقَالَ سُحْنُونُ:

ليس العظيم الذي قاد ساد أمته بسحر منطقه أو خلقه الحسن
أو استرد لها حقًّا بصارمه أو ذاد عنها العدى أو عف ممتهن
إن العظيم الذي مذ جاء أمته سادت به أممًا سادت مدى الزمن
حلت محلًا به ما حلاه أحد ! وحل منها محل الروح للبدن !
من ذاك؟ من ذا تحدى كل ذي عظم في الكون؟ إن لم يكن محمدًا فمن ؟!
ذاك اليتيم حليف الحزن كيف دعا إلى الهدى ساخرًا من كل ذي وثن
ذاك الفقير ربيب الفقر كيف بنى حضارة مثلها الدهر لم يكن !
ووحد العرب أهواء ومعتقدًا ! وكان بعضهم لبعضٍ ذا إحن
لتلك معجزة التاريخ كم دهشت أمامها من نهى جلت ومن فطن[2]

---

(١) الروضُ الأنفُ (٧/ ٥٨٤، ٦٠٢).

(٢) ديوان سحنون (٢٢٧).

تَجْهِيزُ النَّبِيِّ ﷺ

أَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِفِقْدَانِهِ وَاسْوَدَّ نُورُ القَمَرِ النَّاصِلِ[1][2]

١- غُسْلُ النَّبِيِّ ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا نَرَى[3] كَيْفَ نَصْنَعُ، أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟.

قَالَتْ: فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ السِّنَةَ[4] حَتَّى وَاللهِ مَا مِنَ الْقَوْمِ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ نَائِمًا، قَالَتْ: ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ، فَقَالَ: اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، قَالَتْ: فَثَارُوا إِلَيْهِ، فَغَسَّلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي قَمِيصِهِ يُفَاضُ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَالسِّدْرُ، وَيُدَلِّكُهُ الرِّجَالُ بِالْقَمِيصِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنَ الْأَمْرِ مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَّا نِسَاؤُهُ»[5].

---

(١) قَمَرٌ نَاصِلٌ: زَائِلٌ عَنْهُ ضَوْءُهُ.

(٢) «دِيوَانُ حَسَّان» (١٧٤).

(٣) «سُنَن أَبِي دَاوُدَ» (٢٧٣٧): «وَاللهِ مَا نَرَى كَيْفَ نَصْنَعُ».

(٤) السِّنَة -بِوَزْنِ عِدَةٍ- النُّعَاس وَأَوَّلُ النَّوْمِ.

(٥) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٥٧٧٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٧٣٣)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد» (٢/ ٤٧١).

٢- كَفَنُ النَّبِيِّ ﷺ:

لَوْ صِيغَ مِنْ غُرِّ الفَضَائِلِ والعُلاَ كَفَنٌ لَبِسْتَ أَحَاسِنَ الأَكْفَانِ[١]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ، بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ[٢]، مِنْ كُرْسُفٍ[٣]، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ»[٤].

---

(١) «دِيوَانُ شَوْقِي» (٥٣١).

(٢) السَّحُولِيَّةِ: ثِيَابٌ قُطْنِيَّةٌ بِيضٌ، وَقِيلَ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَحُولَ بَلَدٍ بِاليَمَنِ.

(٣) الكُرْسُف -بِضَمِّ الكَاف والسِّين - القُطْنُ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٦٤).

الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفْنُهُ

وَأَظْلَمَتِ البِلاَدُ عَلَيْهِ حُزْنًا   وَقُلْتُ: أَفَارَقَ القَمَرُ المُنِيْرُ(١)

عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُغْمِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ فَأَفَاقَ، فَقَالَ: «حَضَرَتِ الصَّلاةُ»؟ ...».

وَفِيْهِ: فَقَالُوا: لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، نُصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: وَكَيْفَ؟

قَالَ: يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ.

قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، أَيُدْفَنُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالُوا: أَيْنَ؟.

قَالَ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ.

فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَغْسِلَهُ بَنُو أَبِيهِ.

---

(١) «دِيْوَانُ جَرِيْرٍ» (٢٠٩).

بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عرفوك كنز هدى وذخر مروءة ... ورأوك سيف وغى وليث مغارِ

اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ يَتَشَاوَرُونَ، فَقَالُوا: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الأَنْصَارِ نُدْخِلُهُمْ مَعَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ لَهُ مثل هَذِا ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠]، مَنْ هُمَا؟، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَيْعَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً[١].

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ ... سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرِ

سَبَقْتَ إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ شَاهِدٌ ... وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيْشِ الْمُشَهَّرِ

وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالْغَارِ صَاحِبًا ... وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ[٢]

البيعةُ العامَّةُ:

أبا بكرٍ لمجدِكَ حينَ يَسمُو ... بطَارِفِهِ وتَضحَكُ من تِلادهُ

تَمَّتْ بيعةُ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافةِ في سقيفةِ بني ساعِدَةَ يومَ الاثنين، اليومُ الذي ماتَ فيه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا كانَ صبيحةُ يومِ الثُّلاثاءِ اجتمعَ الناسُ في المسجدِ، فكانَتْ البيعةُ العامَّةُ لَهُ من عمومِ المسلمين، وخَطَبَ في ذلكَ اليومِ عُمَرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الآحَادِ وَالمَثَانِي» (٣-١٢)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَد» (١/ ٣١١-٣١٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجهْ» (١٠٢٦).

(٢) «نِهايةُ الأربِ» (١٩/ ١٠).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الآخِرَةَ، حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدُ مِنْ يَوْمٍ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرَنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ، فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللهَ - تَعَالَى -، قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ هَدَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثَانِي اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمِنْبَرِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعَدِ الْمِنْبَرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً[1].

عزاءً أبا بكرٍ فلو جامل الردى ... كريمَ أُناسٍ كنت ممن يُجامِله
وما ذهبَ الأصل الذي أنت فرعه ... ولا انقطعا لسعيُ الذي أنت واصله

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٣٩٠٢).

أَثَرُ وَفَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ

لِلَّـهِ دَرُّكَ إِنْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ فِي قَوْمِهِ، وَوَهَبْتَ مِنْكَ لَهُ يَدَا[١]

١- مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ:

أَخَذَ السِّمَاكَ[٢]،وَنَالَ مَنْزِلَةَ السُّهَى[٣] وَأَرَاكَ أَبْعَدَ مَأْخَذًا وَمَنَالَا[٤]

مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ لاَ تُضَاهِيهَا مَنْزِلَةٌ،فَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ ﷺ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَقِّهِ، فَحُبُّهُ ﷺ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلاَ يَتِمُّ الإِيْمَانُ إِلَّا بِذَلِكَ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٥].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»[٦].

(١) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (١٥/ ٣٧).

(٢) السِّمَاك: بِالكَسْرِ- آخِرُ نُجُومِ الصَّيْفِ.

(٣) السُّهَى: كَوْكَبٌ صَغِيْرٌ خَفِيٌّ.

(٤) «دِيْوَانُ أَحْمَد مُحَرَّم» (٥١١).

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥)، ومُسْلِمٌ (٤٤).

(٦) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٦٣٢).

إِنَّ الرَّزِيَّةَ -لا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا- مَيْتٌ بِطَيْبَةَ مِثْلُهُ لَمْ يُفْقَدِ
فَلَقَدْ أُصِيْبَ جَمِيْعُ أُمَّتِهِ بِهِ مَنْ كَانَ مَوْلُودًا وَمَنْ لَمْ يُولَدِ[١]

وقال آخر:

إن حلَّ في القلب أعلى منك منزلة في الحب إلهي بارئ النسيمِ
فمزق الله شرياني وأوردتي ولا مشت بي إلى ما أشتهي قدمِ[٢]

وقال آخر:

ألا يا محب المصطفى زد صبابه وضمخ لسان الذكر منك بطيبهِ
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما علامةُ حُبُّ اللهِ حُبَّ حبيبهِ

٢- مُصِيْبَةُ المُسْلِمِيْنَ فِي فَقْدِ نَبِيِّهِمْ:

فَوَامُصِيْبَةَ أَهْلِ الأَرْضِ أَجْمَعِهِمِ بِفَقْدِهِ حِيْنَ وَارَوْهُ، وَيَا أَسَفَا![٣]

مُصِيْبَةُ المُسْلِمِيْنَ بِنَبِيِّهِمْ مُصِيْبَةُ العُمُرِ، وَلاَ مُصِيْبَةَ أَعْظَمُ مِنْهَا.

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»[٤].

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

---

(١) «الزَّهْرَةُ» (١٥١).

(٢) «موسوعة الشعر» (٧٧/ ٥٦).

(٣) «دِيْوَانُ ابْنِ مُشَرَّفٍ» (١٧٢).

(٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (١/ ٤٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١١٠١).

وَإِذَا ذَكَـرْتَ مُصِيبَـةً تَشْـجَى[١] بِهَـا فَاذْكُـرْ مُصَابَـكَ بِالنَّبِـيِّ مُحَمَّـدِ[٢]

وقال آخر:

يَقُـولُ أُنَـاسٌ: لَـوْ تَعَزَّيْـتَ بَعْـدَهُ فَـكُلُّ عَزَاءٍ[٣] فِـي مُصَابِـكَ عَـازِبُ[٤][٥]

٣- تَكْذِيبُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مَوْتَ نَبِيِّهِمْ ﷺ:

فَـلاَ رُزْءَ[٦] مِـنْ هَـذَا أَعَـمُّ مُصِيبَـةً وَلاَ خَطْـبَ[٧] مِـنْ هَـذَا أَمَـرُّ وَأَفْـدَحُ[٨]

حِينَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَاشَتْ عُقُولُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّ نَبِيَّهُمُ الَّذِي أَخَذَ بِأَيْدِيهِمُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَحَبُّوهُ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ مَاتَ.

عَنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّـنْحِ، - يَعْنِي بِالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ.

قَالَـتْ: وَقَـالَ عُمَـرُ: وَاللـهِ مَـا كَانَ يَقَـعُ فِـي نَفْسِـي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّـهُ اللـهُ، فَلَيَقْطَعَـنَّ أَيْـدِيَ رِجَـالٍ وَأَرْجُلَهُـمْ، فَجَـاءَ أَبُـو بَكْـرٍ فَكَشَـفَ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقُكَ اللهُ

---

(١) تَشْجَى بِهَا أَيْ: تَحزنُ بِهَا.

(٢) «أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ» لِلثَّعَالِبِيِّ (١٠٢).

(٣) العَزَاءُ: الصَّبْرُ.

(٤) عَازِب: ذَاهِبُ غَائِبُ.

(٥) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٥١/ ٤٥٦).

(٦) الرُّزْءُ – بِالضَّمِّ– المُصِيْبَة، والجَمْعُ أَرْزَاءٌ.

(٧) الخَطْب –بِالفَتْحِ– الأَمْرُ العَظِيْمِ، والجَمْعُ خُطُوبٌ.

(٨) «دَوَاوِيْنُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ» (٢٥/ ١٧٠).

المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ.

فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾، [الزُّمُر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عِمْرَانَ: ٣٠]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ»[١].

مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا كَيَوْمِكَ مَشْهَدٌ ... بَهَرَ العُقُولَ، وَلاَ أَرَاهُ يَكُونُ
لَمْ يُبْقِ مَحْذُورًا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ ... جَلَلٍ لَدَيْهِ، وَكُلُّ خَطْبٍ دُونُ[٢][٣]

٤- لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا:

أَظْلَمَتِ الآمَالُ مِنْ بَعْدِهِ ... وَعُرِيَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ[٤]

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»،وَقَالَ: «وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الأَيْدِيَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[٥].

وَعَنْهُ أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٧٠).

(٢) دُونَهُ أَيْ: أَقَلُّ وَأَصْغَرُ.

(٣) «الأَفْضَلِيَّات» (٥٧).

(٤) «دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ» (٤٣٩).

(٥) (صَحِيحٌ)أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٣٤١٨)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي«حَاشِيَةِ فِقْهِ السِّيْرَةِ» (٢٠١).

يَوْمًا قَطُّ،كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْم دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ، وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ »[(١)].

بِرَغْمِ العُلَى،والجُودِ، والمَجْدِ،وَالنَّدَى ... طَوَاكَ الرَّدَى يا خَيْرَ حَافٍ وَنَاعِلِ[(٢)]

وَقَالَ آخَرُ:

فَهَذِهِ طَيْبَةُ وَالطِّيبُ تُرْبَتُهَا ... اللهَ اللهَ مَا أَحْلَى أَرَاضِيْهَا!

هَذَا المَقَامُ، هُنَا حَلَّ الحَبِيْبُ هُنَا ... تَحْكِي دُمُوعُ الهَوَى أَشْوَاقَ بَاكِيْهَا

هُنَا هُنَا وَدَّعَ الأَنْصَارُ سَيِّدَهُمْ ... مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ مَا الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا؟!

هُنَا هُنَا أَسْبَلَ الأَصْحَابُ مَدْمَعَهُمْ ... لاَ الدَّمْعُ جَفَّ،ولاَ ابْتَلَّتْ صَوَادِيْهَا[(٣)]

كم كان عُمْرُ النبيِّ ﷺ حين ماتَ:

فوقتك للأوقات لاشكَّ غائبٌ ... وعمُرك للأعمارِ لاشكَّ وارثُ

بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو ابنُ أربعينَ سنةً، فَمَكَثَ في مكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وبالمدينةِ عَشْرَ سنِينَ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليه وقد تَمَّ له ثلاثٌ وستون سنةً ﷺ.

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ[(٤)].

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الدَّرَامِيُّ (٨٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٥١)، وَابْنُ مَاجَهْ (١٦٢١)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَد» (١/ ١٠٤).

(٢) «أَمَالِي القَالِي» (٢/ ١٤٤).

(٣) الصَّوَادِي: جَمْعُ صَادِيَةٍ، وَهِي العَطْش.

(٤) مسلمٌ (٢٣٤٨).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: (قَبِضَ النبيُّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّينَ، وقُبِضَ أبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّيْنَ، وقُبِضَ عُمَرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّيْنَ) [١].

يا من ثوى تحت الثرى جُثْمَانَهُ ... ليت الثرى في مُقْلتي فأصونُهُ

لوقَاكَ من حر الهواجر محجري ... ووقتك من عصف الرياح جُنُونُهُ

لي منك حبٌّ ليس فيه تكلفٌ ... رقت حواشيه وجل متونُهُ

يا كوكبَ الأنوار في حلك الدُجى ... لو شين هذا الكون أنت تزينُهُ

ضاءتْ بك الدُّنيا فأنت سراجُها ... وصفا الزمانُ فأنت أنت معينُهُ

وملكت أفئدة الكرام فما هنا ... قَلْبٌ كريمٌ غَيْرَ أنت سكينُهُ

وحللتَ فوقَ العالمين مراتبا ... يعنو لها أنف الفتى وجبينُهُ [٢]

---

(١) رواهُ مُسْلَمٌ (٢٣٤٨).

(٢) «نَفَحُ الطيب» (٥/ ٤٥٦).

الخَاتِمَةُ

كالغَيْثِ ذِكْرُكَ يا حَبِيبي لَمْ يَزَلْ   يَشْقِي القُلُوبَ مَحَبَّةً ونَعِيمَا

هذا جَهْدُ مُقِلٍّ، بَذَلْتُ فيه جُهْدًا، وأَفْرَغْتُ فيه وُسْعًا فإن تحقَّقَ المُرادُ، فَهُوَ مِنْ توفيقِ اللهِ وهدايتِهِ، وإعانتِهِ وتَسْدِيدِهِ، ولَهُ الْحَمْدُ أوَّلًا وآخِرًا، ظاهِرًا وَبَاطِنًا.

وإن كانت الثانِيَةُ، فأسأَلَ الله أن يَغْفِرَ لي زَلَلي وتقصيري.

وقَبْلَ أن أضَع الْقَلم مودعًا أقُول لو اجْتَمعَ الخَلْقُ فمدحوا النَّبيَّ ﷺ فمدحهم قاصرٌ لا غناءٌ فيه بعد أن مَدَحَهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

يَكْفِيكَ عَنْ كُلِّ مدحٍ مدحُ خَالِقِهِ   وأقرأ بربِّكَ مَبْدَأ سُورةِ الْقَلَمِ

وَحَسْبُهُ هذا المدحُ الكريمُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عزًّا وشرفًا حَيْثُ تَوَّجه ربُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِتاجِ الْكَمَالِ كُلِّهِ، إذْ لَيْسَ بَعْدَ حُسْنِ الْخُلُقِ حُلْيَةٌ تَتَحَلَّى بِهَا النُّفُوسُ!، وَلَيْسَ بَعْدَ مَدْحِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تاجٌ تتوَّجُ بِهِ الرءُوسُ!

أرَى كُلَّ مَنْ مَدَحَ النَّبِيَّ مُقَصِّرًا   وإنْ بَالَغَ المُدَّاحُ فِيهِ وأكْثَرَا

إذا كَانَ في الْقُرآنِ جاءَ مَدِيحُهُ   فَهَلْ سَتُشَرِّفُهُ أماديحُ الْوَرى؟!

وَقَالَ آخَرُ:

أضاءت بِكَ الدُّنيا فَعِشْتَ مُمَجَّدا   وَغِبْتَ عَنِ الدُّنيا وما زلت سيدا

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ فِي كُلِّ خَفْقَةٍ   فقد ماتت الأسماءُ إلا مُحَمَّدا

وختامًا حُقَّ لِمَنْ بَدَأَ بِعَنْبَرٍ أَنْ يَخْتِمَ بِمِسْكٍ، ولا مسكَ أطْيَبُ من الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

إن أنْــتَ أكْثَـرْتَ الصَّــلاةَ عَلـى الَّـذي صَـلَّــى عَـلَـيْــهِ الــلهُ فِــي الآيــاتِ

وَجَـعَـلْـتَــها وِردًا عَـلَـيْــكَ مُحَتَّمًـا حَـلَّــتْ عَـلَـيْــكَ بَشَـائِرُ الْخَيْـرَاتِ

وكَتَبَهُ/ فَيْصَلُ الْحَاشِدِيُّ

الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ ٢٥ ربيع أول سنة ١٤٤٠ هـ.
٠٠٩٦٧٧٧١٣٩٩٤١٠

فهرس الموضوعات